الكتاب: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)
المؤلف: السيد جعفر مرتضى
الجزء: ٩
الوفاة: معاصر
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة: الرابعة
سنة الطبع: ١٤١٦ - ١٩٩٥ م
المطبعة:
الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان / دار السيرة - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات:

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي
الجزء التاسع

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون وفاكس ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS ٢٠٧٧٧ ٢٢٥٩٧٠ بلاغ
ص ب ٢٨٦ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
دار السيرة - بيروت لبنان - ص. ب ٤٩ / ٢٥

القسم الرابع
من الخندق إلى فتح مكة

(٥)

الباب الأول
غزوة الخندق

آيات حول غزوة الخندق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: * (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب) * (١)

* (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا. إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) *

* (وإذ قالت طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي، يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، إن يريدون إلا فرارا. ولو دخلت عليهم من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة

---

(١) سورة البقرة / ٢١٤

لأتوها، وما تلبثوا بها إلا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار، وكان عهد الله
مسؤولا. قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، وإذا لا
تمتعون إلا قليلا. قل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم
رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم: هلم إلينا. ولا
يأتون الباس إلا قليلا. أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
إليك تدور أعينهم، كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف
سلقوكم بألسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرا. يحسبون الأحزاب لم يذهبوا
وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بأدون في الاعراب. يسألون عن
أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
، وذكر الله كثيرا
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله،
وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما. من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من
ينتظر، وما بدلوا تبديلا. ليجزي الله الصادقين بصدقهم، ويعذب
المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم، إن الله كان غفورا رحيما
ورد الله الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيرا. وكفى الله
المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم، وقذف في قلوبهم الرعب، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم، وأموالهم، وأرضا لم تطؤوها. وكان الله على كل شئ قديرا) * (١)

---

(١) سورة الأحزاب / ٩ - ٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا الصراط المستقيم
والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، وبعد
فان حديثنا في هذا الجزء سيكون – إن شاء الله – عن غزوة الأحزاب: " الخندق " وهي الغزوة التي سميت سورة قرآنية باسمها بسبب أهميتها البالغة
وحيث إن الحديث عن هذه الغزوة سوف يتخذ منحى تحقيقيا وتتبعيا، بالإضافة إلى وقفات تحليلية سريعة ومقتضبة، ومتناثرة هنا وهناك، فسيكون من الصعب على القارئ لملمة أطراف الحديث وجمع شتات المطالب، وربط بعضها ببعض ولو في حدود الخطوط العامة للحدث. ولأجل ذلك رأينا أن نذكر نصا مختصرا لهذه الغزوة يكاد يقتصر على عناوينها العامة
فنقول:
موجز عن غزوة الخندق:
إنه في السنة الرابعة – كما هو الأقوى – أو في الخامسة – سار

عدد من اليهود إلى مكة واستنفروا أهلها لقتال النبي (صلى الله عليه وآله)، واستئصال المسلمين. واتصلوا أيضا بقبيلة غطفان، وقبائل عربية أخرى
وحرضوهم على حرب محمد، ووعدوهم بالأموال. فساروا وهم
ألوف كثيرة إلى المدينة لانجاز هذا المهم
فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) خبرهم، فحفر خندقا حول المدينة من
الجهة المكشوفة منها. وجعل للخندق أبوابا، وجعل على الأبواب
حرسا
وقد شارك النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه في حفر الخندق، وظهرت له
صلى الله عليه وآله حينئذ كرامات ومعجزات، سنذكرها في الموضع
المناسب إن شاء الله تعالى
وقد عسكر صلى الله عليه وآله إلى جنب جبل سلع، وجعل
الخندق بينه وبين الأحزاب. وجعل النساء والصبيان في بعض حصون
المدينة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وكان لواء النبي (صلى الله عليه وآله)
مع علي عليه السلام
ولما وافى الأحزاب فوجئوا بالخندق. ونزلوا في الجهة الأخرى
منه. وحاصروا المسلمين
وذهب حيي بن اخطب اليهودي إلى بني قريظة، ولم يزل بهم
حتى نقضوا العهد مع المسلمين
فلما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك أرسل إليهم من يثبت له الامر
فرجعوا إليه وأخبروه بان ما بلغه صحيح. فاشتد الامر على المسلمين
وضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وعظم البلاء، ونجم النفاق، وكثر
الخوض. وبلغت القلوب الحناجر. وقال المنافقون والذين في قلوبهم

مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا
وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل
يحرسهم، فان تحرك أحد من قريش نابذهم. وكان النبي (صلى الله عليه وآله)
يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق
ولم يكن بين المسلمين والمشركين قتال إلا الرمي بالنبل
والحصا. وكان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره
والمسلمون يمنعونهم بالنبل والحجارة
وأصيب يومئذ سعد بن معاذ رحمه الله بسهم، رماه به حبان بن
العرقة. وقيل: رماه به أبو أسامة الجشمي، أو خفاجة بن عاصم
فجعل سعد رحمه الله في خيمة رفيدة، التي كانت تداوي فيها
الجرحى. ويبدو أن جماعات من المسلمين قد تركوا النبي (صلى الله عليه وآله)
وفروا، واختبأوا في حديقة هناك وفيهم عمر بن الخطاب وطلحة، وقد
كشفت عائشة أمرهم، وذلك بعد إصابة سعد بن معاذ
كما إن النصوص تؤكد على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد بقي في ثلاث مئة
من المسلمين، بل في نص آخر: انه لم يبق مع النبي (صلى الله عليه وآله) سوى اثني
عشر رجلا فقط
وقد تحدثت الآيات القرآنية عن هؤلاء الفارين، فراجع سورة
الأحزاب
ومهما يكن من أمر فقد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكانا
ضيقا من الخندق، وأكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عكرمة بن أبي
جهل، وعمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي
وهب، وحسل بن عمرو بن عبد ود، ونوفل بن عبد الله المخزومي

فخرج أمير المؤمنين في نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم
الثغرة التي اقتحموها وطلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد
من المسلمين، وخافوا منه خوفا شديدا، لما يعرفون من شجاعته
وفروسيته، وكان يعد بألف فارس. وطلب علي من النبي أن يأذن له
بمبارزته فلم يأذن له
فكرر النداء، وأنشد الشعر، وعير المسلمين المحجمين عنه
فطلب علي الاذن مرة أخرى فلم يأذن له الرسول
فلما كان في المرة الثالثة، ولم يبادر إلى ذلك سوى علي عليه
السلام أذن له النبي (صلى الله عليه وآله) وعممه ودعا له، وقال: برز الايمان كله إلى
الشرك كله. فبارزه علي عليه السلام فقتله. وقتل ولده حسلا، ونوفل
بن عبد الله، وفر الباقون. فقال صلى الله عليه وآله، ضربة علي يوم
الخندق تعدل (أو أفضل من) عبادة الثقلين إلى يوم القيامة
وزعمت بعض الروايات: أن الذي قتل نوفلا هو الزبير، وسيأتي
الاشكال في ذلك
وتزعم بعض الروايات أن نعيم بن مسعود قد ساهم في احداث
الفتنة بين بني قريظة وبين المشركين. ولكن الظاهر هو ان النبي (صلى الله عليه وآله)
هو الذي القى فيما بينهم بذور الخلاف والشك كما سنوضحه
ثم أرسل الله سبحانه الريح على المشركين فكانت تكفأ
قدورهم، وتطرح خيامهم، وتعبث بكل ما يحيط بهم، وقذف الله في
قلوبهم الرعب، فعادوا بالخزي والخيبة، والرعب يلاحقهم، وكفى الله
المؤمنين القتال

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) حينئذ الان نغزوهم ولا يغزوننا، فكان كما قال.. وفي هذا الجزء تجد التفصيل لكل ذلك، مع بعض التحقيق والتكذيب والتصديق، والتعديل والتحليل، حسبما يقتضيه المقام فإلى ما يلي من مطالب وفصول

الفصل الأول:
الأحزاب إلى المدينة

تمهيد وبيان

لقد كان لتوالي الحروب في المنطقة فيما بين المسلمين من جهة وبين أعدائهم من اليهود والمشركين ومن تبعهم من جهة أخرى، وانشغال المسلمين الدائم بهذه الحروب تأثير قوي على حالة المسلمين الاقتصادية، حيث اختلت الحياة التجارية، والحرفية وظهرت عوارض خطيرة فيما يختص بالشأن الزراعي، حيث كانت الزراعة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد بالنسبة لأهل المدينة على الخصوص

وقد بدأت بوادر الحاجة الملحة في النواحي المعيشية، وشحة المواد الغذائية تظهر بصورة وبأخرى في هذا المجتمع الاسلامي الصغير الناشئ، والمحاط بالأعداء، والمستهدف بالشر والسوء من كل ناحية ومكان

وبعد ان خاض المسلمون عدة حروب، ومروا بأزمات كثيرة في أكثر من اتجاه، وبعد كسر شوكة بني النضير، وكشف خياناتهم وافشال مؤامراتهم. وبعد غزوة ذات الرقاع وغيرها.. جاء تأجيل المشركين للحرب في بدر الموعد بسبب رعبهم وخوفهم ثم استفادة المسلمين تجاريا من سوق بدر بهذه المناسبة أمرا يبعث على الارتياح، ويثير البهجة والأمل، والشعور لديهم بامكانية تحسن

الأوضاع المعيشية، حيث يتوفر الوقت الكافي لإعادة تنظيم مواسمهم الزراعية، والانتعاش اقتصاديا في مجالات أخرى من حرفية، وتجارية وغيرها في أجواء يهيمن عليها السلام والامن، والطمأنينة النسبية هذا بالإضافة إلى توفر الوقت لمواجهة المشكلات التي خلفتها الحروب السابقة، فردية كانت أو اجتماعية، ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها، أو التخفيف من وطأتها وعسى ولعل يمكنهم أيضا ترتيب العلاقات بمن يحيطون بهم في المنطقة بصورة أكثر حميمية وصفاء، وصياغتها بصورة أكثر قوة وثباتا عنها من ذي قبل

ثم إنهم بعد وفوق كل ذلك يصبحون أقدر على ممارسة دور الاعلام المركز والهادئ للدعوة الإلهية التي يحملونها، ويقومون بواجبهم في نشرها، لتقوم على أسس متينة ورصينة من القناعات العقلية والوجدانية، ولتثمر من ثم حياة في الفكر، ويقظة في الضمير ومسؤولية وطهرا في الوجدان

فجاءت حرب الأحزاب المفاجئة لتبدد كل هذه الآمال، ولتزيد من قسوة الظروف، ومرارة المعاناة، ولتكون الكابوس المخيف والمخيف جدا. خصوصا بما تميزت به من حشد بشري هائل، واعداد واستعداد لم تعرفه المنطقة من قبل. مع هذا الاجماع المستقطب تقريبا على العداء لهم من مختلف القبائل والديانات والشعوب التي تعيش في المنطقة. يصاحبه إطمينان إلى التعاطف والتأييد من كل الآخرين من أي الديانات، أو الفئات كانوا، في جزيرة العرب، أو في خارجها

ثم إن حركة الأحزاب قد جاءت محرجة للمسلمين إلى درجة كبيرة وخطيرة من الناحية العسكرية والاستراتيجية الحربية، لأنها

اتخذت صفة هجوم شامل عليهم، من مختلف المواضع والمواقع، إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم
يقابل ذلك ضعف ظاهر لدى المسلمين، في العدة وفي العدد
واختراق خطير من قبل الأعداء لصفوف أهل الايمان، من خلال قوى النفاق التي كانت تتغلغل داخل جسم هذا المجتمع الاسلامي الصغير والناشئ
هذا كله بالإضافة إلى المشاكل المعيشية، والحياتية على مستوى الفرد والجماعة. سواء تلك المشاكل الناشئة عن الحروب
والمواجهات مع الأعداء، أو المشاكل التي تنشأ عادة من صياغة حياة اجتماعية لفئات تعاني أصلا من تناقضات كثيرة فيما بينها، بسبب اختلافها في مستوياتها وفي حالاتها الطبيعية والعارضة، وبسبب وجود الكثير مما هو من مخلفات الجاهلية الرعناء
ولا ننسى هنا الإشارة إلى ضعف تأثير العامل القبلي لدى الفريق الاسلامي، لان المسلمين كانوا لا يشكلون تيارا قبليا زاخرا وهادرا ذا لون واحد، لانهم عبارة عن مجموعات صغيرة من قبائل شتى، فيبقى الشعور والعصبية للقبيلة هو العامل الأضعف تأثيرا على صعيد رص الصف، وتقوية البنية، وتأكيد اللحمة الداخلية. وإنما الحالة الايمانية والدينية وحدها هي التي توحدهم، وتشد من أزرهم، وتشحذ فيهم الهمم، وتبعث فيهم روح الاباء والشمم. وقد كانت هذه الروح في بدايات تكوينها لدى الكثيرين منهم فلم تكن مؤهلة للصمود كثيرا وطويلا في المواضع الصعبة والخطيرة
وأخيرا.. نشير إلى أن تحزيب الأحزاب قد انطلق من خلال قناعة تامة، ومن شعور أكيد بأن قوة المسلمين قد بلغت حدا لم يعد

يمكن القضاء عليها إلا بحشد كامل وشامل لكل القدرات والقوى المادية والمعنوية على مستوى المنطقة بأسرها. وهذا ما حصل بالفعل، كما سنرى. ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين

تحزيب الأحزاب في روايات المؤرخين

لقد ذكر المؤرخون - والنص في أكثره للواقدي - أنه لما أجلى النبي (صلى الله عليه وآله) يهود بني النضير، ساروا إلى خيبر. وكان بها من اليهود قوم أهل عدد وجلد (وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير) فخرج عدد من اليهود، بعضهم من بني وائل. والباقون من بني النضير، وهم بضعة عشر رجلا، أو حوالي عشرين، خرجوا إلى مكة يدعون قريشا واتباعها إلى حرب محمد (صلى الله عليه وآله). وكان ذلك في السنة الرابعة، أو الخامسة أو السادسة للهجرة

وهؤلاء هم: - كما ورد في النصوص المختلفة - حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي (أو الوالبي كما في الارشاد) وهو أوسي من بني خطمة، وأبو عامر الراهب أو أبو عمار، - الوائلي - أو أبو عمارة الوالبي، كما عند المفيد في نفر من بني والبة

وزاد البعض: سلام بن مسلم (وأضاف آخر: حوج بن عامر، وأبا رافع، والربيع بن أبي الحقيق (١))

---

(١) راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥١٣، وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٨ فقد ذكر أبا عمار وحوج بن عمرو

(وأضاف غيره سلام بن أبي الحقيق، لكن عند ابن الأثير: عبد الله بن سلام بن أبي الحقيق)

قال المفيد: " فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله، وتسرعه لقتاله، فذكروا له ما نالهم منه. وسألوه المعونة على قتاله. فقال: إنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلى قريش، فادعوهم إلى حربه، واضمنوا النصرة لهم، والثبوت معهم حتى تستأصلوه فطافوا على وجوه قريش، ودعوهم إلى حرب النبي "

ويستمر الواقدي وغيره فيقولون: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا

أو قالوا: سنكون معكم عليه، حتى نستأصله ومن معه

قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟

قالوا: نعم. جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله

قال أبو سفيان: مرحبا وأهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد. زاد في نص آخر قوله: " ولكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم. ففعلوا (١) "

قال النفر: فأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها، أنت فيهم، وندخل نحن وأنت بين أستار الكعبة، حتى نلصق أكبادنا بها ثم نحلف بالله جميعا: لا يخذل بعضنا بعضا، ولتكونن كلمتنا واحدة على هذا الرجل، ما بقي منا رجل

---

(١) ويقال: ان ذلك أيضا قد كان في مرة سابقة، وذلك حين جاء كعب بن الأشرف ومن معه، يطلبون منهم المسير إلى حرب محمد (صلى الله عليه وآله) والمسلمين. وربما يكون ذلك قد حصل مرة واحدة، لكن الامر قد اشتبه على الرواة. والله هو العالم بحقيقة الحال

ففعلوا، فتحالفوا على ذلك، وتعاقدوا
ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب وأهل العلم والكتاب الأول، فسلوهم عما نحن عليه ومحمد: أينا أهدى؟!
قالت قريش: نعم
فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد، ديننا خير أم دين محمد؟! فنحن عمار البيت، وننحر الكوم، (أي الناقة عالية السنام) ونسقي الحجيج، ونعبد الأصنام
قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، انكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية، وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل الله في ذلك:
* (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) * (١)
فاتعدوا لوقت وقتوه
وفي نص آخر: " فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأجمعوا لذلك واتعدوا له "
فقال صفوان بن أمية: يا معشر قريش، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت وفارقوكم عليه، ففوا لهم به! لا يكون هذا كما كان، وعدنا محمدا بدر الصفراء، فلم نف بموعده، واجترأ علينا

---

(١) سورة النساء / ٥١

بذلك. وقد كنت كارها لميعاد أبي سفيان يومئذ
فخرجت اليهود حتى أتت غطفان [وقيس عيلان] وأخذت
قريش في الجهاز، وسيرت في العرب تدعوهم إلى نصرها. وألبوا
أحابيشهم ومن تبعهم
ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سليم، فوعدوهم يخرجون
معهم إذا سارت قريش. ثم ساروا في غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر
سنة. وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد، إذا ساروا
فأنعمت بذلك غطفان، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة
بن حصن
قال ابن خلدون: وخرج بهم عيينة بن حصن على أشجع (١)

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٣. وذكرت هذه النصوص باختصار أو بتفصيل في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٢ و ٥١٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والثقات ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٢ عن ابن إسحاق، وابن جرير. وجامع البيان ج ٥ ص ٨٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ وإعلام الورى ص ٩٠ وتفسير القرآن الكريم ج ٢ ص ٥١٣، والوفا ص ٦٩٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣. وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ و ٣٩٨ ففيه نصوص تختلف عن الذي ذكرناه وراجع ص ٤٠٨ و ٤٠٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ فما بعدها والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ و ٩٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٦ و ٢١٧ وتجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٦ و ١٦٧ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٠٩ =

وذكر البعض: أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان في كل عام (١)

وذكروا أيضا: أن قريشا كتبت إلى رجال من بني سليم، بينهم وبينهم أرحام، استمدادا لهم، فأقبل أبو الأعور بمن تبعه من بني سليم مددا لقريش ثم كتب اليهود إلى حلفائهم من بني سعد أن يأتوا إلى امدادهم (٢)

وحسب نص البلاذري: " وكان عيينة بن حصن الفزاري أسرع القوم إلى اجابتهم، ثم أتوا بني سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك فأنجدوهم

وساروا في جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم

= و ٣١٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨ و ١٨٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦ - ١٨٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٦ - ٢٣٣ و ١٩٧ و ٢٥٠ و ٢٥١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٨ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٤ باختصار والارشاد للمفيد ص ٥٠ و ٥١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠١ و ٢٠٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠

(١) الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨. لكن ذكرت مصادر أخرى: انهم جعلوا لهم ثمر خيبر سنة، فراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٧ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠. وراجع أيضا: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وراجع: الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٨ / ٣٩٩

فخرجت قريش في من ضوي إليها ولافها من كنانة وثقيف
وغيرهم ولحقتهم أفناء العرب عليه قادتها وكبراؤها " (١)
تجمع القوى:
ويستمر الواقدي فيقول:
وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف
وعقدوا اللواء في دار الندوة (زاد في بعض المصادر قوله:
وحمله عثمان بن أبي طلحة، وقائد القوم أبو سفيان)
وقادوا معهم ثلاث مئة فرس، وكان معهم من الظهر ألف بعير،
وخمس مئة بعير
وأقبلت سليم فلاقوهم بمر الظهران. وبنو سليم يومئذ سبع مئة
يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي
الأعور، الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين. لكن عند القمي:
ان قائدهم هو عباس بن مرداس. وخرج أيضا الأقرع بن حابس في
قومه
وخرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب
وخرجت بنو أسد، وقائدها طلحة (طليحة ظ) بن خويلد
الأسدي
وخرجت بنو فزارة وأوعبت، وهم الف يقودهم عيينة بن حصن
(ونص اخر يقول: خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن)

---

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣

وخرجت أشجع وقائدها مسعود بن رخيلة (أو مسعر بن زحيلة أو جبلة) وهم أربع مئة، ولم توعب أشجع [وعند المفيد: ووبرة بن طريف في قومه من أشجع]

وخرج الحارث بن عوف يقود قومه بني مرة، وهم أربع مئة (١)

الأحزاب إلى المدينة:

ووافى الأحزاب المدينة بعد ان فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حفر الخندق (٢) وكان الذين وافوا من قريش، وسليم، وغطفان، وأسد

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٤ وذكر ذلك باختصار أو بتفصيل في المصادر التالية: الاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩ إعلام الورى ص ٩٠ وفاء الوفا ج ١ ص ٣٠١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ / ٤٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ والوفا ص ٦٩٢ / ٦٩٣ والثقات ج ١ ص ٢٦٥، وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ / ٢٣١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ وراجع ص ١٠٢ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتاع ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣ و ٥١٤ والارشاد للمفيد ص ٥١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٧ عنه وص ١٩٧ و ٢٥١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ ومحمد في المدينة ص ٥٤ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩١

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣

عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان. فنزلت قريش برومة، ووادي العقيق في أحابيشها، ومن ضوي إليها من العرب. ونزلت غطفان بالزغابة إلى جانب أحد

وجعلت قريش تسرح ركابها في وادي العقيق، في عضاهه وليس هناك شئ للخيل إلا ما حملوه معهم من علف. وكان علفهم الذرة. وسرحت غطفان ابلها إلى الغابة، في أثلها وطرفائها وقدموا في زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. وأدخلوا حصادهم، واتبانهم. وكانت غطفان ترسل خيلها في اثر الحصاد - وكانت خيل غطفان ثلاث مئة - فيمسك ذلك من خيلهم لكن ابلهم كادت تهلك من الهزال. وكانت المدينة ليالي قدموا جديبة (١)

ويقول نص اخر: نزلت كنانة برومة، وغطفان بالزغابة إلى نقمي (٢)

= ص ٢٦٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ وغير ذلك

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤. وراجع اجمال أو تفصيل ذلك في: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ و ١٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢ و ١٠٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥ و ٥٢٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥

وعند البعض: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين الجرف وزغابة. ونزل عيينة ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد باب نعمان (أو ذنب نقمي) (١)

ونص اخر يقول: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومة، بين الجرف ورباعة (٢) ولعله تصحيف: زغابة

اما القمي فقال: نزلت قريش وحلفاءها من كنانة بالعقيق ونزلت فزارة بالزغابة ونزلت سليم وغيرهم حصن بني ذبيان (٣)

مناقشات وايضاحات:

ولنا فيما تقدم العديد من المناقشات والتحفظات، كما أنه يحتاج إلى بعض الايضاحات ونحن نذكر فيما يأتي نماذج لكلا هذين الامرين، فنقول:

تاريخ غزوة الخندق:

لقد اختلف المؤرخون في تاريخ غزوة الخندق. فقالت طائفة منهم: انها كانت سنة خمس من الهجرة: ذهب إلى ذلك الواقدي

---

(١) الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وفيه: انه واد بجانب أحد. وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ١٠٩ وفيه: نزلوا بنقمين وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣

(٣) تفسير القمي ج ٣ ص ١٨٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢١ عنه

وابن إسحاق، والمقريزي، والطبري، وابن الأثير، والبيهقي، والذهبي، وابن حبيب، وابن الكازروني والمقدسي، وابن القيم، وابن حجر، وابن العماد، والمسعودي. وكذا روي عن عروة، وقتادة واحمد. وغيرهم كثيرون، كما يتضح من المصادر في الهامش (١)

---

(١) لكي تجد القول بان هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة، إما بصورة قول تبناه المؤلف أو يذكره بلفظ قيل: راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ / ٤٤١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و ٢٤١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وصححه، وشذرات الذهب ج ١ ص ١١، ومختصر التاريخ ص ٤٢ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٦٤ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨ و ١٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٦ و ٢٠٨ عنه ونقله في ص ٢٧١ عن إعلام الورى لكن الموجود في إعلام الورى انها في الرابعة والمحبر ص ١١٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢١٩ والثقات ج ١ ص ٢٦٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ بلفظ: قيل. وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ والجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و ٢٨١ والتنبيه والاشراف ص ١١٥ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٠٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٦ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ عن ابن إسحاق والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ ونسبه إلى الجمهور. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٩ و ٤٨٠ عن ابن إسحاق وفتوح البلدان ج ١ ص ٢٣ وصفة الصفوة ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ والطبقات الكبرى ج ٢ ق ٢ ص ٤٧ و ج ٤ ق ١ ص ٦٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ وسيرة مغلطاي ص ٥٦

اما اليعقوبي فيقع في الغلط حيث يقول: إن الخندق كانت " في السنة السادسة، بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهرا (١) فان عدد الأشهر المذكور يقتضي أن تكون في السنة الخامسة لا السادسة، كما هو ظاهر

وثمة فريق آخر يقول: إن هذه الغزوة كانت في السنة الرابعة وهو ما ذهب إليه مالك، ورواه أحمد في مسنده عنه. وذهب إليه أيضا: ابن العربي وعياض، وابن حزم، وابن الديبع، والصاحب بن عباد وابن حبيب، وصححه ابن خلدون، والنووي في الروضة وقواه البخاري ورواه موسى بن عقبة عن الزهري، وبه قال الفاكهاني في رياض الافهام. ويعقوب بن سفيان (٢)

= والعبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والرصف ج ١ ص ٦٠ بلفظ قيل وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وتاريخ الاسلام للذهبي والمغازي ص ٢٠٥ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٩ / ٢٩٠

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ ط صادر

(٢) راجع المصادر التالية، فإنها قد ذكرة هذا القول: عنوان المعارف في ذكر الخلائف ص ١٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وقال: الثابت انها في الرابعة بلا شك. والمحبر ص ١١٣ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ وإعلام الورى ص ٩٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ وشرح صحيح مسلم للنووي بهامش ارشاد الساري ج ٨ ص ٦٤ والعبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وتاريخ الاسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٠٥ وص

بل قال ولي الدين العراقي: " المشهور انها في السنة الرابعة " (١)
ومقتضى هذا القول: ان أبا سفيان قد خرج لبدر الموعد في
شعبان ثم عاد وخرج إلى الخندق في شوال السنة الرابعة، كما ذهب
إليه البعض (٢) وعند الواقدي انها كانت في ذي القعدة
وقد حاول البيهقي الجمع بين هذين القولين، فقال: " قلت: لا
اختلاف بينهم في الحقيقة، وذلك لان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاتل يوم بدر
لسنتين ونصف من مقدمة المدينة في شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد
من السنة القابلة لسنتين ونصف من مقدمة المدينة في شوال، ثم قاتل
يوم الخندق بعد أحد بسنتين على رأس أربع سنين ونصف من مقدمة
المدينة
فمن قال سنة أربع أراد بعد أربع سنين، وقبل بلوغ الخمس
ومن قال: سنة خمس، أراد بعد الدخول في السنة الخامسة

= ٢٤٤ عن ابن عقبة عن ابن شهاب وعروة عن ابن عقبة والنووي
وشذرات الذهب ج ١ ص ١١ عن النووي، والجامع للقيرواني ص ٢٧٩
و ٢٨١ عن مالك، وسيرة مغلطاي ص ٥٦ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢
وعيون الأثر ج ٢ هامش ص ٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٣ و
٣٩٥ و ٤٠٠ و ٣٩٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠
ص ٣١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٦ ومرآة الجنان ج ١ ص ٩
والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع:
إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ وحدائق
الأنوار ج ١ ص ٥٢ متنا وهامشا عن الدرر في اختصار المغازي والسير
للقرطبي ص ١٧٩ وذهب إليه العاقولي في الرصف ج ١ ص ٦٠
(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٦

وقبل انقضائها (١)
ونقول:
إن الظاهر هو صحة قولهم: إن غزوة الخندق كانت في السنة الرابعة، وفقا لما اعتادوه من التاريخ، ولا حاجة إلى وجه الجمع الذي ذكره البيهقي ولا لغيره. وذلك لما يلي:
١ - لقد قوى البخاري القول بأنها كانت في السنة الرابعة بقول ابن عمر: ان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه. ثم عرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.. ومن المعلوم: أن أحد كانت في سنة ثلاث
وقد استدل بهذا أيضا النووي، وابن حزم، وابن خلدون وغيرهم (٢)

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥
(٢) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ و ج ٢ ص ٦٩ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وراجع: تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٥ و ٢٤٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وشرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بهامش إرشاد الساري) ج ٨ ص ٦٤. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ١٠٥ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ / ٣٤٤ بإضافة كلمة: " وأشف منها " والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١٠ و ٣١١ ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٣٠ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٦. والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة ج ٣ =

وقد احتمل البعض: ان يكون ابن عمر في غزوة أحد أول ما طعن في الرابعة عشرة. وفي الأحزاب كان قد استكمل الخامسة عشرة. وبهذا أجاب البيهقي (١)

ثم أيد البعض هذا الاحتمال بان أبا سفيان قال للمسلمين. حين انتهت حرب أحد: موعدكم العام المقبل ببدر

ثم لم يأت إلى بدر في ذلك الموعد، بسبب الجدب. وخرج إليها النبي (صلى الله عليه وآله) في شعبان سنة أربع، ورجع، ولم يلق كيدا. وهي الغزوة المسماة ببدر الموعد

فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد ذلك بشهرين لأجل غزوة الخندق (٢)

ويؤيد ذلك أيضا: قول البعض: " كانت وقعة الأحزاب بعد أحد بسنتين (٣)

ص ٦٣٢ و ٦٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ والغدير ج ١٠ ص ٤ عن البخاري، وفتح الباري، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٦ و ٧ وعن تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٦

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ وراجع دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ هامش ص ٣٩٥

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والطبقات الكبير لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١

(٣) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٦٧ أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمغازي للذهبي (تاريخ الاسلام) ص ٢٤٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٨

ونقول:
لو صح ما ذكروه لكان الفرق بين أحد التي هي في شوال السنة الثالثة، والخندق التي هي في ذي القعدة السنة الخامسة سنتين وشهرا. وهذا يعني: ان ابن عمر كان عمره في الخندق ست عشرة سنة
فإذا جاز أن يقول: إنه ابن أربع عشرة سنة، لأنه كان أول ما طعن فيها، كان عليه أن يقول: إنه كان في الخندق ابن ست عشرة سنة، لأنه كان طعن فيها أيضا بصورة اوفى. وذلك ليجري الكلام في صدره وذيله على نسق واحد
ولكان على عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب ان يجعلا العطاء لمن بلغ ست عشرة سنة، استنادا إلى قضية ابن عمر المذكورة، فكيف فرضا إلى ابن خمس عشرة سنة استنادا إلى ذلك؟! (١) وقد صرح ابن حزم بأنه قد صح انه لم يكن بين أحد والخندق إلا سنة واحدة فقط وانها قبل دومة الجندل بلا شك (٢)
اما قولهم: انه لا يعقل ان يأتوا المدينة بعد شهرين من بدر الموعد. فجوابه: ان ذلك معقول، إذا كان التعلل من قبل المشركين بالجدب كان جبنا منهم، وهروبا من المواجهة، ثم لما وجدوا الرجال والأموال، وجمعوا عشرة آلاف مقاتل أو أكثر بكثير، فلا شئ يمنعهم

---

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١١ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤
(٢) جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨

عن انتهاز الفرصة، في اي من الظروف والأحوال
٢ - ومما يدل على أن غزوة الخندق كانت سنة أربع: قولهم:
ان أبا زيد بن ثابت قد قتل يوم بعاث، وكان عمر زيد حينئذ ست سنين، وكانت بعاث قبل الهجرة بخمس سنين (١) وكان عمر زيد حين قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة إحدى عشرة سنة (٢)
ثم يقولون: ان أول مشاهد زيد الخندق (٣) لأنه (صلى الله عليه وآله) قد اجازه يوم الخندق (٤) وهو ابن خمس عشرة سنة (٥)
ويروى عن زيد قوله: أجازني رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق

---

(١) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٧ و ٣٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١
وراجع: شذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩
(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ عن زيد نفسه، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ والثقات ج ٣ ص ١٣٦ وصفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ وسير أعلام النبلاء
ج ٢ ص ٤٢٧ / ٤٢٨ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٥ و ٢٧ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٠٠ / ٢٠١ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ٥٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩
(٣) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وراجع: تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ عن الواقدي
(٤) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ عن الطبراني وص ٢٨٤ عن ابن عساكر
(٥) تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥

وكساني قبطية (١)
وعنه: أجزت يوم الخندق. وكانت وقعة بعاث وانا ابن ست سنين (٢)
وعنه: لم أجز في بدر، ولا في أحد، وأجزت في الخندق (٣)
وتوفي زيد سنة ثمان وأربعين، وسنة تسع وخمسون سنة (٤)
وقال الواقدي: مات سنة خمس وأربعين، وهو ابن ست
وخمسين سنة (٥) وكل ذلك يؤيد ما قلناه ويدل عليه
وأورد بعضهم على كون الخندق في السنة الرابعة بان من
المعلوم: ان غزوة بني قريظة قد كانت في السنة الخامسة، ومعلوم
انها كانت عقيب الخندق (٦)
وأجيب عن ذلك بان الخندق يمكن أن تكون قد استمرت إلى
أواخر الرابعة (٧) لا سيما إذا صح قولهم: انهم استمروا في حفر
الخندق شهرا (٨) وان الحصار قد استمر شهرا أيضا (٩) مع ملاحظة:
ان ابن سعد يقول: إن الخندق قد كانت في شهر ذي القعدة (١٠) هذا

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٢ وفي هامشه عن الطبراني وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩
(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠
(٣) الإصابة ج ١ ص ٥٦١
(٤) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١
(٥) صفة الصفوة ج ١ ص ٧٠٤ / ٧٠٥
(٦) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩
(٧) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ وراجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩
(٨) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤
(٩) ستأتي الأقوال في ذلك، حينما نتكلم عن مدة حفر الخندق في هذه الغزوة
(١٠) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠

بالإضافة إلى حصاره (صلى الله عليه وآله) الطويل لبني قريظة حسبما سيأتي وبعد ما تقدم نقول: إنه لا حاجة إلى الإفاضة في بيان خطأ قول البعض: ان الخندق كانت سنة خمس باتفاق المؤرخين باستثناء ابن خلدون (١)

غزوة الخندق في زمن الحصاد:

وذكرت النصوص الانفة الذكر: ان الأحزاب قدموا المدينة في زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. وادخلوا حصادهم وأتبانهم وكانت غطفان ترسل خيلها في اثر الحصاد - وكان خيل غطفان ثلاث مئة - فيمسك ذلك من خيلهم. لكن ابلهم كادت تهلك من الهزال. وكانت المدينة ليالي قدموا جديبة (٢)

ومن جهة ثانية، فان غزوة بني قريظة كانت بعد الخندق مباشرة ويذكر الزهري ان أبا لبابة الذي خان الله ورسوله فيها، قد ارتبط في المسجد في حر شديد (٣) وكان يوما صائفا (٤)

ومعنى ذلك هو ان الأحزاب قد قدموا المدينة في أواسط فصل الصيف، أو اواخره، لان الحصاد يكون عادة في أوائل فصل الصيف لا سيما في بلاد الحجاز المتميزة بشدة الحر فيها

وهذا يلقي ظلالا من الشك على ما يزعمونه من أن غزوة الخندق كانت " في أيام شاتية " (٥) أو " في برد

---

(١) محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تأليف محمد رضا ص ٢٢٧

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ والامتاع ج ١ ص ٢١٩ وسبل الهدى والرشاد وغير ذلك من مصادر تقدمت

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٠٧

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥١٤

(٥) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢

شديدا " (١) و " في زمن شات، وليال باردة كثيرة الرياح " (٢) وسيأتي ان عائشة كانت تدفئ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم يحفرون الخندق، كما يزعمون

وستأتي سائر النصوص والمصادر لذلك حينما نتكلم أسباب هزيمة الأحزاب وعن حفر الخندق

إلا أن يقال: إن الحصاد قد يستمر إلى الخريف، فلا مانع من البرد والشتاء حينئذ

هل أخطأ التقويم التطبيقي؟! وبالمناسبة فان كتاب " التقويم التطبيقي لألف وخمس مئة سنة هجرية قمرية وميلادية " (٣) قد ذكر ان أول شهر شوال للسنة الرابعة الهجرية يوازي ٦ شهر آذار سنة ٦٢٦ م وأول شهر ذي القعدة يوازي ٤ شهر نيسان وأول ذي الحجة يوازي ٤ ايار

اما في سنة خمس فان شوال وذا القعدة وذا الحجة توازي ٢٣ شباط حتى ٢٣ ايار

وهذا التطبيق يخالف ما ذكره المؤرخون في تاريخ غزوة الخندق

اما بناء على ما ذكره الواقدي فواضح، لأننا قدمنا ان مقتضى كلام الواقدي هو ان غزوة الخندق قد حصلت في أواخر الصيف وان

---

(١) الجامع للقيرواني ص ٢٨١ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ عن البخاري

(٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢

(٣) راجع الكتاب: تقويم تطبيقي هزار وبانصد سأله هجري قمري وميلادي قسم الجداول ص ١ تأليف: فردينا ندوو ستنفلد، وادوارد ماهلر

انصراف الحزاب من الخندق كان في الخريف

واما بناء على ما ذكره الآخرون، فان من الواضح: انهم يذكرون: ان الأحزاب قد انصرفوا في ليلة باردة شاتية، وان انصرافهم كان في أواخر ذي الحجة، اي في أواخر شهر ايار، ومن الواضح: ان الجو في الحجاز، وي المدينة لا يكون في هذا الوقت باردا ولا شاتيا فضلا عما يذكرونه من برد كان يقايسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم يحفرون الخندق - كما سيأتي - في شوال أو في ذي القعدة. فان الجو في المدينة يكون في هذه الأيام في اعدل أحواله. كما هو معلوم من حال منطقة الحجاز لكل أحد

مشاركة الحارث بن عوف في الخندق:

قد ذكرت النصوص المتقدمة: ان الحارث بن عوف قد شارك في حرب الخندق. ولكن قد روى الزهري وكذلك بنو مرة خلاف ذلك فذكروا: انه لما اجتمعت غطفان السير أبي الحارث بن عوف المسير، وقال لقومه:

" تفرقوا في بلادكم، ولا تسيروا إلى محمد، فاني ارى ان محمدا امره ظاهر. ولو ناواه من بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة " فتفرقوا في بلادهم، ولم يحضر واحد منهم (١)

وفي نص اخر: أنه قال لعيينة بن حصن، ولقومه من غطفان:

" يا قوم أطيعوني، ودعوا قتال هذا الرجل، وخلوا بينه وبين عدوه من العرب " فغلب عليهم الشيطان، وقطع أعناقهم الطمع، ونفذوا لأمر

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ وراجع: الاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩

عيينة على قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فاقبل طلحة في من اتبعه من بني أسد الخ (١) وقال المقريزي والحلبي الشافعي: " وقيل لم تحضر بنو مرة (٢) "

لكن الواقدي يصر على أن بني مرة قد شهدوا الخندق، بقيادة الحارث بن عوف، وهجاه حسان شعرا. وذكروا: انه كان بينه وبين النبي جوار. وقال الواقدي: " فكان هذا أثبت عندنا: انه شهدة الخندق في قومه. ولكنه كان أمثل تقية من عيينة (٣) "

وقال الواقدي أيضا: " لم يحضر الخندق الحارث بن عوف ولا قومه. ويقال: حضرها الحارث بن عوف. قال ابن واقد: وهو أثبت القولين عندنا " (٤)

أبو رافع قتل بعد أحد:

وقد ذكرت بعض النصوص أيضا أبا رافع اليهودي في جملة من حرض المشركين وحزب الأحزاب في غزوة الخندق (٥)

ونقول:

ان أبا رافع قد قتل كما يقولون في السنة الثالثة في جمادى

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتاع ج ١ ص ٢١٩

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤

(٤) المغازي ج ٤ ص ٤٧٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧

(٥) راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ والدر المنثور ج ٢ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣

والآخرة منها (١) وذلك بعد قتل ابن الأشرف، وقيل بعد أحد، وقيل في السنة الرابعة (٢) ولكن من الواضح ان ذلك كان قبل وقعة الخندق، التي كانت في أواخر الرابعة، واستمرت حتى الخامسة، هي وغزوة بني قريظة، كما رجحناه، أو كانت في السنة الخامسة ولو كان أبو رافع حيا في غزوة الخندق، لكان المناسب ان يذكر مقتله، بعد الخندق، لا بعد أحد، فراجع ولاحظ كلماتهم

هل كان أبو الأعور في الخندق؟!:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: ان أبا الأعور السلمي كان قائد بني سليم في غزوة الأحزاب ضد المسلمين (٣)

ولكن الظاهر هو صحة ما ذكره الواقدي وغيره، من أن أبي الأعور السلمي هو الذي حضر مع الأحزاب في حرب الخندق (٤)

ويدل على ذلك: قول قيس بن سعد للنعمان بن بشير: انه لم يكن مع معاوية غيره وغير صويحبه مسلمة بن مخلد (٥) كما سيأتي، فلو كان أبو

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٨٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٦.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٨٣

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٨٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩

(٤) راجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٨

(٥) صفين للمنقري ص ٤٤٩

الأعور صحابيا لم يصح قول قيس هذا. فيظهر ان الراوي أو الناسخ قد أسقط كلمة (أبا) الأولى، إما اشتباها أو سهوا، أو لحاجة في نفسه قضاها.

والذي نخشاه هو ان يكون هذا الاسقاط قد جاء لخدمة هدف سياسي من نوع ما، كأن يكون هو دعوى ان أبا الأعور قد لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه، وذلك بهدف الايحاء بصحة دعوى كون أبي الأعور من الصحابة، وذلك تدعيما لموقف معاوية بتكثير عدد الصحابة معه، وإيجاد شبهات حول بغيه على امام زمانه.

ولكن مراجعة كتب الرجال والتراجم توجب المزيد من الشك والريب في هذا الامر، فقد قال العسقلاني:

" قال ابن أبي حاتم، عن أبيه: أدرك الجاهلية، ولا صحبة له وحديثه مرسل. وتبعه أبو أحمد العسكري. وذكره البخاري في من اسمه عمر. ولكن لم يذكره في الصحابة.. إلى أن قال: وقال ابن حبان: في ثقات التابعين، يقال له صحبة " (١)

ونقل ابن منظور عن ابن عساكر قوله: " يقال: له صحبة.

ويقال: لا صحبة له " (٢)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٤٠ و ج ٤ ص ٩ وراجع: أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٩ و ج ٥ ص ١٣٨ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة ج ٤ ص ١٤)

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٩ ص ٢١٨

توثيق أبي الأعور!!:
والذي يلفت نظرنا هنا هو توثيقهم لأبي الأعور (١)، رغم تصريحهم بأنه كان أشد من عند معاوية على علي عليه السلام. وكان علي عليه السلام يدعو عليه في القنوت في آخرين (٢)
بل لقد قال ابن الأثير: " كان من أعيان أصحاب معاوية، وعليه كان مدار الحرب بصفين " (٣)
فمقام أبي الأعور لدى معاوية وخدماته لعرش الشام وضديته مع علي عليه السلام قد جعل الكثيرين ممن يسيرون في هذا الاتجاه يهتمون بصياغة الفضائل له، لأنها ستكون في نهاية الامر فضائل لمعاوية نفسه. ولعلهم أرادوا ان يلبسوه ثوب الصحبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل تكثير الصحابة عند معاوية، بهدف ايجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه، كما قلنا
وقد تعودنا من هذا النوع من الناس محاولات من هذا القبيل، تهدف إلى تقليل عدد الصحابة مع علي عليه السلام، وزيادتهم مع خصومه، حتى ليروون عن الشعبي أنه قال: " من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة فكذبه. كان علي وعمار في ناحية، وطلحة والزبير في ناحية " (٤)

---

(١) الإصابة ج ٢ ص ٥٤٠ و ٥٤١، ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٧
(٢) راجع: أسد الغابة ج ٢ ص ١٣٨ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ١٤
(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٩
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٨

ويظهر أن أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه قد التفتوا إلى هذا الامر ولذلك نجدهم يتحدثون عن حضور الصحابة معهم، ويعطون أرقاما دقيقة في هذا المجال

فقد رووا: أن ناسا من قراء أهل الشام لحقوا بعلي عليه السلام فقال عمرو بن العاص لمعاوية عن علي عليه السلام في جملة كلام له: " وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد صلى الله عليه المعدودين، وفرسانهم، وقرائهم، واشرافهم، وقدمائهم في الاسلام، ولهم في النفوس مهابة الخ.. ". فجمع معاوية أجناد أهل الشام وخطبهم، فبلغ عليا عليه السلام ذلك، فامر الناس فجمعوا. قال أبو سنان الأسلمي: " وكأني أنظر إلى علي متوكئا على قوسه، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه عنده، فهم يلونه و [كأنه] أحب أن يعلم الناس: أن أصحاب رسول الله متوافرين عليه، فحمد الله ثم قال الخ (١) "

وقال سعيد بن قيس في خطبة له: " وقد اختصنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، وفي حيزنا. فوالله الذي هو بالعباد بصير: أن لو كان قائدنا حبشيا مجدعا إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلا لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا الخ " (٢)

ويقول الأشتر في صفين: " وأنتم مع البدريين، قريب من مائة بدري، ومن سوى ذلك من أصحاب محمد صلى الله عليه " (٣)

---

(١) صفين للمنقري ص ٢٢٢ و ٢٢٣

(٢) صفين ص ٢٣٦

(٣) صفين ص ٢٣٨

وقد كان لهم اثر عظيم في الحرب ولا سيما الأنصار منهم كما اعترف به معاوية فراجع (١)
وقد قالوا: كان مع علي عليه السلام ثمان مئة رجل ممن بايع النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الشجرة
وعن سعيد بن جبير: كان مع علي رضي الله عنه يومئذ ثمان مئة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة
وعن الأعمش: كان معه ثمانون بدريا. وثمان ماءة من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) (٢)
وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام من أهل بدر سبعة وثمانون رجلا، منهم سبعة عشر رجلا من المهاجرين وسبعون من الأنصار. وأما من باقي الصحابة فكان معه الف وثمان مئة، منهم تسعون رجلا بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت الشجرة " (٣)
ويعترف معاوية بان المهاجرين والأنصار كانوا مع علي عليه السلام، فهو يقول لابن عباس: " فاذكروا علي بن أبي طالب ومحاربته إياي، ومعه المهاجرون والأنصار، الخ.. " (٤)

---

(١) صفين ص ٤٤٥ - ٤٤٩
(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٤٥٠
(٣) تذكرة الخواص ص ٨١ / ٨٢ وراجع: المعيار والموازنة ص ٢٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ والغدير ج ١٠ ص ١٦٣ عن بعض المصادر الأخرى
(٤) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٢٣٩

وقال قيس بن سعد للنعمان بن بشير: " انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان، الذين رضي الله عنهم، ثم انظر، هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك الخ " (١). والمراد بصويحبه: مسلمة بن مخلد

آية سورة النساء متى وفيمن نزلت:

لقد تحدثت النصوص التاريخية المتقدمة عن قوله تعالى: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله، فلن تجد له نصيرا. أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا. أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الخ " (٢)

فذكرت ان هذه الآيات قد نزلت في هؤلاء اليهود الذين ذهبوا إلى مكة، وإلى سائر القبائل ليحرضوهم على قتال النبي (صلى الله عليه وآله) فجمعوا الجموع، وحزبوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق.

ونقول:

إننا نشك في أن تكون هذه الآية قد نزلت في هذه المناسبة وذلك لما يلي:

١ - هناك روايات تقول: إن هذه الآية قد نزلت في مناسبة أخرى سبقت غزوة الخندق. وذلك لما ذهب كعب بن الأشرف إلى

---

(١) صفين ص ٤٤٩ وراجع ابتداء من ص ٤٤٥

(٢) سورة النساء / ٥١ - ٥٤

قريش، يحرضهم على غزو المسلمين، فسألوه عن أن أي الفريقين أهدى، فأجابهم بما يقرب مما سبق، وذكروا أيضا انهم طلبوا منهم أن يسجد لأصنامهم، ليطمئنوا إلى أنه لا يمكر بهم. ففعل، مجاراة لهم

وظاهر بعض النصوص الأخرى أن هذه الآيات قد نزلت في مكة قبل الهجرة حيث ذكرت نزول سورة الكوثر في هذه المناسبة أيضا، وهي انما نزلت قبل الهجرة (١) إلا أن يقال: إنها مما تكرر نزوله

٢ - قيل: كان أبو برزة كاهنا في الجاهلية، فتنافس إليه ناس ممن أسلم، فنزلت الآية. عن عكرمة (٢)

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٣ عن الطبراني، والبيهقي في الدلائل عن عكرمة عن ابن عباس. وعن سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن عكرمة مرسلا. وعن أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وعن عبد الرزاق، وابن جرير عن عكرمة. وعن ابن جرير عن مجاهد. وعن عبد بن حميد، وابن جرير عن السدي، عن أبي مالك. وعن البيهقي في الدلائل، وابن عساكر في تاريخه عن جابر عن عبد الله. وعن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة والجامع لاحكام القرآن ج ٥ ص ٢٤٩ ومجمع البيان ج ٣ ص ٥٩ والتفسير الكبير ج ١٠ ص ١٢٨ والتبيان ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ والبحر المحيط ص ٢٧١ والنهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ٣ ص ٢٧١ والكشاف ط دار الفكر ج ١ ص ٥٣٢ وجامع البيان ج ٥ ص ٨٥ و ٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣ وفتح القدير ج ١ ص ٤٧٨ و ٤٧٩ وتفسير الخازن ج ١ ص ٣٦٨ ومدارك التنزيل للنسفي (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ١ ص ٣٦٩

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٥٩

توضيح وتصحيح:
ان القصة التي يحكيها المؤرخون قد فرضت وجود فريقين هما: جماعة اليهود، والمشركون. وقد سأل المشركون اليهود عن الاهدى هم؟ أم المسلمون؟ فأجابهم اليهود: أنتم أولي بالحق. مع أن الآية تفرض الفريقين يتحدثان عن فريق ثالث أشير إليه بقولهم: هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا. أي ان اليهود قالوا للمشركين: هؤلاء أهدى، ولم يقولوا لهم: أنتم اهدى. فلا ينطبق مدلول الآية على روايات المؤرخين، سواء رواية كعب بن الأشرف، أو حيي بن اخطب، أو رواية أبي برزة الانفة الذكر
إلا أن يقال: في الآية التفات من الخطاب بالضمير إلى الإشارة بكلمة. هؤلاء. والالتفات موجود في القرآن
والنكتة المسوغة لهذا الالتفات هي: أن الله سبحانه قد قال: " ويقولون للذين كفروا " فجاء بصيغة المضارع ليفيد ان هذا النهج في التعامل مستمر في هذا النوع من الناس. وليست القضية قضية مضت وذهبت، قد يكون لها ظروفها ومبرراتها، فلا تمثل خطا مستمرا لهؤلاء الناس
فلما عبر تعالى عما حدث بصيغة المضارع، فإنه لم يعد بالامكان أن يقول: " أنتم أهدى "، لان الخطاب لما صار فعليا فيحتمل فيه ان يكون موجها لهؤلاء الناس الذين يسمعون الآية من النبي (صلى الله عليه وآله)، ويخاطبهم (صلى الله عليه وآله) بها، ويحتمل ان يكون خطابا للكافرين
أيضا

فهو من قبيل ما لو قلت لرجل: زيد قال لعمرو: أنت رجل فاسق، فكلمة أنت رجل فاسق يحتمل فيها أن تكون موجهة لمخاطبك أنت، ويحتمل أن تكون موجهة لعمرو

إذن، فلا بد في الآية من التصرف في خطاب أولئك الناس والاتيان بالمضمون بطريقة تدفع هذا الالتباس. وهكذا كان، فإنه تعالى استخرج مضمون كلامهم وهو ان هؤلاء اي الكفار المشركون الذين خاطبهم أهل الكتاب (وهم غير من يخاطبهم النبي بالقرآن فعلا)، أهدى من المؤمنين

فاتضح ان الآية لا تنافي سياق الحدث التاريخي الذي هو مورد البحث

تحريض اليهود:

لقد رأى اليهود عن كثب كيف ان المسلمين يزدادون قوة ويزداد الاسلام انتشارا باستمرار

ويرون ان نفوذهم كمصدر وحيد للمعارف بدأ ينحسر ويتلاشى وها هو الاسلام ينتقد ما يدعيه اليهود من ذلك ويفنده، ويبين الصحيح من المزيف منه. وهو بذلك يزلزل مكانتهم، ويفقدهم الشئ الذي كانوا ولا يزالون يعتزون ويفتخرون ويتسامون به على الناس

ويبطل مزعمتهم بأنهم شعب الله المختار، ويرفع شعار: " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " ولا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى.

فاحترقت قلوبهم يالغيظ وطفحت بالحقد. وتآمروا على هذا الدين ونقضوا عهودهم التي قطعوها على أنفسهم، وجروا على أنفسهم

البلاء والعناء. وكانت واقعة بني قينقاع، ثم واقعة بني النضير.
وهم يريدون ان يأخذوا بثأرهم حسب زعمهم. ولكنهم يدركون عجزهم عن ذلك بأنفسهم، فالتجأوا إلى تأليب قريش والعرب الموتورين من الاسلام، والطامعين بتحقيق مكاسب مالية وغيرها من حرب كهذه.
ويقول القاضي النعمان ما ملخصه: إن يهود المنطقة، وهم أهل نعم وأموال، وأصحاب رياسة، قد أزعجهم انتشار الإسلام، لانهم رأوا أنهم يفقدون هيمنتهم على المنطقة وعلى أهل الشرك الذين يكذبون بالبعث، فجحدوا رسول الله وشككوا الآخرين ما أمكنهم بنبوته. فلما كان من أمر أحد ما كان ندموا على عدم المساعدة على حرب محمد، لأنهم رأوا أنها كانت فرصة. ولو أقام المشركون على الحرب لظفروا بالمسلمين فأرسلوا إلى أبي سفيان ووعدوه النصر، فوجد أنها فرصة. وطلب منهم ان يعلنوا للناس بتكذيب محمد، لأن الناس يركنون إليهم، لأنهم أهل كتاب.
فمضى وجوههم وساداتهم إلى مكة، وشهدوا للمشركين بأنهم أهدى من محمد سبيلا، فوثقوا بهم، ومشوا معهم إلى قبائل العرب ليقنعوهم بحرب محمد (صلى الله عليه وآله) واستأصاله، وتعاقدوا على ذلك الخ (١)
الداء الدوي:
قد اتضح مما تقدم: أن اليهود كانوا هم الذين خططوا لحرب الخندق، واتصلوا بقريش وبغطفان، وسائر القبائل، وحرضوهم،

---

(١) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩١

وشجعوهم، وساعدوهم على التفاهم والاتفاق ثم المبادرة إلى غزو النبي محمد، والمسلمين في المدينة وبذلوا لهم من أموالهم ثلث ثمار خيبر أو أكثر من ذلك.

وقد بدا واضحا من سير الأحداث ان اليهود أشد حقدا وحنقا على الاسلام والمسلمين. وانهم رغم كل الآيات والحقائق التي كانوا يعرفونها ويشاهدونها لم يستطيعوا ان يتفاعلوا مع هذا الدين، ولا تذوقوا طعم الايمان به. إلا أفراد قليلون منهم وفقهم الله لنيل هذه الكرامة والفوز بهذا الشرف العظيم من أمثال مخيريق الشهيد السعيد رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

ثم إنهم منذ دخل الاسلام إلى المدينة لم تجتمع لهم هم كلمة على حربه، لأنه دخل قويا عزيزا بتحالفه مع القبائل ذات النفوذ في المنطقة، ولا سيما الأوس والخزرج. ثم من عقد النبي (صلى الله عليه وآله) تحالفات معهم بين الحين والاخر.

ولم يزل اليهود في موقع الضعف والهوان في قبال عز الاسلام ومنعته، ونفوذه وشوكته. فالتجأوا منذ اللحظة الأولى إلا مناوأته بأساليب التأمر والغدر والخيانة، وإذكاء الفتن، وإثارة النعرات العرقية وغيرها، وكان هذا هو السبيل الذي اختاروه لأنفسهم، بعد أن صدوا عن سبيل الله، واتخذوا آيات الله هزوا.

أما المشركون فإنهم حين يستجيبون لليهود، فإنما يستجيبون لانقاذ سمعتهم، واستعادة هيبتهم التي اهتزت وأصيبت بنكسة قوية بسبب تخلفهم عن بدر الموعد. لدواعي حقد دفين يعتل في نفوس الكثيرين منهم. أو إلى نوازع الطمع والجشع وحب الحصول على شئ من حطام الدنيا كتمر خيبر، لدى كثيرين آخرين، كما ويستجيب

فريق آخر لنداء الشيطان، الذي يزين لهم أعمالهم ويعدهم ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فيصرون على الجحود وعلى الاستكبار والعتو والعلو. وإن ربك لبالمرصاد.

ولكن حين يفرض الايمان والاسلام نفسه عليهم، فإنك تجد الامر لا يصل في صعوبته وتعقيده إلى الدرجة التي نجدها عند اليهود رغم وضوح الامر لدى اليهود، حتى إنهم ليعرفون هذا النبي كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، وليس الامر بالنسبة للمشركين كذلك، إلا انهم يرون المعجزات والكرامات، ويقيم صلى الله عليه وآله وسلم عليهم الحجة، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

هذا، ومن المضحك المبكي هنا: أننا نجد اليهود يريدون ان ينتصروا على محمد والمسلمين بواسطة قريش والقبائل العربية، وقريش تريد ان تحقق هذا الهدف بالذات بالإفادة من خيانة اليهود، ومساعدة قبائل غطفان وغيرها.

أما غطفان وغيرها من القبائل العربية فتريد الحصول على المال ولكن بالاعتماد على جهد القريشي وكيد اليهودي. ولم يكن اهتمامهما باستئصال شأفة الاسلام والمسلمين يصل إلى درجة اهتمام قريش واليهود بذلك - كما ربما يظهر من بعض المؤلفين

أهداف الحرب

اما اهداف الحرب فهي كما يظهر من كلامهم السابق استئصال محمد ومن معه، ولكننا إذا أردنا تحديد ذلك بدقة، فإننا نقول: لقد حدد علي عليه السلام هدف الأحزاب والعرب من الحرب وقال: " إن

قريشا والعرب تجمعت، وعقدت بينها عقدا وميثاقا، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب " (١)

ونعتقد: أن هذا الكلام هو الأقرب والأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب، فان كلامهم المتقدم في النصوص التي أوردناها، وإن كان ينص على استئصال محمد ومن معه، إلا أن استئصال جميع من مع النبي من الأوس والخزرج، وسائر قبائل العرب لن يكون سهلا ولا ميسورا لهم. ولا يمكن لهم ان يقدموا على اذكاء نار قد لا يمكنهم اطفاء لهيبها على مدى أجيال

ولسوف ينالهم

منها الشئ الكثير والخطير كما هو معلوم..

اما قتل محمد وبني عبد المطلب، فهو الأسهل والأيسر، وبه يتحقق المطلوب، ولماذا يذهبون إلى أبعد من ذلك؟!

غير أن من الواضح: ان هذا لن يقنع اليهود، لان هدفهم هو استئصال محمد وجميع من معه. ولعل ذلك يفيدهم في إعادة بسط هيمنتهم ونفوذهم على يثرب وعلى المنطقة.

اما غطفان وسائر القبائل فيهمها تمر خيبر بالدرجة الأولى، اما استئصال محمد والمسلمين فلا ترى فيها أية سلبية، بل هو أمر محبوب بالنسبة إليها ومطلوب

الأحقاد هي المحرك

قد قرأنا فيما سبق: ان اليهود يقولون للمشركين: " جئنا

---

(١) الخصال - باب السبعة - ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٨٧ والاختصاص ص ١٦٦ / ١٦٧

لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله ". فأجابهم أبو سفيان: " مرحبا واهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد ".

والذي نريد ان نلفت النظر إليه هنا، هو ان هؤلاء الناس لم يكلفوا أنفسهم حتى تلطيف عباراتهم، وعقلنة تصريحاتهم. بل اظهروا كل ما يضمرونه من سوء دونما رادع من خلق، أو وازع من عقل أو شرف أو منطق

فلم يقولوا لأهل مكة مثلا: اننا جئنا لأجل ان نتدارس الأمور، بموضوعية وانصاف، ثم بحكمة وبمسؤوليه، واضعين في حسابنا الحفاظ على المصالح الاجتماعية العامة، وتوفير الامن والاستقرار للناس، وتجنيبهم مأسي الحروب وسلبياتها على جميع الأصعدة، وفي مختلف الاتجاهات، واعطاء الناس الفرصة لبناء حياتهم بناء سليما، ثم الاعداد لمستقبلهم، في ظلال من السلام والامن، وفراغ البال واطمئنان الخاطر

كما أنهم قد أخفوا ما يضمرونه من الطموح إلى تحقيق مكاسب سياسية، وامتيازات على صعيد النفوذ والهيمنة على المنطقة، أو فيما هو أوسع منها

ولم يعترفوا أيضا: ان مصالحهم الدنيوية، وما فيها من أموال وتجارات ومواقع ومناصب، ولذائذ لها دور في اندفاعهم إلى حرب محمد ومن معه، لظنهم انهم سوف يخسرون الكثير مما سيتأثرون به لأنفسهم على حساب غيرهم من الناس المستضعفين والمحرومين

بل غاية ما صرحوا به هو ان دافعهم ليس الا الأحقاد والضغائن، والعداوات الباطلة، والبغي والحسد، بل مبرر ظاهر سوى انهم لا يريدون لهؤلاء الناس ان يقولوا: ربنا الله، وليس الحجارة

ولا يريدون ان يتخذوا الطواغيت أربابا من دون الله
وصدق الله تعالى حيث يقول: " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " (١)
يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه:
قد عرفنا: ان اليهود أمنا قدموا مكة ليتحالفوا ويتعاقدوا مع المشركين على استئصال محمد (صلى اله عليه واله) ومن معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: " نحن معكم حتى نستأصل محمدا " أو " سنكون معكم حتى نستأصله ومن معه "
كما أنهم وهم يقررون ما ينعقدون عليه، قالوا: " ولتكون كلمتنا واحدة على هذا الرجل ما بقي منا رجل "
وذلك يعني:
أ - ان هدفنا المعلن هو استئصال شأفة الاسلام والمسلمين
٢ - انهم مصممون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتى آخر رجل منهم
٣ - ان هذه المبادرة منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم ومواثيقهم التي كانوا قد ابرموها مع نفس الذي يريدون استئصالهم مع العلم بان ذلك الطرف لم يزل وفيا بعهده حافظا لمواثيقه معهم، ولم يحدث ان خان أو تردد في عهد مع اي فريق منهم. ولم يسئ إليهم ولا إلى غيرهم بشئ الا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتالية

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢

وهم يرتكبون هذه الخيانة رغم انهم قد رأوا بأم أعينهم عواقب خيانة بني قينقاع، ثم خيانة بني النضير، وأكثرهم نضيريون – كما تقدم

٤ – ان مبرر هذا الاجرام العظيم والبشع هو مجرد الحسد والحقد منهم. بالإضافة إلى مكاسب سياسية، واجتماعية وغيرها يحلمون بتحقيقها على مدا البعد من خلال فرض هيمنتهم على المدينة وعلى غيرها بصورة وبأخرى

فلم يكن الهدف عقيديا ولا انسانيا ولا أخلاقيا. بل هم قد داسوا باقدامهم الانسانية والخلاق وحتى مبادئهم وعقيدتهم التي يدعون انهم ينتسبون إليها وهذا هو منتها الاسفاف، وغاية التردي في حماة الجريمة والبغي

الايمان والمواثيق لا تجدي:

وبعد، فان الملفت للنضر هنا اننا نجد اليهود يفقدون صفة الأخلاقية والمبدئية في مواقفهم، وفي مجمل تحركهم في مواجهة الاسلام والمسلمين. وكذلك نجد المشركين خصوصا أبا سفيان لا يختلف عن اليهود في ذلك..

فأبو سفيان يحاول ان يخدع قومه في حركته الهادفة إلى دفعهم إلى مواجهة الاسلام، حيث إن اليهود يتصلون به أولا، ثم يتفق معهم على دعوة الناس إلى استئصال النبي، وحين يطلبون ذلك من الناس علنا يظهر أبو سفيان بمظهر من يسمع هذا الكلام لأول مرة!!

ثم إنهم يصرحون بأنهم جاؤوا للتحالف على العداء لمحمد، فلم

يكن هذا المجئ. لمحاولة فهم دعوة هذا الرجل، والتعامل معه ومعها بانصاف وبموضوعية، وتعقل وتدبر كما أسلفنا

كما أنهم يفضلون الاتصال أولا بابي سفيان، ولم يكن المبرر لذلك الا انهم يعلمون بعداوته لرسول الله، وتسرعه لقتاله، فهم يريدون إذن توظيف حالة الحقد غير المسؤول لدى أبي سفيان، وحالة التسرع اللا واعي عنده لصالح تحقيق الاهداف التي يرمون إلى تحقيقها

أضف إلى ما تقدم: انهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمة التضليل الاعلامي والتعليمي، ومخالفة قناعاتهم، وحتى أصول دينهم في هذا السبيل، فهم يقررون للمشركين أن الشرك أهدى من التوحيد وأن دعوى الجاهلية خير من الهدي الإلهي

هذا كله عدا عن استخدامهم المال أيضا كوسيلة لتحريك بعض الفئات لحرب محمد (صلى الله عليه وآله) ومن معه

وإذا صحت الرواية التي تقول: إن أبا سفيان قد طلب من اليهود ان يسجدوا للأصنام لان قريشا خافت من مكرهم، فاستجاب اليهود وسجدوا للأوثان. وكذلك فعل كعب بن الأشرف ومن معه، حين جاؤوا في مرة سبقت حرب الخندق لتحريض المشركين على حرب محمد - إذا صح ذلك - فان الامر يصبح في غاية الوضوح، حيث يكون اليهود قد أسقطوا عن وجوههم جميع الأقنعة، وتجاوزوا كل حد، وكل الأرقام القياسية في سحق المثل والقيم، والمبادئ الأخلاقية والانسانية وأثبتوا أنهم وصوليون بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

والغريب في الامر: أننا نجدهم يعتمدون على الايمان والمواثيق

لاحكام أمرهم مع المشركين، وللحصول على الحد الأدنى من الاطمئنان والوثوق ببعضهم البعض. رغم انهم قد مارسوا - عمليا - أساليب من شأنها أن تنسف كل عوامل الثقة ولو بمستواها الأضعف والأدنى..

وإلا، فهل يمكن أن يكون المشركون قد وثقوا باليهود لمجرد أنهم قد رأوهم يسجدون للأوثان؟!

وهل اعتقد المشركون: أن اليهود قد تركوا يهوديتهم، ودخلوا في الشرك؟!

وإذا كانت الإجابة بالنفي، فما معنى وثوقهم بأيمانهم ومواثيقهم؟! وما معنى اطمينانهم إلى عدم مكرهم بهم، وخديعتهم لهم؟!

أليست نفس استجابتهم لطلب المشركين بالسجود للأوثان دليلا على أنهم لا عهد، ولا ميثاق، ولا أيمان لهم؟ بل هي دليل على أنهم يخادعونهم ويمكرون بهم، ويريدون استخدامهم فيما يريدون بأية صورة كانت، وبأي ثمن كان؟!

ألم يدرك المشركون: أن وثوقهم باليهود استنادا إلى ذلك معناه انهم يخدعون أنفسهم؟! ويظهرون للملأ: انهم على درجة كبيرة من الرعونة والسذاجة؟!

٢ - ومما يزيد في ضراوة هذه الشكوك: اننا نجد اليهود، حين سألهم المشركون عن ذلك، قد طلبوا من المشركين ان يعرضوا عليهم دينهم ودين محمد، ليحكموا لهم أو عليهم

فلما عرضوا ذلك عليهم أصدروا حكمهم لصالح دين

المشركين، وانهم أولي بالحق كما تقدم. والسؤال هنا هو هل صحيح ان اليهود كانوا لا يعرفون دين المشركين. الذين يعيشون بينهم ويتعاملون معهم منذ عشرات السنين؟!

وهل كان المشركون أعرف بأمر محمد (صلى الله عليه وآله) وبدعوته، من اليهود، وهو يعيش بين ظهرانيهم، وقد عقدوا معه التحالفات وخاضوا معه الحروب، ولم يزل يدعوهم إلى دينه ويحتج عليهم وقد جاؤوا ليحرضوا الناس على حربه واستئصاله؟!

٣ - والأغرب من ذلك ان يخطر ببال أحد من المشركين وغيرهم: ان يجيب اليهود، الذي جاؤوا للتحريض على استئصال محمد، بغير ما أجابوا به!!

٤ - والأعجب من ذلك: أن يعتبر الشرك دينا يصلح للمقارنة مع ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى

تمر خيبر:

بقي أن نشير أخيرا إلى هذا السخاء الذي تجلى في اليهود حتى جعلوا تمر خيبر سنة، أو نصفه كل سنة لغطفان لتوافق على المشاركة في الحرب ضد الاسلام

ولا ندري ما هو الدافع لهم للاقدام على هذه الخطوة فهل كان هذا يستبطن غدرا ونقصا كما هو معروف عن اليهود أي انهم بعد ان يتخلصوا من عدوهم الأقوى والأخطر بنظرهم يرفضون الوفاء بما تعهدوا به لغطفان

وهل فكرت غطفان في هذا الامر بصورة جدية وواقعية؟!

وما هو المبرر لهذه العداوة الراسخة من اليهود للاسلام ولنبي الاسلام؟!

وكيف نفسر هذا السخاء الذي لا نظير له من قوم لم نعرف عنهم الا المزيد من الحرص على المال وعلى الدنيا، والا الشح المزري، والبخل المشين؟!

هذا السخاء قد جاء من أجل استئصال أناس لم يروا منهم الا الوفاء والصدق، والنبل والالتزام بالقيم الانسانية والمثل العليا!!

إن التفسير الوحيد المعقول لذلك هو انهم يشعرون ان الاسلام يمثل خطرا يتهدد دنياهم وامتيازاتهم، وهو يتناقض بصورة عميقة وأساسية مع ما يفكرون به، ويخططون له من استغلال لثروات البلاد، واذلال واستعباد للعباد

فلماذا إذا، لا يضحون ببعض المال من أجل إزاحة هذا الكاسبون الجاثم على صدورهم، فإذا تمكنوا من ذلك، فإنهم سوف يستقبلون الدنيا العريضة بكل ما لديهم من خطط ماكرة، وأساليب شيطانية، تجعلهم يتحكمون بكل مقدرات الأمم، ويهيمنون على كل نبضات الحياة فيها

تأثير المال في تحزيب الأحزاب:

وان من الواضح: انه لم يكن لقوى الكفر قيادة موحدة، ترسم الخطة، ثم تتخذ القرار، ثم تعمل على تنفيذه. بل كانت لهم قيادات متعددة ومختلفة، وذلك من شأنه ان يضعف امرهم، ويوهن وحدتهم، مع وجود فرص تساعد على القاء الخلاف فيما بينهم

واذكاء روح التنافس، واشاعة روح التشكيك ببعضهم البعض كما حصل لبني قريظة

كما أن من البديهي: انه لم يكن بامكان كل قبيلة ان تستقل بعداوة محمد وقتاله. وكانت كل قبيلة تخشى من مواجهة المؤمنين وحدها. فكان لا بد من تفاهم القبائل فيما بينها لتحصيل اجماع على الاجتماع على قتال محمد وصحبه. فبادر اليهود إلى العمل لتحصيل هذا الاجماع، على أمل ان يحسموا الامر لمصالحهم، ويكونون بذلك قد تأثروا لأنفسهم، وتصبح - من ثم - لهم هم الكلمة الأولى والأخيرة في المدينة على الأقل، ويكون لهم النفوذ والتأثير القوي في المنطقة بأسرها.. ثم إنه قد كان من جملة العوامل التي ساعدت على تجييش الجيوش وتحزيب الأحزاب، هو الوعود المالية السخية للناس، إذا نفروا لحرب المسلمين. حتى لقد رفض بنو مرة نصيحة الحارث بن عوف، إذ قد " غلب عليهم الشيطان، وقطع أعناقهم الطمع " (١)

الارهاب الفكري والخداع للسذج

وقد أظهر النص المتقدم ان قريش - والظاهر أن المقصود هو الزعماء منها - إرادة خداع السذج والبسطاء من الناس بالاستفادة من حالة الانبهار باهل الكتاب، التي كانت لدى عامة الناس في المنطقة العربية، التي كانت حين ظهور الاسلام تعاني من الجهل الذريع، الذي مكن لشياطين أهل الكتاب ان يصوروا لهم: انهم هم مصدر العلوم والمعارف، وهم المرجع الموئل والمفزع للناس فيما يهمهم من أمور الدين، والمعارف الدينية

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠

واستطاع أهل الكتاب ان يمسكوا بعواطف الناس، البسطاء
والسذج والجهلة باستخدام طريقة التهويل والإحالة على الغيب الذي
يضعف أقوى الناس امامه إذا كان يلامس مصيره ومستقبله بصورة أو
أخرى
والملفت هنا: ان يستغل زعماء قريش هذه الفرصة للاستفادة
من هذا الانبهار من أجل سوق الناس بالاتجاه الذي يريدون، ويرون
انه يتحقق لهم مأربهم، ويوصلهم إلى أهدافهم الشريرة
فيطلبون من الناس: ان يسألوا اليهود عن الاهدى من الفريقين:
أهم بشركهم وضلالاتهم؟ أم محمد (صلى الله عليه وآله) وما جاء به من عند ربه من
الهدى؟ ويأخذ أبو سفيان هنا زمام المبادرة ليلقي سؤاله بطريقة فنية
وذكية، حينما ضمن كلامه خليطا من الأمور التي ترضي آنئذ غرور
الانسان العربي والقرشي على وجه الخصوص، بملاحظة طبيعة
حياته، وعاداته وموقعه، ككونهم ينحرون الجزور الكوماء، ويسقون
الحجيج، وكونهم عمار البيت، ثم هم يعبدون الأوثان
فيفهم اليهود ما يرمي إليه ويناغمونه الكيد والتزوير. ويحكمون
لهم بأنهم أولي بالحق من محمد بالاستناد إلى نفس ما أراد أبو سفيان
ان يستندوا إليه والقى إليهم به
الحارث بن عوف ينصح قومه:
ويستوقفنا هنا ما قاله الحارث بن عوف لقومه، وهو ينهاهم عن
المسير إلى حرب محمد (صلى الله عليه وآله)، فإنها نصيحة مهمة تعبر عن ادراك
حقيقي لما يجري، ثم هو يقيم الواقع بصورة متوازنة، وعاقلة، حيث

عبر لهم عن اعتقاده ان أمر الاسلام ظاهر وغالب، ولو ناواه ما بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة

ونعتقد: انه قد أدرك هذا الامر بحسن تقديره للأمور، وهو يراقب ما يطرح هذا الدين للناس من مفاهيم وتشريعات، وما يمارسه من تدابير وسياسات تنسجم مع احكام العقل والفطرة السليمة، ومع الخلق السامي والنبيل ثم هو يرى الواقع السياسي، وكل التحولات التي تستجد على المنطقة بصورة مطردة ومستمرة، ويرى ان هذا الدين لا يزال ينتشر، ويتجذر، ويترسخ وتتنامى هيبته وتتأكد هيمنته، رغم كل الكيد الذي يواجهه به أعداؤه، وكل الحقد الذي يعامله به مناؤوه

عقدة بدر الموعد:

وان الماح صفوان بن أمية إلى ما جرى في بدر الموعد، ليدل دلالة واضحة على أن المسلمين قد سجلوا فيها نصرا مؤزرا للاسلام وهزيمة روحية وسياسية ساحقة لكبرياء الكفر والشرك ليس في مكة وحسب، وانما في المنطقة بأسرها. ولكن من دون ان يكلف ذلك المسلمين أية تضحيات، بل هم قد ربحوا في تجاراتهم في سوق بدر، حسبما تقدم بيانه

عيينة بن حصن والمعاني الانسانية:

ربما يفهم من كلام البعض: ان الحارث بن عوف كان يرتبط مع النبي (صلى الله عليه وآله) بجوار، لكنه اعتبره أحسن تقية من عيينة بن حصن

ولعل السر في ذلك هو: ان الحارث، وإن كان قد نقض
الجوار، الذي قد يقال: إنه يعني الالتزام بعدم الاعتداء، حفظا
للجوار، مع أن البعض كالزهري، وبني مرة ينكرون ان يكون الحارث
قد فعل ذلك، ويصرون على أنه لم يحضر حرب الخندق
الا ان عيينة قد زاد على ما فعله الحارث: انه لم يحفظ
الجميل، بل جازى الاحسان إليه بالإساءة، ولكنها إساءة جاءت على
درجة كبيرة من القبح، لأنها تضمنت خروجا على كل الأعراف،
والقيم، وحتى أعراف الجاهلية. فقد تقدم ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله
وسلم كان قد سمح لعيينة، حينما أجدبت ارضه: ان يرعى
في منطقة نفوذ وسيطرة وحاكمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،
لينقذهم من الخطر الذي يتهددهم، ويساعدهم على التغلب على
المشكلة الحياتية التي يعانون منها، رغم انهم كانوا يختلفون معه
(صلى الله عليه وآله)، من جهة انهم كانوا على شركهم وضلالهم. ففعل (صلى الله
عليه وآله) ذلك
من دون اي مقابل، ودون ان يسجل لنفسه اي امتياز
وقد عرف عن العرب انهم يعتزون ببعض المعاني التي يرون
فيها شيئا من القيمة، مثل: حسن الجوار، وحفظ الجوار، والوفاء
بالعهد، ومقابلة الاحسان بمثله. ويعتبرون ذلك هو الرصيد الذي
يؤهلهم لاحتلال مواقع اجتماعية متميزة، حتى إذا ما تبين لهم ان أحدا
لا يملك شيئا من هذا الرصيد، فإنه يبوء بذل العمر، وعار الدهر،
وهو عندهم ساقط ومرذول، أو هكذا زعموا
ولكن الأمور عند هؤلاء الناس قد انعكست الآن، حيث أصبح
العداء للاسلام ولنبي السلام هو العمل الصالح عندهم الذي يبيح لهم
كل محرم، وتتهاوى وتسقط معه كل قيمهم ومثلهم، التي يعتزون بها،

ويعطون الأوسمة والامتيازات من خلالها وعلى أساسها
فنقض العهود، وخفر الجوار، والإساءة لمن أحسن، وكل خزي
وعار لم يعد مهما عندهم إذا كان ذلك في قبال محمد (صلى الله عليه وآله) وضد
الاسلام والمسلمين. بل إن هذه المخازي قد أصبحت أوسمة لهم،
ومن دواعي تأكيد شخصيتهم، وبسط هيمنتهم بزعمهم
والا، فكيف نفسر احتفاظ عيينة بن حصن، وكثيرين من أمثاله
بمواقعهم الاجتماعية، وهم قد أثبتوا أكثر من مرة انهم لا يملكون شيئا،
من هذه المعاني التي قبلها العرب، وتبنوها، وتغنوا وافتخروا بها
وقبل ان نخلص إلى نهاية القول: نقول: إن من الطبيعي
للانسان الذي يحتفظ بميزاته وخصائصه الانسانية ان يشعر بالامتنان
تجاه من يحسن إليه، ويشعر بالاحترام والتقدير تجاه من يحسن جواره
وكذلك تجاه من يتعامل معه بطريقة أخلاقية وانسانية، حتى ولو كان
يختلف معه في الرأي، وفي العقيدة والدين.
فإذا أراد أن يكون له موقف يختلف عن هذا، فلا بد أن يتناقض
أولا مع نفسه، ويقوم صراع حاد مع تلك الخصائص النبيلة، ولن
يكون قادرا على اتخاذ ذلك الموقف إلا بعد أن يتم التغلب عليها
وقهرها
وتختلف صعوبة اتخاذ القرار، والموقف هذا باختلاف درجات
البشاعة والشين فيه، إلا إذا فرض: أن تلك المعاني الانسانية قد تناهى
بها الضعف، بسبب ممارسات سابقة، حتى بلغت درجة فقدت معها
تأثيرها وفاعليتها. وأصبح الانسان بذلك على درجة كبيرة من الصلف
واللا مبالات، والوقاحة، وتحول إلى مجرم محترف، لا يبالي أي
شئ يرتكب ويقترف، كما كان الحال بالنسبة لعيينة بن حصن، الذي

هو موضع البحث
وأخيرا، فان عيينة بن حصن هذا هو الذي يروى أن النبي وصفه بالأحمق المطاع، وكان من المؤلفة قلوبهم، وقد ارتد عن الاسلام بعد ذلك، وقاتل تحت قيادة طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة. فلتراجع ترجمته في كتب الرجال والتراجم

شك المشركين:

والملفت للنظر هنا: اننا نجد المشركين يشكون في صحة ما هم عليه، كما أن طلب أبي سفيان من اليهود تصديق ما هم عليه يشير إلى طغيان هذه الشكوك إلى درجة كبيرة حتى احتاجوا إلى تسكينها وطمأنة الناس وتثبيتهم

الفصل الثاني:
الخندق في خطة
الحرب والدفاع

المفاجأة

١ – إن معرفة الانسان بعدوه تجعله أقدر على التعاطي معه من موقع القوة والحزم، من خلال ما تهئ له تلك المعرفة من قدرة على رسم الخطة السليمة، ثم التنفيذ الدقيق والواعي

ولا تقتصر هذه المعرفة المؤثرة على معرفة عناصر الضعف والقوة في العدة وفي العدد، وسائر النواحي العسكرية، والامتيازات الحربية. بل تتعداها إلى الاشراف على خصائص شخصية العدو والمعرفة بطبائعه، وأخلاقياته، ومبادئه ومفاهيمه، وعاداته وتقاليده ومستواه الفكري والعلمي، وما إلى ذلك، مما له دور وتأثير في اتخاذ القرار العسكري، أو تسجيل الموقف على الصعيد السياسي، أو التعامل في مجال السلوك. وهكذا على كافة الصعد. ثم انعكاسات ذلك كله على التحرك باتجاه حشد الطاقات، ورسم الخطط، والاعداد والاستعداد للمواجه والتصدي

فان التعامل مع العدو الذي يلتزم بالعهود والمواثيق، يختلف عنه مع من عرف أن من طبيعته الغدر، وعدم الوفاء. كما أن التعامل مع من يلتزم بعهده لدوافع دينية وعقيدية ومبدئية يختلف عن التعامل مع من يلتزم بذلك لدوافع أخرى... وهكذا الحال في سائر النواحي ومختلف المواضع والمواقع

٢ - ونبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تماما حقيقة ما يفكر به المشركون، واليهود والمنافقون، وسائر القوى التي تحيط به. ثم هو يعرف طبيعة تركيبتهم السياسية، والاجتماعية وواقعهم الثقافي والاقتصادي. ثم هو يعرف نهجهم، وأساليبهم وطموحاتهم وطريقتهم في الحياة

وقد أثبتت له التجربة الحسية في أكثر من موضع وموقع ما ينطوون عليه من غدر وخيانة، ومن روح أنانية وتآمرية حاقدة وشريرة وغير ذلك من أوضاع وحالات

وهذا الواقع العدائي، والروح التآمرية، وتلك الأعمال الخيانية التي كانت تهيمن على أعداء الله والانسانية، قد فرضت على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أن يعيشوا حالة الحذر القصوى، فكان أن بث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عيونه وارصاده في طول البلاد وعرضها في الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى ما كان يلمسه (صلى الله عليه وآله) من التسديد بالوحي والالطاف الإلهية به (صلى الله عليه وآله) وبالمسلمين في الفترات الحرجة، والخطيرة

وهذا ما يفسر لنا ما نشهده من معرفة النبي التامة بواقع ما يجري حوله، فلم يكن ليفاجئه أمر داهم، بل كان هو الذي يفاجئ أعداءه ويباغتهم. إما يسبقه لتوجيه الضربة الأولى لهم، وإما بمواجهتهم بالخطة التي تبطل كيدهم، وتفشل مؤامراتهم، ومكرهم السئ، ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله

وهذا بالذات هو ما حصل في حرب الخندق، حيث فاجأ المشركين بحفر الخندق حول المدينة، وتحصين سائرها، الامر الذي احبط خطتهم، وتسبب لهم بالفشل الذريع، والخيبة القاتلة والمريرة

٣ – أما معرفة أعداء النبي بالنبي (صلى الله عليه وآله) فهي تختلف في مضمونها، وفي آثارها ونتائجها عن معرفته بهم، فإنهم وان كانوا يعرفون نبوته وصدقه وأمانته، ولا يشكون في حقانية ما جاء به إلا أنه يجهلون الكثير الكثير من آثار الاسلام، والايمان، ولا يعرفون الكثير عما يحدثه الالتزام بتعاليمه وشرائعه من تغييرات عميقة في فكر وروح الانسان وفي شخصيته، وفي كل وجوده

نعم، انهم يعرفون صدق هذا النبي، وصحة نبوته، وحقانية ما جاء به، إلى درجة أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل

أما المشركون، فقد عاش النبي (صلى الله عليه وآله) بينهم، وعرفوه طفلا ويافعا، وشابا ومكتهلا، وهم الذين سموه بالصادق الأمين. ورأوا منه الكثير من المعجزات والكرامات والخوارق. وعاينوا وسمعوا منه من الحجج ما يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة وريب، حتى لم يعد امامهم الا البخوع والتسليم، أو الاستكبار والجحود على علم

فالزموا أنفسهم بالخيار الثاني، كما حكاه الله تعالى عنهم:

" وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا "

فكال من نتيجة ذلك: أن أصبح محض الحق، يواجه محض الكفر والجحود وظهر بذلك صحة قوله (صلى الله عليه وآله) حين برز علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود الذي وضع المشركون فيه كل آمالهم: " برز الايمان كله إلى الشرك كله "

ولا عجب بعد هذا إذا تعاون أهل الشرك والأوثان، مع اليهود مدعي التوحيد. بل لا عجب إذا رأينا هؤلاء اليهود، الذين يدعون

أنهم يعبدون الله يشهدون لأهل الأوثان بأنهم أهدى من أهل التوحيد رغم أن ذلك يستبطن اعترافا من اليهود ببطلان دينهم وعقيدتهم!!

وبعد ما تقدم، فإننا نستطيع ان نتفهم بعمق السبب في أن هذه الحرب فيما بين المسلمين وأعدائهم لا بد أن تكون مريرة وقاسية وتتميز بالشمولية والاتساع، والعمق. ثم برسوخ آثارها على كل صعيد. ما دام ان أعداء الاسلام يرون ضرورة ان تستنفذ جميع الطاقات المتوفرة لديهم للهدم وللإستئصال، والإبادة الشاملة، فان الهدف من استئصال محمد ومن معه. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

المشورة، والتخطيط:

ويقول المؤرخون: إنه لما فصلت قريش من مكة إلى المدينة خرج ركب من خزاعة إلى النبي فساروا من مكة إلى المدينة أربعا فأخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالامر. فذلك حين ندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس، وأخبرهم الخبر وشاورهم في امرهم، وأمرهم بالجد والجهاد، ووعدهم النصر، إن هم صبروا واتقوا، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله

وشاورهم (صلى الله عليه وآله) - وكان يكثر من مشاورتهم في الحرب - فقال: أنبرز لهم من المدينة؟ أم نكون فيها ونخندقها علينا؟ أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى الجبل؟!

فاختلفوا.

[زاد المقريزي قوله: وكان سلمان الفارسي يرى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

يهم بالمقام بالمدينة (١) ويريد أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها فأشار بالخندق]
فقال سلمان: يا رسول الله! إنا إذ كنا بأرض فارس، وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله ان نخندق؟!
فاعجب رأي سلمان المسلمين. وأحبوا الثبات في المدينة
فركب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرسا له، ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين، والأنصار، فارتاد موضعا ينزله، فكان أعجب المنازل إليه: أن يجعل سلعا - جبل معروف بسوق المدينة - خلف ظهره ويخندق على المذاد، إلى ذباب، إلى راتج
فعمل يومئذ الخندق
وندب الناس، وخبرهم بدنو عدوهم، وعسكرهم إلى سفح سلع (٢)
واختصر ذلك المفيد وابن شهرآشوب، فقال: " فلما سمع النبي (صلى الله عليه وآله) باجتماعهم استشار أصحابه، فاجتمعوا على المقام بالمدينة وحربهم على أنقابها " (٣)
ولنا مع هذا الذي يذكره المؤرخون وقفات، وهي التالية:

---

(١) لا ندري من أين فهموا: انه كان يرى ذلك، ولو كان حقا يرى ذلك فلا ندري من أين فهموا ان رسول الله كان يهم بالمقام في المدينة
(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ والامتاع ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والمح إلى ذلك في: الثقات ج ١ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ وراجع سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ و ٥١٥
(٣) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ والارشاد ص ٥١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥١

من أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بمسير الأحزاب:
قد تقدم ان ركبا من خزاعة قدم إلى المدينة في مدة أربعة أيام فأخبروا النبي (صلى الله عليه وآله) بمسير الأحزاب إليه
ولكننا نجد نصا آخر عن علي عليه السلام يقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد علم بذلك من جهة جبرئيل عليه السلام " فخندق على نفسه ومن معه " (١)
ولا نستبعد ان يكون كلا الامرين قد حصل
وقد ذكرنا فيما سبق ان خزاعة كانت ترتبط مع الهاشميين بحلف عقده معها عبد المطلب رحمه الله، وقد بقيت وفية لهذا الحلف وكانت عيبة نصح لرسول الله (صلى الله عليه وآله)
وقد أشرنا فيما سبق إلى أنها قد دفعت ثمن هذا الوفاء غاليا فيما بعد وفاة رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فجزى الله أنصار الله، وأنصار رسوله خير جزاء وأوفاه. إنه ولي قدير، وبالإجابة حري وجدير

من المشير بحفر الخندق؟!
إن السياق المذكور آنفا يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بادر إلى اقتراح حفر الخندق، ثم لما اختلف المسلمون تكلم سلمان الفارسي رحمه الله بطريقة بين لهم فيها وجه

---

(١) الخصال - باب السبعة ج ٢ ص ٢٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ عنه

الحكمة في اعتماد اجراء كهذا، فأعجبهم ذلك حينئذ، فقبلوه واجتمعت كلمتهم عليه

ولكن كلمات كثير من المؤرخين قد أظهرت ان سلمان هو المشير بحفر الخندق (١) من دون ان تشير إلى أي تحفظ في ذلك وهذا هو ما استنتجه بعض المشركين حين فوجئوا بالخندق (٢) بل قال مسكويه: " فأشار سلمان على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ و ج ٤ ص ١٢٠٦ والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ وسيرة مغلطاي ص ٥٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ والوفا ص ٦٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و ٤٧٩ والروض الانف ج ٣ ص ٢٧٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٥ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ و ج ١ ص ١٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥١ و ٢١٨ و ١٩٧ و ج ٤١ ص ٨. ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ٩٩ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٥٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥١٥ والارشاد للمفيد ٥١ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ وسعد السعود ص ١٣٨

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٣ وراجع: الارشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤

لما رآه يهم بالمقام بالمدينة، ويدبر ان يتركهم حتى يردوا، ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها: أن يخندق. ففعل ذلك " (١)
لكن مؤرخين آخرين قد عبروا عن شكهم في هذا الامر، فقال بعضهم: " استشار النبي (صلى الله عليه وآله) سلمان - فيما يزعمون - بأمر الخندق " (٢)
وقال آخرون: " فحفر الخندق. قيل: أشار به سلمان " (٣)
وفي مقابل ذلك نجد ابن إسحاق وكذا غيره ينسب حفر الخندق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشير إلى مشورة سلمان، ولا من قريب ولا من بعيد (٤)
بل إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد كتب في رسالته الجوابية لأبي سفيان: " وأما قولك من علمنا الذي صنعنا من الخندق، فان الله الهمني ذلك " (٥)

---

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩
(٢) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وراجع: إعلام الورى ص ٩٠
(٣) راجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والمختصر في اخبار البشر ج ص ١٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ / ١٨٣ وراجع قول ابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٣٥ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٥٠.
(٤) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ عن ابن عقبة وص ٤٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ وتاريخ الاسلام للذهبي المغازي ص ٢٣٤ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٢
(٥) الامتاع ج ١ ص ٢٤٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٢

وكل ذلك يجعلنا نميل إلى أن كلام الواقدي قد جاء أكثر دقة في هذا المجال. وهو يفسر لنا السر في كلام ابن إسحاق من جهة، وكلام غيره المقابل له من جهة أخرى...

اما أولئك الذين ظهر منهم التردد في ذلك فلعلهم لم يقفوا على كلام الواقدي. ولم يتمكنوا من الجمع بين كلام ابن إسحاق وهو الحجة الثبت في السيرة، وبين كلام غيره

وعي سليمان:

ولا نخفي هنا اعجابنا بهذا الوعي من سليمان المحمدي، حيث بادر في الوقت المناسب إلى تقديم تبرير لأولئك الناس الذين اختلفوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، يتوافق مع طريقة تفكيرهم، حيث قرر لهم: ان الخندق المقترح من شأنه ان يحد من فاعلية الخيل في الحرب، ويدفع غائلتها، ويصبح الجهد الشخصي للافراد هو الذي يقرر مصير الحرب ونتائجها

فكان ان استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق، وأعلنوا موافقتهم عليه، وتحملوا مسؤولية الخيار والاختيار، وهذا بالذات هو ما أراده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لو كان الخندق بإشارة سلمان:

وقد رأينا: ان عددا من المؤرخين قد زعم أن الخندق حفر بإشارة سلمان، وان كنا نرجح: ان النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي بادر إلى اقتراحه فاختلف المسلمون، فكان دور سلمان ان بين لهم وجه

الحكمة في ذلك، حسبما تقدم بيانه عن الواقدي
ومهما يكن من أمر، فقد ظهر ان المشركين قد فوجئوا بالخندق وقالوا عنه: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها (١) ولعل الانظار قد اتجهت إلى سلمان الفارسي منذئذ..
وسواء أكان ذلك بمشورة سلمان أم لم يكن فان ما نريد ان نؤكد عليه هو ان الاسلام لا يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين ومن خبراتهم في المجالات الحياتية البناءة فقد روي:
أن " الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها " وفي معناه غيره (٢)
نعم، إن المؤمن أحق بالحكمة من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقوية انحرافه، وتأكيد موقعه المناوئ للحق وللأصالة والفطرة
وقد رأينا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد اطلق الصناع وأصحاب الحرف في خيبر لينتفع بهم المسلمون (٣)
وامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين في بدر، الذين لا يجدون ما يفتدون به: أن يعلم الواحد منهم عشرة من أطفال

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠
(٢) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٣٨ وتحف العقول ص ١٣٨ و ٢٩٢ وغرر الحكم ج ١ ص ٣٩٤ والبحار ج ٧٥ ص ٣٤ و ٣٨ و ٣٠٧ و ج ٢ ص ١٧ و ٩٦ و ٩٧ ومواضع أخرى منه. وراجع: دستور معالم الحكم ص ١٩ والمجروحون ج ١ ص ١٠٥ والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣٤٨
(٣) راجع: التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٧٥ وستأتي إن شاء الله بقية المصادر في غزوة خيبر

المسلمين القراءة والكتابة، ويطلق سراحهم في مقابل ذلك (١)
ولكن هذه الاستفادة مشروطة بأن لا تنشأ عنها سلبيات أخرى كما لو كان ذلك يعطي لأولئك المنحرفين فرصة لتضليل الناس وجرهم إلى مهالك الانحراف، أو يعطيهم بعض النفوذ والهيمنة أو يجرؤهم على التدخل في الشؤون الخاصة بالمسلمين، وما إلى ذلك

وهكذا، فإنه يصبح واضحا: ان المرفوض اسلاميا هو التبعية للآخرين والانبهار الغبي بهم، وتقليدهم على غير بصيرة. واما الاستفادة الواعية من منجزاتهم الحيوية لبناء الحياة، والتغلب على مصاعبها، بصورة تنسجم مع احكام الشرع، ومن دون أن تنشأ عنه سلبيات خطيرة فذلك أمر مطلوب، ولا غضاضة فيه

وحتى لو كان الخندق بإشارة سلمان من الأساس، وكان سلمان قد استفاد ذلك من بيئته وقومه، الذين ما كانوا على طريقة الاسلام ولا على دين الحنيفية، فلا ضير ولا غضاضة في قبول مشورته. بل الغضاضة في ترك العمل بتلك المشورة إذا كانت موافقة للصواب ويتسبب الاعراض عنها بوقوع المسلمين في مأزق، وهم في غنى عنه ولا مبرر للوقوع فيه. مع وجود مخرج ليس في العمل به حرج ولا تنشأ عنه أية سلبيات يرغب عنها

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣ والروض الانف ج ٣ ص ٨٤، والطبقات الكبرى ج ٢ ق ١ ص ١٤، والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣٤٨ و ج ١ ص ٤٨ / ٤٩ عن السهيلي، وعن المطالع النصرية في الأصول الخطية، لأبي الوفا نصر الهوريني، وعن الإمتاع للمقريزي ص ١٠١

طريقة استشارته (صلى الله عليه وآله) أصحابه:
هذا، ولا نرى اننا بحاجة إلى التذكير بمبررات مشاورة النبي
(صلى الله عليه وآله) أصحابه، في أمر الحرب، فقد تحدثنا عن ذلك، وعن أسبابه
وآثاره الايجابية في أوائل غزوة أحد
غير اننا نشير هنا إلى أننا نلمح في طريقة مشاورة النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لأصحابه خصوصيتين رائعتين تجلتا لنا في النص الذي
ذكره الواقدي
إحداهما: إنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بادر إلى اقتراح
حفر الخندق ثم انتظر مبادرة سلمان الاقناعية، متعمدا أن تسير الأمور
بهذه الطريقة، سياسة من (صلى الله عليه وآله) لأصحابه، وترويضا لعقولهم، واعدادا
لهم ليبادروا إلى تحمل المسؤولية، ولغير ذلك من أمور
الثانية: إنه صلى الله عليه وآله وسلم في نفس الوقت الذي
يمارس فيه أسلوب المشاورة بهدف تحسيس أصحابه بالمسؤولية
وافهامهم عملا، لا قولا فقط - أنهم الجزء الحركي والفاعل والمؤثر
حتى على مستوى التخطيط، والقرارات المصيرية، وأن القضية
قضيتهم، بما يعنيه ذلك كله من ارتفاع ملموس في مستوى وعيهم
وتفكيرهم السياسي، والعسكري، وغير ذلك من أمور كانت محط
نظره صلى الله عليه وآله وسلم
نعم، انه في هذا الحين بالذات يطرح امامهم خيارات من شأنها أن
تخرجهم من حالة الضيق والحرج، وتفتح امامهم نوافذ جديدة على أفاق
رحبة من التدبير العسكري، الذي يحفظ لهم وجودهم، ويبعد عنهم شبح
الهزيمة المرة، أو التعرض لحرب تحمل معها أخطار القتل الذريع، دون
ان يجدوا في مقابل ذلك أيا من تباشير النصر، أو التفاؤل به

الخندق في إيجابياته الظاهرة:
قد تحدثنا في غزوة أحد في الفصل الأول منها، في فقرة: ما هو رأي النبي صلى الله عليه وآله في أحد، ما يفيد الاطلاع عليه في فهم إيجابيات البقاء في المدينة، والتمنع فيها، فيرجى مراجعة ما ذكرناه هناك
أما هنا، فتقول: انه لم يطل بالمسلمين الامر، حيث إنهم سرعان ما ادركوا: ان حفر الخندق هو ذلك التدبير الذكي الرائع الذي فوت على عدوهم ما كان يحلم به من منازلتهم ومكافحتهم إلى درجة الحاق الهزيمة بهم ثم استئصالهم وإبادة خضرائهم، وتقويض عزهم
وقد اعطى الخندق المسلمين القدرة على ممارسة التسويف في الوقت، وهو الامر الذي لم يكن المشركون قادرين على تحمل التسويف فيه إلى أجل غير مسمى
وقد رأى المسلمون بأم أعينهم:
١ - كيف ان عدوهم لم يستطع الصبر طويلا، بسبب بعده عن مصادر الامداد البشري والتمويني، مع ملاحظة محدودية طاقاتهم التموينية، لعدم امكان توفير مدخرات كافية لهذا العدد الهائل من الناس، ولكل ما معهم من خيل وظهر كانوا بحاجة إليه في حربهم فان منطقة الحجاز لم تكن قادرة - بحكم طبيعة حياة الناس فيها - على توفير هذا النوع من القدرات والامكانات بهذا المستوى الكبير والحجم الهائل - ولا أقل من أن المشركين لم يفكروا مسبقا بإيجاد خطوط تموين لحرب طويلة الأمد. ولا خططوا أبدا لمثل هذه

الحرب، كما أنهم لم يعتادوا حروبا كهذه ولا ألفوها، فمن الطبيعي – والحالة هذه – ان يملوا حربا كهذه، وينصرفوا عنها

٢ – إن هذا الخندق قد استطاع ان يحفظ لهم وجودهم وكرامتهم، فلم يسجل عليهم عدوهم نصرا وقد كبت الله به عدوهم وردهم بغيظهم لم ينالوا شيئا مما كانوا يحلمون به، دون ان يكلف ذلك المسلمين خسائر تذكر، وحرم المشركين بذلك من امكانية اشراك اعداد ضخمة في المواجهات مع المسلمين

٣ – ثم وجد المسلمون أنفسهم بعد ذلك امام فرص أكبر، وحظ أوفر من ذي قبل، واستمروا يواصلون جهدهم وجهادهم للحصول على المزيد من أسباب القوة، والمنعة، والعمل على اضعاف عدوهم وتقويض هذا التوافق فيما بين فئاته لصالح بقاء هذا الدين، وترسيخ دعائمه وأركانه

٤ – إنه صلى الله عليه وآله قد جمع بين أن خندق على المدينة وبين جعل جبل سلع خلف ظهر المسلمين – كما سنرى – فيكون بذلك قد استفاد من الموانع الطبيعية، ثم أحدث مانعا مصطنعا من الجهة الأخرى، لتكتمل خطته بحرمان العدو من أية فرصة للنيل من صمود المسلمين، أو إحداث أي إرباك، أو تشويش، أو خلخلة، أو مناطق نفوذ وتسلل في صفوفهم

وأخيرا، فنجد نصا عن سلمان الفارسي يصرح فيه بالمبررات لحفر الخندق، فهو يقول:

" يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجابا، فيمكنك منعهم في

المطاولة. ولا يمكنهم ان يأتونا من كل وجه. فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفة

فنزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أشار سلمان بصواب (١)

بين الأصالة والتجديد:

وآخر ما نقوله هنا: أن حفر الخندق قد أفهم المسلمين: أنه ليس من الضروري أن يبقى الانسان أسير الأفكار والعادات والأساليب المتداولة في المحيط الذي يعيش فيه، فإذا كان باستطاعته أن يبتكر أساليب، ويحدث وسائل جديدة، تمكنه من تحقيق أهدافه على النحو الأفضل والأمثل، فعليه أن يبادر إلى ذلك، ويكسر حاجز الاستغراب والاستهجان والرهبة، ويتحرر من عقدة الحفاظ على القديم، أو على العادة والتراث لمجرد أنه قديم وتراث، ومن موقع الجمود، والخواء والتقوقع

أما إذا كان هذا القديم يمثل الأصالة، والعمق والانتماء، ويعيد للانسان هويته الحقيقية، ويحول بينه وبين التخلي عن خصائصه الانسانية الأصيلة، فذلك القديم يكون هو الجديد النافع، في مقابل كل ما هو غريب، أو يجر الانسان إلى غربة حقيقية، تبعده عن واقعه وتجرده من خصائصه الانسانية الأصيلة، ليعيش في الظلام والضياع حيث الشقاء والبلاء، وحيث الوحشة والوحدة والغربة، بكل ما لهذه

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٨

الكلمات من معنى.
فالتجديد الايجابي البناء هو الأصالة ذاتها. أما التجديد الذي يفقد الانسان أصالته، فهو الذي يمثل العودة إلى الوراء، وهو حقيقة التغرب والانحطاط، والسقوط والتراجع. وهو بالتالي الكارثة الحقيقية والمدمرة له إن في الحاضر أو في المستقبل
أضف إلى ما تقدم: أن التعارف فيما بين الشعوب المختلفة حين ينتهي إلى توظيف حصيلة تجاربها الحياتية لاستكمال سماتها الأصيلة للحياة بكل امتداداتها وعلى مختلف المساحات في الآفاق الرحبة، فان هذا التعارف يصبح ضرورة لا بد منها ولا غنى عنها لاية أمة تريد لنفسها الخير والسعادة والفلاح. وتريد كذلك ان تستثمر ذلك كله في خط التقوى والعمل الصالح. وفي صراط حصحصة الحق ليكون هو الملاذ، والرجاء، في كل شدة ورخاء. وقد قال تعالى: * (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) * (١)
أين كان الخندق وما هي مواصفاته:
قد تقدم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ركب فرسا وخط لهم الخندق
وقد بينت النصوص التاريخية لنا مواضع الخندق وخصوصياته ومواصفاته بشئ من التفصيل، ونحن نذكر طائفة من هذه النصوص فنقول:
١ - موضع الخندق:
قال الواقدي: " كان الخندق ما بين جبل بني عبيد بخربى، إلى

---
(١) سورة الحجرات / ١٣

راتج. قال: وهذا أثبت الأحاديث عندنا " (١)
وفي نص اخر: " من المذاد، إلى ذباب، إلى راتج " (٢)
وعند القمي: " فأمر (صلى الله عليه وآله) بمسحه من ناحية أحد إلى راتج " (٣)
وفي نص أكثر تفصيلا: " حفر النبي (صلى الله عليه وآله) الخندق طولا، من أعلى وادي بطحان، غربي الوادي، مع الحرة، إلى غربي مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين، اللذين في غربي الوادي. ومأخذه قول ابن النجار "
إلى أن قال: " والحاصل: أن الخندق كان شامي المدينة، من طرف الحرة الشرقية، إلى طرف الغربية " (٤)
وروي بسند معتبر، عن عمرو بن عوف قال: " خط رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمر) طرف بني حارثة، حتى بلغ المذاد (المداحج) " (٥). والمذاد بطرف منازل بني

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢.
(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ والثقات ج ١ ص ٢٦٦
(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ وقال الطبرسي في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وعنه في بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ " كان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق: المذاد "
(٤) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ والفقرة الأخيرة ص ١٢٠٦ أيضا وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والعبارة الأخيرة في السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣.
(٥) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥

سلمة، مما يلي مساجد الفتح، ومنازلهم في جهة الحرة الغربية (١)
قال السمهودي: " سيأتي أن الشيخين أطمأن شامي المدينة
بالحرة الشرقية، أما المداحج فلا ذكر لها في بقاع المدينة " (٢)
وأقول: لعل كلمة " المداحج " تصحيف لكلمة المذاد، ولعل
كلمة: السمر، تصحيف لكلمة الشيخين
٢ - جعل الأبواب للخندق:
" وذكروا: أن الخندق له أبواب، فلسنا ندري أين موضعها " (٣)
وحسب نص اخر: " جعل له رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبوابا، وجعل على
الأبواب حرسا " (٤)
ولكن كعب بن مالك قد أشار إلى وجود خندقين، فهو يقول: بباب خندقين كأن أسدا
شوابكهن يحمين العرينا (٥)
ويقول ضرار بن الخطاب: كأنهم إذا صالوا وصلنا بباب خندقين مصافحونا (٦)
وقال الفرزدق:

---

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥
(٢) المصدر السابق
(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢
وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠
(٤) المصادر السابقة، وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥
(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص
٢٦٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦

بدر له شاهد والشعب من أحد والخندقان ويوم الفتح قد علموا (١)
وذكر القمي: ان عدد الأبواب كان ثمانية (٢)
٣ - خصوصيات ومواصفات أخرى:
" والخندق فيه قناة، يأتي من عين قباء إلى النخل الذي بالسنح، حوالي مسجد الفتح
وفي الخندق نخل أيضا
وانطم أكثره، وتهدمت حيطانه " (٣)
وذكروا أيضا: انه قد " بلغ طول الخندق نحوا من خمس آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع " (٤)
الموقع الجغرافي للخندق:
ونحن إذا راجعنا الواقع الجغرافي للمدينة، فإنه يتضح: ان الخندق قد ضرب على المدينة في مواقع من الجهة الغربية والشمالية
اما الجهة الشرقية والجنوبية فقد شبكت بالبنيان، ولم يخندق المسلمون عليها
ولعل ذلك يرجع ان المواقع التي تستوعب ألوف الفرسان، وتصلح أن تكون ساحة حرب ونزال هي المنطقة الواقعة بالقرب من

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٧٤
(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ وعنه في بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٠
(٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١
(٤) الرسول العربي وفن الحرب لمصطفى طلاس ص ٢٤٠ / ٢٤١ والسيرة النبوية للندوي ص ٢٨١

ثنيات الوداع شمال غرب المدينة حتى تنتهي بجبل أحد. وهي منطقة واسعة ومسطحة ومكشوفة، وليس فيها عراقيل مهمة، وهي المنطقة التي حفر الخندق فيها

أما سائر المناطق حول المدينة فلم تكن تصح لذلك، ولا سيما بالنسبة لجيوش كبيرة تعد بالألوف، من فرسان ورجالة، بالإضافة إلى ما يتبع هذه الجيوش من دواب وخيول تحمل أزوادهم وأمتعتهم، وتحمل الرجالة منهم أيضا في سفرهم الطويل

ذلك لان سائر المناطق حول المدينة كان فيها من الجبال والودية، ومن التضاريس والأشجار وحجارة ما يحد من قدرة تلك الجيوش الغازية على الحركة الفاعلة، والمؤثرة، ويفقدها الكثير من الامتيازات الحربية، ويحرمها من الاحتفاظ بزمام المبادرة، ويفوت عليه نصرا تطمع إلى تحقيقه

ويوضح ذلك: انه كانت توجد في الجهة الشرقية حرة وأقم وفي الجهة الغربية حرة الوبرة، وهي مناطق عرة فيها صخور بركانية وتمثل حواجز طبيعية. وكان في جهة الجنوب أشجار النخيل وغيرها بالإضافة إلى الأبنية المتشابكة. وكل ذلك لا يتيح لجيش المشركين ان يقوم بنشاط فاعل وقوي ضد المسلمين

وحيث إن بعض المواضع في جهتي الشرق والجنوب كان يمثل النقطة الأضعف من غيرها، الامر الذي يحمل معه احتمالات حدوث تسلل تكتيكي للعدو، يهدف إلى ارباك الوضع العسكري والنفسي للمسلمين فقد كان لابد من سد تلك الثغرة، ورفع النقص، وتفويت الفرصة على العدو، حتى لا يضطر المسلمون لتوزيع قواهم وبعثتها هنا وهناك بطريقة عشوائية، أو من شأنها ان تضعف فيهم درجة

الصمود والتصدي في ساحة الصراع الحاسم في ميدان الكر والفر الأول والأساس..
فكان ان بادرة المسلمون إلى تشبيك المدينة بالبنيان وذلك في مواقع الضعف المشار إليها. وهذه الاجراءات كلها قد حالت دون استخدام قوات كبيرة في مهاجمة المدينة الا من جهة الخندق، وهي قد أصبحت مشلولة بسبب حفر الخندق تجاه الهدو فيها
غير أن هذا الذي ذكرناه لا يعني ان يمر القادم من مكة على ثنية الوداع، وهي الجهة الشمالية للمدينة. فان طريق المسافرين، الذين تضمهم في الغالب قوافل صغيرة محدودة العدد ليس كطريق الجيوش الضخمة التي تضم ألوفا كثيرة من الناس ومن وسائل النقل المختلفة، حسبما المحنا إليه..
وبذلك يتضح: ان من الممكن ان نتفهم انه لا مانع من أن تأتي الجيوش إلى جهة ثنية الوداع من جهة الشام، ولكن المسافرين يأتون من طريق اخر. ولا يمر القادم من مكة على ثنية الوداع ولا يراها، كما جاء في النص التاريخي (١)
يقول مصطفى طلاس:
" وبحفر الخندق استطاعت قيادة الجيوش الاسلامي ان تعزل قوات العدو عن مكان التجمع الرئيسي للقوات المدافعة عن المدينة، وان تحول بينها وبين اقتحام مداخل المدينة، لأن هذه المداخل أصبح من الممكن حراستها بعد حفر الخندق

---

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٢ و ١١٧٠ وزاد المعاد ج ٣ ص ١٠ والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ١٣٠

وقد أفادت قوات الثورة الاسلامية من مناعة جبل سلع، الذي كان إلى يسارها والى الخلف، كما أفادت من وعورة حرة الوبرة لحماية جناحها الأيسر. ومن وعورة حرة وأقم بحماية جناحها الأيمن. ومن الحرة الجنوبية وجبل عسير لحماية المؤخرة " (١)

تشبيك المدينة بالبنيان:

وكان سائر المدينة مشبكا بالبنيان، شبكوها من كل ناحية، وهي كالحصن (٢)

قال في خلاصة الوفاء: " كان أحد جانبي المدينة عورة، وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل، لا يتمكن العدو منها " (٣)

ثم إنه صلى الله عليه وآله " اختار ذلك الجانب المكشوف للخندق. وجعل معسكره تحت جبل سلع " (٤)

وبذلك يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد سد الثغرات التي يمكن للعدو ان يتسلل منها ليحدث ارباكا خطيرا في معسكر المسلمين

---

(١) مصطفى طلاس: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٣٤

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ وراجع ص ٤٤٦ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥

ثم جعل للخندق أبوابا، وجعل على الأبواب حرسا، بطريقة تمنع من التسلل، ومن التواطؤ عليه كما سنرى

ثم اختار الجانب المكشوف للخندق، وجعل معسكره تحت جبل سلع، مستفيدا منه كمانع طبيعي يصب على العدو اجتيازه لمهاجمة المسلمين

مدة حفر الخندق:

وقال المؤرخون: " وجعل المسلمون يعملون مستعجلين، يبادرون قدوم العدو عليهم " (١)

الأقوام في مدة حفر الخندق وهي التالية:

كان حفر الخندق ستة أيام وحصنه (٢)

وقيل بضع عشر ليلة (٣)

وقيل: شهرا أو قريبا من شهر. قال البعض: وهو أثبت (٤)

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١١. والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨. وراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧. وفتح الباري ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ وسيرة مغلطاي ص ٥٦ والوفا ص ٦٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢٠٥.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩

(٤) المصدر السابق ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩ عن الهدى لابن القيم وكذا في

ووقع عند موسى بن عقبة: انهم أقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة (١)

وعند الواقدي: أربعا وعشرين (٢)

وجزم النووي في الروضة انهم حفروه في خمسة عشر يوما (٣)

وصرح القمي بأنه (صلى الله عليه وآله) قد فرغ من حفر الخندق قبل قدوم قريش والأحزاب بثلاثة أيام (٤)

ونقول:

ان الأرقام التي تقول: انهم أقاموا يعملون في الخندق عشرين يوما أو شهرا أو نحو ذلك، يبدو انها بعيدة عن الصواب، لأن المفروض ان ركب خزاعة قد خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان فصلت قريش من مكة إلى المدينة. وبقي أربعا حتى وصل إليها، وأبلغ الرسول بالامر...

ولنفترض ان مسير قريش إلى المدينة قد استغرق أربع اضعاف الأربعة أيام المذكورة، فتكون قد وصلت إلى المدينة خلال ستة عشر يوما فمع حذف الأربعة أيام الأولى لمسيرة ركب خزاعة فإنه يبقى اثنا

المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ وعنه والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨ راجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٢

(٢) المصادر السابقة وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ١٢٠٨ و ١٢٠٩

(٣) راجع: المصادر السابقة في الهامش ما قبل السابق

(٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢١

عشر يوما تم حفر الخندق فيها، فكيف يقال: إن العمل في الخندق قد استمر عشرين أو أربعا وعشرين أو ثلاثين يوما؟!

هذا.. ولكن يمكننا ان نخفي دهشتنا واعجابنا بهذا الانجاز الضخم والسريع جدا، مع ملاحظة ضعف الوسائل والامكانات المتوفرة للعاملين في حفر الخندق آنئذ، بالإضافة إلى وجود المثبطين عن العمل، كما سنرى...

فحيا الله هذه الهمم، وبورك لهم جهادهم المبارك والرائد تحت قيادة وفي طاعة رسول الاسلام الأعظم والأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

زمام المبادرة بيد من؟!

وقد اتضح من خلال النصوص المتوفرة لدينا: ان العدو وإن كان قد فرض على النبي وعلى المسلمين معركة غير متكافئة من حيث العدد والعدة. واختار هو التوقيت لحشد جيوشه وتحزيب أحزابه لكنه بمجرد وصوله إلى المدينة قد فقد زمام المبادرة ليصبح في يد النبي والمسلمين بصورة نهائية فأصبح (صلى الله عليه وآله) يتحكم بمسار الحرب، وهو يفرض على عدوه الموقع الذي يريد، في هذا المكان أو في ذاك، ولا يملك عدوه أية وسيلة للتغيير في المواقع والمواضع فلا يمكنه ان يجر المسلمين إلى هذا الموقع أو إلى ذلك الموقع كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم أصبح يتحكم بالزمام والتوقيت للحرب، ولا يستطيع عدوه ان يهاجمه في وقت لا يرغب هو بالدخول الحرب فيها

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أصبح قادرا على اختيار الوسيلة الحربية التي تلائمه، وتنسجم مع ظروفه وقد أسقط العتاد والعدة الحربية للعدو من الخيول وغيرها من الفاعلية المؤثرة وأصبحت عبئا على العدو، لا بد ان يهيئ العدو لها ظروف بقائها وصيانتها من التلف في مصابرته على الحصار الطويل، الذي كان يستنزف طاقته وصبره، حتى انتهى الامر به إلى هزيمة مخزية، كما سيتضح

وهذه هي ثمرة التخطيط الواعي والمسؤول، وثمرة الادراك الواعي للواقع وللظروف المحيطة، التي كان لا بد من التعامل معها والتغلب على سلبياتها، والاستفادة من ايجابياتها على نحو الأكمل والأفضل والأمثل

الفصل الثالث:
حفر الخندق:
أحداث ودلالات

شدائد ومتاعب

ان من الواضح: ان حفر خندق بهذا الحجم حول مدينة كبيرة، ليس بالامر السهل، ولا سيما بالنسبة لأناس لم يقوموا بعمل ضخم طيلة حياتهم نقطة خصوصا مع بدائية الوسائل ومحدوديتها، حتى اضطروا لاستعارة بعضها من يهود قريظة، كما سنرى، هذا بالإضافة إلى انقطاع المسلمين عن العمل في سبيل لقمة العيش، فانقطعت موارد أرزاقهم فكان من الطبيعي ان يعاني المسلمون من هذا الامر من متاعب كبيرة، وشدائد لا تطاق، وذلك من ناحيتين

إحداهما: في نفس هذا العمل الشاق والكبير، وما يحتاج لانجازه في فرصة محدودة وقصيرة جدا، من جهد مضن لم يعتمد هؤلاء الناس على أقل القليل منه، ولا واجهوا نظيره، ولو مرة واحدة طيلة حياتهم

الثانية: في الضائقة المالية التي كانوا يعانون منها، التي تتجلى فيما يصفه لنا المؤرخون من حالة الضعف والجهد، وخصاصة والجوع في تلك الظروف بالذات..

وقد يحاول البعض أن يقول: إن هذه الضائقة لم تزل جميع الناس آنئذ، لان الناس - كما يروى الواقدي والمقريزي - وقد كان كثير

منهم في وفرة معقولة في تلك الفترة، لان مجئ الحزاب كان بعد انتهاء موسم الحصاد، وقد أدخل الناس غلاتهم واتبانهم، ولا يزال معظمها موجودا لدى أصحابها

أضف إلى ذلك: أن بعض الروايات الآتية التي تحكي لنا قصة جابر تقول: إن الذين احتاجوا للإصابة من طعام جابر كانوا ثلاث مئة أي حوالي ثلث المشاركين في حفر الخندق. فالباقون لم يكونوا بحاجة ماسة إلى طعام، أو لعل أكثرهم كان كذلك

ونقول:

إن هذه المحاولة غير كافية لاثبات ذلك، إذ قد صرح المؤرخون أن العام كان عام جدب. ولم يكن ثمة غلات في مستوى يؤثر في تغيير ظاهرة الفقر والخصاصة والجوع، التي كانت مهيمنة على عامة الناس آنئذ. ولو كان ثمة غلات بهذا الحجم لبادر أصحابها إلى تقديمها طوعا، إلى هؤلاء الناس. بل كان النبي (صلى الله عليه وآله) يأمرهم ببذلها لاخوانهم، ولا سيما في ظروف الحرب هذه. ولكنا قد رأيناهم يتسابقون على دفع أذى الجوع عن شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يتسابقون على نيل بركاته والفوز برضاه..

إلا أن ذلك لا يمنع من أن يكون لدى المنافقين قسطا من تلك الأموال، كانوا يضنون بها ويبخلون عن بذلها

ومن يبخل فإنما يبخل
عن نفسه

حفر الخندق في روايات المؤرخين:

ونحن نذكر هنا طائفة من النصوص التاريخية، المرتبطة بحفر

الخندق، متوخين فيها – قدر الامكان – تبويبها وتقسيمها، حسبما يتهيأ لنا، ثم نعقب ذلك ببعض ما يرتبط بما أجمل منها أو أشكل، ومن الله نستمد القوة والحول فنقول:

المساحي والمكاتل:

ويقولون: إنه (صلى الله عليه وآله) قد استعار من بني قريظة آلة كثيرة، من مساحي وفؤوس ومكاتل، يحفرون به الخندق – وهم يومئذ سلم للنبي (صلى الله عليه وآله) ويكرهون قدوم قريش (١)

ونقول:

لا ندري مدى صحة هذا القول، بعد إن كان رسول الله – حسبما تقدم، حين الكلام حول ايمان أبي طالب – يدعو الله أن لا يجعل لكافر ولا لمشرك عنده يدا أو نعمة

إلا أن يكون صلى الله عليه وآله قد قرر عليهم المعونة بهذا المقدار، إن دهمهم عدو، حسبما تقدم في معاهدته (صلى الله عليه وآله) مع يهود المدينة. فلا تبقى لهم بذلك منة على أحد، بل لله المنة عليهم، وانما يعملون بما أخذ عليهم العمل به

تقسيم العمل في الخندق:

قال الواقدي: "وكل بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ والامتاع ج ١ ص ٢٢٠ وراجع وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧

فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد " وفي نص آخر: إلى خربي (١)

وفي نص آخر: وخندقت بنو عبد الأشهل عليها بما يلي راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد. وخندقت بنو دينار من عند خربي إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم (٢)

ومن جهة أخرى، فإنه (صلى الله عليه وآله) قطع الخندق أربعين ذراعا بين كل عشرة (٣) وقال القمي: " جعل على كل عشرين خطوة، وثلاثين خطوة قوم من المهاجرين والأنصار يحفرونه " (٤)

وفي نص آخر يقول: " وجعل لكل قبيلة حدا يحفرون إليه " (٥)

لكن القطب الراوندي يقول: " قسمه بين المهاجرين والأنصار بالذراع

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ و ٤٥٠ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ والبحار ج ٢٠ ص ١٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢١٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٣٤١ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وشرحه مطبوع بهامشه، وقال: رواه الطبري والطبراني، والحاكم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢

(٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ وعنه في بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠

فجعل لكل عشرة منهم عشرة أذرع " (١)
النبي (صلى الله عليه وآله) يشارك في حفر الخندق:
وقد شارك النبي صلى الله عليه وآله المسلمين في حفر الخندق كما صرحت به النصوص التاريخية، وذلك رغبة في الاجر ولينشط المسلمين (٢)
وقد أجهد المسلمون أنفسهم، والنبي (صلى الله عليه وآله) يكابد معهم (٣) النصب والجوع وقد استمرت هذه المشاركة حتى فرغ من حفر الخندق (٤)
وكان (صلى الله عليه وآله) يضرب مرة بالمعول، ومرة يغرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب بالمكتل، قال أبو واقد: ولقد رأيته يوما بلغ منه، فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر، فذهب به النوم، فرأيت أبا بكر وعمر واقفين على رأسه ينحيان الناس ان يمروا به فينبهوه. وانا قريب منه، ففزع، ووثب فقال: ألا أفزعتموني؟!

---

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٢ والبحار ج ١٨ ص ٣٢ عنه
(٢) راجع ما يلي: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٥٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ و ٤٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٤٠٧ والاكتفاء ج ٢ ص ١٥٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١
(٣) بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥
(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠

فأخذ الكرزن (الفأس) يضرب به، وإنه ليقول:
اللهم إن العيش عيش الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة
اللهم العن عضلا والقاره * فهم كلفوني أنقل الحجارة (١)
وكان (صلى الله عليه وآله) يحمل التراب على ظهره، أو على عاتقه (٢) حتى إن التراب على ظهره وعكنه (٣) وربما كان يحفر معهم حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح. وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، نحن نكفيك، فيقول: أريد مشاركتكم في الاجر (٤)
وعن أم سلمة بسند صحيح - عند احمد - كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعاطيهم اللبن يوم الخندق، وقد اغبر شعر صدره (٥)
وفي نص آخر ذكره البخاري وغيره: " رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة:
والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام إن لاقينا

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٨ وراجع المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١
(٢) راجع: حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦
(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ وفي المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ عن أنس: على صدره وبين عكنه
(٤) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ عن تفسير الثعلبي
(٥) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦ وعن أبي يعلى واحمد برجال الصحيح

إن الأولى قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا
ثم يمد بها صوته: أبينا، أبينا (١)
وقد سجل العسقلاني تحفظا هنا، فهو يقول: " ظاهر هذا أنه
كان كثير شعر الصدر، وليس كذلك فان في صفته (صلى الله عليه وآله) أنه كان
دقيق المسربة، أي الشعر الذي في الصدر إلى البطن. فيمكن أن
يجمع انه كان مع دقته كثيرا " (٢)
ولكنه جمع غير ظاهر الوجه، بعد أن كان التعبير الوارد في
الرواية يأباه. ولكن المهم عند هؤلاء هو تصحيح رواية البخاري بأي
ثمن
وقد صرح القمي بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان هو البادئ في حفر
الخندق، فهو يقول: وأخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه

---

(١) راجع المصادر التالية: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ عن الصحيحين وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ باب غزوة الخندق وصحيح مسلم - الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وفتح الباري ج ٦ ص ٤٦ و ج ٧ ص ٣٠٨ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ وراجع: حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ و ٥٨٦ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٩ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٣ و ٤١٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ والغدير ج ٧ ص ٢٠٦ عن ابن كثير وعن طبقات ابن سعد
(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٨

وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعيي، وقال:

لا عيش إلا عيش الآخرة * اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين

فلما نظر الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحفر اجتهدوا في الحفر، ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد الفتح، فبينا المهاجرين والنصار يحفرون إذ عرض لهم الخ " (١)

علي (عليه السلام) وشيعته أعظم الناس عناء:

قال القاضي النعمان: " وكان علي صلوات الله عليه وشيعته أكثر الناس عناء، وفيه عملا. وكان في ذلك من الاخبار ما يطول ذكره " (٢)

وثمة تفاصيل أخرى:

قد عرفنا فيما سبق: ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان هو البادئ في حفر الخندق. وكان (صلى الله عليه وآله) يحفر، وعلي ينقل التراب من الحفرة. وقد استمرت مشاركة النبي (صلى الله عليه وآله) لهم في العمل حتى انتهوا من الخندق وأنه (صلى الله عليه وآله) كان يضرب مرة بالمعول، ومرة يغرف التراب بالمسحاة، ومرة يحمل التراب بالمكتل على ظهره، أو على عاتقه

وكان (صلى الله عليه وآله) يعاطيهم اللبن، الامر الذي يدل على أنه كان ثمة

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ / ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ عنه

(٢) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٢

بناء في الخندق
أضف إلى ذلك انهم يقولون:
انهم كانوا يحملون المكاتل على رؤوسهم، وإذا رجعوا بها جعلوا فيها الحجارة، يأتون بها من جبل سلع، يسطرونها مما يليهم كأنها حبال التمر وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم، يرمونهم بها والقوم يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:
هذى الجمال لا جمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر (١)
وما كان في المسلمين يومئذ أحد الا يحفر في الخندق، أو ينقل التراب وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل، ولا مسير ولا منزل، ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة، لم يكن مكاتل لعجلة المسلمين (٢)
وقال جابر: وعمل الناس يومئذ كلهم، والنبي (صلى الله عليه وآله). وجعلت الأنصار ترتجز وتقول:
نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا
فقال النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي لفظ اخر: فيجيبهم
اللهم لا خير إلا خير الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة (٣)

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢٠ وراجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢
(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ و ٤٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ والامتاع ج ١ ص ٢٢٢. وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦
(٣) المغازي للوادي ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وراجع كنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ / ٥٨٦ وصحيح البخاري (المغازي) باب غزوة خيبر وصحيح مسلم، الجهاد

وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فاعانه،
حتى كمل الخندق (١)
وعن انس قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الخندق، فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى مل بهم من النصب والجوع. وفي نص اخر: فلما رآهم يحملون التراب على متونهم، وما بهم من نصب وجوع، قال:
اللهم ان العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له:
نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا (٢)
وبعد ما تقدم نقول:
عمل المنافقين في الخندق:
قالوا: وأبطأ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن المسلمين في عملهم

والسير - باب غزوة الأحزاب ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ وراجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢ وعن مسلم باب غزوة الأحزاب وعن البخاري وغير ذلك

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦ و ٥١٧ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٠ / ٤١١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٢

ذاك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل
وحسب نص اخر: تخلف طائفة من المنافقين، يعتذرون
بالضعف. وتسلل عنه صلى الله عليه وآله مسلم جماعة من المنافقين
إلى أهليهم بغير علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله
تعالى في ذلك:
* (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا، فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم) *. ثم كان الرجل من
المسلمين إذا نابته نائبة لا بد منها يستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقضي
حاجته، ثم يعود، فأنزل الله تعالى: * (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، أن
الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) * واللواذ
استتارة بالشئ عند الهرب (١)
هناك الذين كانوا يتسللون زاعمين ان بيوتهم عورة - اي

---

(١) راجع ما تقدم كلا أو بعضا، في المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٠ والكامل في تاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و ١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وراجع ص ١١٢ و ١١٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٦٠ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ و ٥٢٣ والتهذيب سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٩

مكشوف للغزاة، ومعرضة للاحتلال (١) - وليس الامر كذلك ولنا مع ما تقدم وقفات، نشير إليها فيما يلي من مطالب

١ - توزيع المهام على العاملين:

ومن الواضح: ان تحديد المسؤوليات، وتقسيم المهام على العاملين من شأنه ان يرفع من درجة الاحساس بالمسؤولية، الامر الذي يفرض على العاملين قدرا أكبر من الدقة والتحري، الذي ينعكس على العمل اتقانا وتناسقا وجمالا

هذا عدا عن انه يذكي روح التنافس البناء والهادف، الذي يؤدي إلى نشوء نوع من الرقابة العفوية، التي تنتهي إلى الانضباط، والى الاسراع في الانجاز

ومن جهة ثانية فإنه يقطع الطريق على أولئك الكسالى والاتكاليين، ممن يضعف لديهم الشعور بالمسؤولية، ويريدون ان يفيدوا ويستفيدوا من جهد الآخرين، دون ان يقدموا هم أنفسهم اي جهد، أو ان يبذلوا اي عناء. ومنعهم من ثم من التواكل المؤدي إلى الفشل، والى التضييع والبلبلة والاختلاف

وقد روي عن علي عليه الصلاة والسلام: انه كتب في وصيته للإمام الحسن، صلوات الله وسلامه عليه: " واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به، فإنه أحرى ان لا يتواكلوا في خدمتك " (٢)

---

(١) سيرة المصطفى ص ٤٩٦

(٢) نهج البلاغة بشرح عبده، اخر وصية الإمام الحسن ج ٣ ص ٦٣، الكتاب رقم ٣١

كما أن عدم تحديد المسؤوليات يؤدي إلى تخلخل في البينة الداخلية، نتيجة للاحساس بالغبن لدى من تفرض عليه ظروف عمله ان يكون هو الذي يتحمل عب ء انجاز ما فرط الآخرون في انجازه وعسى ولعل ان يتجه الفرقاء إلى إثارة الأسئلة والشكوك، ثم إلى التراشق بالتهم لتبرير حالة الضعف القائمة بسبب ذلك

وعلينا بعد ذلك كله: ان نتوقع ظهور عوارض الخلل والضعف في أية خطة ترسم وتعتمد، وتفقد الكثير من حيويتها وفاعليتها في مجال التطبيق والتنفيذ

كما أن توزيع الحصص على العاملين بهذه الطريقة يضمن تحقق المساواة والعدل في تحمل مشاق العمل، فلا يعمل هذا أكثر من ذاك وإذا استطاعة التفوق على اقرانه في العمل، فان ذلك يظهر للآخرين ويتجلي امتيازه على سائرهم – كما سنقرؤه بالنسبة لسلمان الفارسي، الذي ظهرت قوته في العمل، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار

اما المتواكل المتخاذل،، فلا مجال للتستر عليه، إذا كان يريد أن يتوانى في عمله ويتواكل فيه. وقد فضح القرآن المنافقين، الذين اتبعوا هذا السبيل كما تقدم

هذا كله، بالإضافة إلى أن قسمة العمل على النحو المتقدم من شأنها أن تؤثر في زرع روح التفاؤل بامكانية انجاز هذا العمل الضخم وتقلل من رهبته في صدور العاملين، حينما تنحسر النظرة إلى ذلك العمل الهائل لتصبح في مدى أذرع يسيرة يتعاون على انجاز العمل فيها عشرة من المؤمنين

٢ - النبي والشعر:
قد تقدم بعض ما يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتمثل ببعض الشعر، أو ينشد مع الصحابة ما ينشدون، ونزيد هنا:
قال دحلان وغيره: عن سهل بن سعد: كنا مع النبي في الخندق ننقل التراب على أكتافنا، فقال (صلى الله عليه وآله):
اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فأكرم الأنصار والمهاجرة
وهو من كلام ابن رواحة، وأصله:
لا هم إن العيش عيش الآخرة.
فنطق به النبي (صلى الله عليه وآله): اللهم لا عيش الخ... لأنه يعسر عليه النطق بالشعر، وإن كان من قول غيره (١)
وعن أبي عثمان النهدي، أو سلمان: أنه (صلى الله عليه وآله) حين ضرب في الخندق قال:
باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * يا حبذا ربا وحب دينا (٢)

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ عن البخاري والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ وراجع البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ عن البخاري ومسلم والحديث في نهاية الإرب أيضا ج ١٧ ص ١٦٩ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وفيه: فاغفر للمهاجرين والأنصار
(٢) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢ والامتاع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ / ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٤ والسيرة النبوية لابن كثير

قال دحلان: " وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به. أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر. أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا. أما إذا خرج موزونا بلا قصد، فلا يسمى شعرا " (١)

ونقول:

إن بعض الناس حسبما تقدم، وكما هو مذكور في كتب التفسير، في تفسير قوله تعالى: * (وما علمناه الشعر، وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) * (٢) يريد أن يدعي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير قادر على التفوه بكلام موزون، أو أن الرجز ليس بشعر. أو ما إلى ذلك..

ولكنها دعاوى ليست على درجة من القوة والاستقامة، فان المراد بالآية الكريمة * (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) *: أنه صلى الله عليه وآله ليس بشاعر، بمعنى أنه ليس لديه ملكة الشعر، لا انه يعسر عليه التكلم بشعر غيره والنطق به. ولا حاجة بعد هذا إلى دعوى: أن الرجز ليس بشعر، كما لا حاجة إلى اشتراط القصد أو عدمه في إيراد الشعر الموزون. فان النظر هو إلى ملكة الشعر الذي يتضمن الانسياق وراء الأوهام والتخيلات، والمبالغات، والتصويرات غير الواقعية بالإضافة إلى الوزن والموسيقى. وفقا لما أشار إليه تعالى بقوله: * (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم

ج ٣ ص ١٨٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٤

(١) اليسرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣

(٢) سورة يس، الآية رقم ٦٩

يقولون ما لا يفعلون) * (١)
٣ - دور عضل والقارة:
وقد ذكرت رواية أبي واقد: أنه (صلى الله عليه وآله) قال:
اللهم العن عضلا والقارة * هم كلفوني أنقل الحجارة
وليس هذا الكلام واضح المأخذ والمغزى، إلا أن تكون هاتان
القبيلتان: عضل والقارة، قد قامتا بنشاط واسع في تحزيب الأحزاب
فاق نشاط اليهود وقريش حتى صح أن ينسب (صلى الله عليه وآله) إلى هاتين
القبيلتين حتى نقل الحجارة للخندق
وليس فيما بأيدينا من نصوص ما يدل على ذلك أو يشير إليه
من قريب ولا من بعيد
٤ - الأمثولة المواساة:
وما أروع هذا التنويع في المهمات التي تصدى الرسول الأعظم
صلى الله عليه وآله وسلم لها في حفر الخندق، حيث لم يقتصر على
نوع واحد من العمل فيه، بل شارك (صلى الله عليه وآله) كل العاملين في أعمالهم
وأذاق نفسه الشريفة مبلغ جهدهم، فصدق بذلك الخبر الخبر، وتجلت
المواساة بأبهى صورها، وتجسدت الأمثولة الرائدة بأروع وأدق
وأصدق معانيها

---

(١) الشعراء، الآية ٢٢٤ - ٢٢٦

٥ – المتحذلقون الأغبياء:
ومن الأمور التي تلفت النظر هنا. أن البعض يحاول أن يفرغ هذه التضحية الرائعة، والأمثولة الفريدة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من معناها ومغزاها، فيدعي رجما بالغيب: أن النبي صلى الله عليه وآله كان لا يرى الشدة في حمل الحجارة (١) رغم صراحة رواية أبي واقد المتقدمة بأن أبا واقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) وقد بلغ منه وعلى حد تعبير نص آخر: " وهو (صلى الله عليه وآله) يكابد معهم "
وفي نص ثالث: وربما كان يحفر حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح
وفي نص رابع: " حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعيي ". وكل ذلك قد تقدم مع مصادره
٦ – لا عيش الا عيش الآخرة:
ولا ننسى أن نلفت نظر القارئ هنا إلى مضمون الشعر الذي كان يترنم به العاملون في الخندق، وما يتضمنه من ربط لهم بالآخرة وبما يرجو المؤمنون تحقيقه من فوز وفلاح فيها
كما أنه يحمل في ثناياه مقارنة عفوية فيما بين الدنيا والعيش فيها، وتفضيل عيش الآخرة عليه. ثم يشاركهم النبي في ترديد هذا الشعر، فتكون مشاركة للوجدان وللاحساس، ويتعمق لدى هذا الانسان الكادح المجاهد الشعور بالله سبحانه، وبالطافه ومواهبه، وما أحوجهم في هذا الظرف العصيب بالذات إلى احساس كهذا

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢٥٦

٧ – الحماس والمثابرة:
وقد كان لمشاركة النبي (صلى الله عليه وآله) هذه تأثير كبير في إثارة الحماس لدى العاملين في حفر الخندق. وقد أذكى هذا الحماس أيضا معرفتهم بتحرك الأعداء باتجاه المدينة. واحساسهم بالخطر الذي يتهددهم
٨ – الأسوة الحسنة:
لقد أجمع المؤرخون على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد شارك في حفر الخندق. وتتفق هذه النصوص على انها كانت مشاركة فعالة وحقيقية وجدية. وما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو:
أ – إن هذه المشاركة لم تكن شكلية، ومجرد تمثيل، كما عهدناه وألفناه من رؤساء الجمهوريات والوزراء وكبار المسؤولين في عصرنا الحاضر، حيث يضرب أحدهم بالمعول مثلا ضربات أمام الجماهير في احتفال تكريمي ليظهر على شاشات التلفزيون، وعلى صفحات الجرائد في استعراض اعلامي مزيف، يهدف إلى تكريس زعامته ونفوذه، ولا شئ غير ذلك ثم يتابع رقابته على العمل والعاملين من موقع الآمر، من قصره المنيف أو من برجه العاجي الزاهر
فجاءت مشاركة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في حفر الخندق بصيغة المعاناة الحقيقية والصادقة، التي تمثل الأسوة في المعاناة الكادحة لا مجرد الرمز والمثال. ولنسمع النشيد العفوي والصادق:
لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل
يقول البعض: " ان التاريخ لم يدون لنا غير حادثة مفردة عن

شخصية كان لها سلطان روحي وزمني أيضا على أمة من الأمم. ومع ذلك فقد عملت مثل عامل عادي، وجنبا إلى جنب مع اتباعها في ساعة الحرج الوطني العظيم " (١)

ب – إن مشاركته صلى الله عليه وآله وسلم في حفر الخندق تجسد عمليا للمسافة بين جميع فئات المجتمع، تخرجها عن أن تكون مجردة شعار، يراد له ان يبقى في حدود إثارة المشاعر، في النشاط الاعلامي الجماهيري، دون ان تجاوز ذلك ليصبح حياة وحركة، نهجا وسلوكا

المساواة في نظر الاسلام نهج وسلوك، وخلق اسلامي وانساني رفيع ونبيل، تنطق من خلاله وعلى أساسه مثل وقيم في جهات حياتية شتى. ولأجل ذلك نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشارك أصحابه في حفر الخندق مشاركة حقيقية، فهو يتعب كما يتعبون، ويرتجز كما يرتجزون، ويجوع كما يجوعون، ويشاركهم حلو العيش ومره، ويشترك معهم في تحمل المتاعب والمواجهة المصاعب ويكون أكثرهم عناء، وأعظمهم غناء

ج – ان هذه المشاركة منه (صلى الله عليه وآله) لم تكن عن تواضع يريد من ورائه نيل رضاهم ومن خلال المواساة التي يتلمسونها في مشاركته تلك. بل هي منطلقة بالإضافة إلى ذلك من قناعة راسخة بالقيم والمبادئ، وبالمثل الاسلامية والانسانية، التي تجعل ذلك عبادة إلهية، وعبودية له سبحانه وتعالى، تلك العبادة والعبودية التي لا تستثني ولا تجامل ولا تحابي أحدا أيا كان

---

(١) حياة محمد ورسالته ص ١٦٥ تأليف: مولانا محمد علي

د – ومن الواضح: ان ارتباط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالناس لم يكن بالنوع الروابط التي تقوم بين الزعيم وبين قاعدته الجماهيرية، ولا كانت هي رابطة حاكم ورعية، وان ما كانت رابطة الأبوة المسؤولة والواعية، التي يدفعها احساسها الأبوي لتريد الخير لمن هم تحت تكلفها من مواضع الوعي والتدبير، لا من موقع العاطفة الهوجاء، ولا من منطلق التفكير المصلحي، الذي يريد ان يستفيد من ذلك لتكريس زعامته، أو كسب امتيازات سياسية، أو اجتماعية أو غيرها

ولأجل ذلك كان مواساته صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه في حالات الجوع ثم مشاركته لهم في تلبيته لدعوة جابر لتناول الطعام رغم ان جابرا لم يجد في بيته إلا ما يكفي بضعة اشخاص ولكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا الجميع وأطعم الجميع

منع حسان وكعب بن مالك من الشعر:

وقال المؤرخون أيضا عن كعب بن مالك قال: جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر، فعزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي ان لا أقول شيئا!

فقلت: هل عزم على غيري؟!

قالوا: حسان بن ثابت

قال: فعرفت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) انما نهانا لوجدنا له، وقتله على غيرنا. فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق

وقال (صلى الله عليه وآله) يومئذ: لا يغضب أحدا مما قال صاحبه، لا يريد

بذلك سوءا. إلا مما قال كعب وحسان فإنهما يجدان
ذلك (١)
وعند البيهقي: نهاهما ان يقولا شيئا يحفظان به شيئا (٢)
وكان جعيل بن سراقة رجلا صالحا. وكان دميما قبيحا. وكان
يعمل معهم في الخندق. وكان (صلى الله عليه وآله) قد غير اسمه يومئذ وسماه
عمرا. فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون:
سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا
وجعل رسول الله لا يقول شيئا بل يقفي معهم فقط، ويقول:
عمرا. ظهرا (٣)
قال الحلبي: " وسياق أسد الغابة يدل على أن هذا الذي غير
رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور " (٤)
ونشير نحن هنا إلى ما يلي:

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩
(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٦. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ متنا وهامشا وراجع دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٩ و ٤١٠. والسيرة النبوة لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٧ / ٢٢٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ / ٣١٢ وراجع: الامتاع ص ٢٢٢ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٩٠ وقال: أخرجه أبو موسى والإصابة ج ١ ص ٢٤٠
(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١٢ وراجع أسد الغابة ج ١ ص ٢٩٠

الكلمة المسؤولة القرار الحاسم:
ان هذه النصوص التي ذكرناها قد أظهرت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذ قرارا حاسما يمنع حسان بن ثابت وكعب بن مالك من انشاد أو قول شئ حين حفر الخندق
والذي يظهر لنا من ثنايا الكلمات هو ان حسانا وكعب بن مالك لم يلتزما بالضوابط الأخلاقية والاسلامية فيما قالاه وأنشداه بل هما قد تجاوزا الحد، واغضبا الآخرين ويشير إلى ذلك:
١ - انه صلى الله عليه وآله وسلم قد اختص هذين الرجلين بالمنع، ولم يعزم على أحد غيرهما
٢ - كما أن قوله (صلى الله عليه وآله) يومئذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوءا الخ.. صريح في أنه قد قيل ثمة ما يوجب الغضب، حتى احتاج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للتدخل لتلطيف الأجواء، وسل الخيمة
٣ - ولعل قصة جعيل بن سراقة هي أحد الشواهد على هذا التعدي على الآخرين، حيث كان من الطبيعي ان ينزعج هذا الرجل، الذي وصف بالقبح والدمامة من ارتجازهم الشعر في حقه ويعد ذلك نوع من العبث والاستهانة به، والاحتقار له
ومن هنا، فإننا نشك كثيرا في قولهم: ان النبي (صلى الله عليه وآله) جعل يقفي معهم، ويقول: عمرا، ظهرا...
من اننا نلاحظ على النص المذكور: انه قد المح إلى أن سكوت النبي عن انشادهم الشعر في حق جعيل كان ملفتا للنظر، حيث يقول النص: " فجعل رسول الله لا يقول شيئا، بل يقفي معهم فقط "

وبعد ما تقدم نقول: اننا نلمح في النصوص المتقدمة محاولة للتحريف والتصرف في النص بهدف التعميم على حقيقة ما جرى حيث حاول ان يصور لنا: ان منع حسان وكعب من قول شئ انما كان لأجل قدرتهما على قول الشعر وقلته على غيره

مع أن القضية ما كانت تتطلب الكثير من قول الشعر آنئذ، بل يكفي البيت أو البيتان ليرددهما الآخرون مدة طويلة، وفقا لما حفظه لنا التاريخ في هذه المناسبة. بالإضافة إلى أن الكثيرين كانوا يجيدون الشعر مثل كعب وحسان

وأم يكن ثمة داع لتحاسد القوم في أمر كهذا في مناسبة كهذه

ولا كان اللازم هو ان يحسدوا حسانا وكعب بن مالك في سائر المناسبات، ويمنعهما النبي (صلى الله عليه وآله) من هجاء المشركين ومن نظم الشعر في كثير من المناسبات الأخرى

ولم نجد في ما بأيدينا من نصوص تاريخية ان حدث ما يشبه هذه القضية في اي مناسبات أخرى، لا مع النبي ولا مع غيره

وذلك بجعلنا نطمئن إلى حدوث تجاوز منهما للحد أوجب ان يقف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم منهما هذا الموقف الحازم والحاسم

فليتأمل في تاريخ حياة هذين الرجلين فقد يجد المتتبع فيها الكثير مما لا يحسن ولا يجمل، وقد تقدم في أواخر الحديث عن غزوة بني النضير شئ غريب صدر في حسان، وربما تأتي الإشارة لأشياء أخرى صدرت منه ومن غيره، والله هو المسدد والهادي

زيد بن ثابت:
" كان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقه: اما انه نعم الغلام، وغلبته عينه، فنام في الخندق. فاخذ عمارة بن حزم سلاحه، وهو نائم. فلما قام فزع على سلاحه، فقال له (صلى الله عليه وآله): يا بار، [يا أبا رقاد] قد نمت حتى ذهب سلاحك؟ ثم قال:
من له علم بسلاح هذا الغلام؟!
فقال عمارة: انا يا رسول الله، هو عندي
فقال: رده عليه ونهى ان يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا " (١)
وكان المسلمون قد انكشفوا يريدون يطيفون بالخندق
ويحرسونه، وتركوا زيدا نائما ولا يشعرون به. ونقول:
لا ندري مدى صحة ما ينسب إلى النبي: أنه قاله في حق زيد بن ثابت. دون سائر من كانوا ينقلون التراب من شباب وغيرهم، من دون مبرر ظاهر، أو سبب معقول، أو فعل متميز من زيد على من سواه، يستدعي ان يخلع عليه النبي الأوسمة، ويخصه بالتقاريض والمدائح
غير أننا نعلم: ان زيدا كان ممن تهتم السلطة بأمره. وتعمل على رفعة شأنه، وتخصيصه بكل غال ونفيس ما وجدت إلى ذلك سبيلا، لأنه كان من أعوانها بل من أركانها كما أشرنا إليه في فصل تعليم زيد للغة العبرانية، فلا نعيد

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٣ والامتاع ج ١ ص ٢٢٢ والإصابة ترجمة زيد بن ثابت والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٨

سلمان منا أهل البيت:
ويقولون: إن المسلمين جعلوا إذا رأوا في الرجل فتورا ضحكوا منه. وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي، فقال المهاجرون: سلمان منا. وكان قويا عارفا بحفر الخنادق
وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به
فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قولهم فقال: سلمان رجل منا أهل البيت (١)
" ولقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال، حتى عانه (أي أصابه بالعين) يومئذ قيس بن أبي صعصعة فلبط به (أي صرع وسقط إلى الأرض) فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: مروه فليتوضأ له، وليغتسل به، ويكفأ الاناء خلفه
ففعل، فكانما حل من عقال (٢) "
وحسب نص اخر أوضح وأصرح " روي أنه كان يعمل في الخندق عمل الرجلين. وفي رواية كان يحفر كل يوم خمسة أذرع من

---

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٣ وراجع: سيرة المصطفى ص ٤٩٥. عن الطبري وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والامتاع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ج ٨ ص ٣٤١ والبحار ج ٢٠ ص ١٨٩ و ١٩٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤١٨ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ وراجع ص ١٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢
(٢) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤٧ والامتاع ج ١ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٥

الخندق، وعمقها أيضا خمسة أذرع، فعانه قيس بن صعصعة، فصرع وتعطل من العمل، فأخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان، ويجمع وضوءه في ظرف، ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفأ الاناء خلف ظهره
ففعل، فنشط في الحال كما ينشط البعير من العقال " (١)
وقصة التنافس في سلمان وقول النبي (صلى الله عليه وآله) سلمان منا أهل البيت مذكورة في العديد من المصادر، فلتراجع في مظانها (٢)
ونص آخر يقول: إنه حين حفر الخندق كان المسلمون ينشدون سوى سلمان، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، فدعا الله تعالى: أن يطلق لسان سلمان، ولو ببيتين من الشعر. فأنشد سلمان ثلاثة أبيات هي:
ما لي لسان فأقول شعرا * أسأل ربي قوة ونصرا
على عدوي وعدو الطهرا * محمد المختار حاز الفخرا
حتى أنال في الجنان قصرا * مع كل حوراء تحاكي البدرا
فضج المسلمون، وجعلت كل قبيلة تقول: سلمان منا. فقال

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ وراجع: الامتاع ج ١ ص ٢٢١ وراجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧
(٢) الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٥٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ والبحار ج ٢ ص ١٨٩ عن مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ وراجع أسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ وذكر اخبار أصبهان ج ١ ص ٥٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٠ ونفس الرحمان ص ٣٤ / ٣٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨

النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت (١)
ونقول:
إننا نشك في صحة ذلك كله، وذلك للأمور التالية:
أولا: إنه عدا عما في هذه الأبيات الأخيرة من الهنات. لا نجد المبرر المذكور لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله) لسلمان كافيا في تبرير ذلك، لان الذين كانوا ينشدون الشعر، ما كانوا ينشدون من نظمهم، بل كان الناظم واحد من الناس، والباقون يرددون المنظوم بطريقة معينة ووقع خاص يتناسب مع الحالة التي يعيشونها، وقد كان باستطاعة سلمان ان يردد ذلك النشيد مع المرددين، من دون حاجة إلى أن ينظم شعرا، كما صورته لنا الرواية
وثانيا: إن ما ذكروه في سبب اطلاق هذه الكلمة النبوية الخالدة في حق سلمان: " سلمان منا أهل البيت " لا يعدو ان يكون أمرا عاديا بل وتافها، لان معناه: أن تكون قضية الاستفادة من قوة سلمان البدنية موضع تنافس الفرقاء، وقد حسم النبي (صلى الله عليه وآله) نزاعهم، بتحويل سلمان إلى القسم الذي كان يعمل هو صلى الله عليه وآله وأهل بيته فيه فكانت تلك الكلمة ايذانا بذلك
وهذا معناه ان تفقد هذه الكلمة قيمتها وأهميتها. وهكذا الحال بالنسبة لحكاية اطلاق لسان سلمان بالشعر، ثم تنافس الفرقاء فيه فجعله صلى الله عليه وآله جزءا من فئة تحسن التكلم بالعربية، وتحب ان تكرمه وتشجعه، لأنه نطق بلغتها

---

(١) راجع: المناقب لابن شهرآشوب ج ١ ص ٨٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ والدرجات الرفيعة ص ٢١٨، ونفس الرحمان ص ٤٣

إذن، فلم يكن هذا الوسام لسلمان قد استحقه لعلمه، أو لدينه أو لمواقفه، أو لغير ذلك من أمور تدخل في نطاق صفات واعمال الخير والصلاح فيه

وبعد هذا فلا يبقى مبرر لما نلاحظه في كلمات الأئمة عليهم السلام من تركيز على هذا الوسام، وتأكيد لواقعيته ومصداقيته فيه رضوان الله تعالى عليه

كما لا معنى لاستدلال ابن عربي على عصمة سلمان بهذه الكلمة المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حقه، باعتبار أن أهل البيت معصومون مطهرون، بنص آية التطهير (١)

الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح في القضية، الذي ينسجم مع وقائع التاريخ ومع ما عهدناه من سياسات انتهجها الحكام طيلة عشرات السنين هو النص التالي:

" إن سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، فعظموه، وقدموه، وصدروه، اجلالا لحقه، واعظاما لشيبته، واختصاصه بالمصطفى واله

فدخل عمر، فنظر إليه فقال:

من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟!

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، فخطب، فقال:

---

(١) راجع: سلمان الفارسي، للعلامة السبيتي ص ٤٠ ونفس الرحمان ص ٣٢ كلاهما عن الفتوحات المكية

إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط
لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا
بالتقوى. سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت
" (١)
وهكذا يتضح: أن سلمان المحمدي قد تعرض لمحاولة تحقير
وامتهان، من قبل رائد " التمييز العنصري " بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) الذي
شاع وذاع عنه أنه لم يحب تزويج سلمان. وكان يكره الفرس
ويمقتهم وقد حرمهم من أبسط الحقوق (٢) فانتصر النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لسلمان، وأدان المنطق الجاهلي، والتمييز العرقي
والعنصري، بصورة صريحة، وقوية وقاطعة
تقتلك الفئة الباغية:
روي في صحيح مسلم " عن أبي قتادة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال
لعمار حين يحفر الخندق، فجعل يمسح رأسه ويقول:
بؤس ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية " (٣)
لكن القمي قد فصل ذلك حيث قال:
" قوله: يمنون عليك أن أسلموا، نزلت في عثكن (عثمان) يوم

---

(١) الاختصاص ص ٣٤١ ونفس الرحمان في فضائل سلمان ص ٢٩ والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٨
(٢) قد تكلمنا حول سياسات عمر تجاه غير العرب ومع سلمان في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي فراجع
(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ عن صحيح مسلم وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٢

الخندق. وذلك أنه مر بعمار بن ياسر، وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كمه على أنفه ومر. فقال عمار:

لا يستوى من يبتني المساجدا * يظل (فيصلي) فيها راكعا وساجدا
كمن يمر بالغبار حائدا * يعرض عنه جاحدا معاندا

فالتفت إليه عثكن، فقال: يا ابن السوداء إياي تعني؟ ثم أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: لم ندخل معك لتسب اعراضنا فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): قد أقلتك اسلامك فاذهب. فأنزل الله: يمنون عليك أن أسلموا الخ " (١)

وقد تقدم في جزء سابق حين الحديث عن بناء مسجد المدينة: أن ذلك قد حصل في تلك المناسبة في قضية حصلت بين عمار وعثمان، ونقول:

إننا لا نريد أن ندخل في موضوع تحقيق الحق في كون ذلك قد حصل في البناء الأول للمسجد أو الثاني، أو في حفر الخندق، فان تحقيق ذلك ليس له كبير أهمية ما دام أن أصل القصة، وكلمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مما لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه، وقد أجمع عليه المحدثون والمؤرخون، بل والمسلمون قاطبة

وأصبح من المسلمات غير أننا نذكر القارئ هنا بأمر هام، وهو: أن طريقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الاطهار في التربية والتعليم لها مرتكز أساس، وهو الاعتماد على بلورة المعايير والمنطلقات الأساسية في النهج الفكري والعقيدي للناس بصورة عامة، ثم تفويض أمر اختيار ما يتناسب مع تلك المعايير، ويتطابق مع

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٣

هاتيك الضوابط إلى الناس أنفسهم، فنجد الناس مثلا هم الذين يقومون بعملية التعرف على الامام، بما لديهم من ضوابط ومعايير يمارسون تطبيقها بأنفسهم، وتوصلهم إلى الإمام الحق، بصورة قويمة وسليمة، من دون حاجة إلى التنصيص عليه بالاسم، كما كان الحال حينما أوصى الإمام الصادق إلى خمسة أحدهم الإمام موسى، حيث عرف الشيعة أن الامام لا يمكن أن يكون ذلك الحاكم الظالم، كما لا يمكن ان يكون هو زوجة الامام، ثم لا يمكن ان يكون هو الولد الأكبر مع إشراك الأصغر في الوصية (١)

والامر في قصة عمار أيضا من هذا القبيل، حيث قدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للناس آنئذ ضابطة يعرفون بها فريق البغاة، ويميزونه عن غيره، دون أن يصرح صلى الله عليه وآله وسلم بالاسم أو بالأسماء، الامر الذي قد يحمل معه سلبيات كثيرة ومتنوعة بشكل أو بآخر..

ومن الواضح: أن لهذه التربية الفكرية ولصياغة الشخصية الاسلامية بهذه الطريقة آثار إيجابية كبيرة وهامة جدا. وذلك لما ينتج عنها من حصانة ومناعة لدى الانسان المسلم في مقابل محاولات الخداع والتضليل التي ربما يتعرض لها من قبل أهل الدعوات الفاسدة والمشبوهة، ويصبح في مأمن من الوقوع في شراكهم التي ينصبونها له ولأمثاله..

كما انها تجعله قادرا على نقل المفاهيم التي يؤمن بها إلى الآخرين بالطريقة المنطقية والمقبولة والمعقولة

---

(١) راجع: البحار ج ٤٧

ثم هي تمكنه من أن ينأى بنفسه عن أن يكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق، ويسيرون في ركاب كل قبيل، دون وعي أو نأمل في الأمور وفي عواقبها

أضف إلى ذلك: أنها تخرج الانسان المسلم عن دائرة التلقين الأعمى، ليصبح قادرا على التفاعل مع الفكرة، أو مع أية قضية تعرض عليه، ولكن لا من موقع التأثر والانفعال العاطفي أو اللاشعوري، بل من موقع التأمل والتروي والوعي والضبط والانضباط بكل ما لهذه الكلمات من معنى دقيق، وعميق

وهذا بحث هام ومتشعب، يحتاج إلى توفر تام، من أجل حشد الشواهد والدلائل الكثيرة والمتنوعة للاستفادة منها كطريقة عمل ومنهج حياة، وسبيل صلاح واصلاح، إن شاء الله تعالى

الفصل الرابع:
كرامات في نطاق
السياسة الإلهية

مما سبق:
قد تحدثنا في الجزء السابق، في غزوة ذات الرقاع عن
معرفة الأنبياء والأوصياء بلغات البشر، بل منطق الطير وسائر
الحيوانات
وتحدثنا أيضا هناك عن الكرامات التي نقلت عن نبينا الأكرم
صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة الاطهار وعن الأنبياء السابقين
وغيرهم. مما أشار القرآن إلى بعض منه أيضا.
وقد ذكرنا ثمة توضيحا لا غنى عن المراجعة إليه، من أجل
جعل الأمور في نصابها في نطاق فهم هذه الكرامات والمعجزات التي
سجل لنا القرآن والتاريخ والحديث منها العشرات والمئات في مختلف
الشؤون والمجالات
فنرجو من القارئ الكريم ان لا ينسى مراجعة ما كتبناه هناك،
وبدون ذلك، فان فهم هذه القضايا ليس فقط سوف يكون ناقصا،
وانما قد يكون غير واقعي ولا دقيق
الكرامات والمعجزات في الخندق:
لقد كان المسلمون يواجهون يوم الخندق أعظم تحد واجهوه

سواء من حيث العدد، أو من حيث العدة، بالإضافة إلى حالة الحصار التي يعانون منها

ثم يتعاظم احساسهم بالخطر الذي يتهددهم: وهم يجدون امارات الغدر والخيانة قد ظهرت، لدى أولئك الذين كان لهم معهم عهود ومواثيق، فلم تعد العهود قادرة على اعطاء أدنى شعور بالأمن والسكون إليها. كما أن كل ما عمله النبي والمسلمون من احسان، وما اتخذوه من مواقف انسانية قد اتضح انه لم يمنع من تلقوا ذلك الاحسان من أن يحالفوا العدو، وينقلبوا على ما أحسن إليهم ليقابلوه بالإساءة، فيكتشف المسلمون انهم مجموعة من الذئاب، والسباع الشرسة، التي تفقد كل المعاني الانسانية، وكل الشيم التي يعتز بها الانسان العربي، ويفتخر بها

ثم هناك وجود المنافقين فيما بين المسلمين، الذين كانوا ينخرون في جسم الأمة، ويعملون على تمزيقها، وزرع الشكوك القاتلة، وإيجاد الريب المهلك فيها.

فتأتي هذه الكرامات لتكون صمام الأمان لهذه القلوب الخائفة، والمفجوعة، وليربط الله بها على قلوبهم، ولتزيد في يقينهم وبصيرتهم. وتشد من عزيمتهم

قال الشيخ محمد أبي زهرة: " ان الآيات المادية قد تؤثر في أولئك الماديين الحسيين، وخصوصا إذا كانت في موطن الفزع، فإنها إذا جاءت من غير سبب يألفونه ويعرفونه، فإنها قد تأخذ عقولهم إلى التفكير السليم، وتخلعها من الوثنية، إذ يدخل إليها نور الحق شيئا فشيئا، والنور كلما دخل أشرق، وإذا أشرق

اتجهوا إلى الحق وطلبوه " (١)
ويلاحظ هنا: ان بعض هذه الكرامات قد اقترنت بإخبار النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين بأن البلاد سوف تفتح عليهم حتى الإمبراطوريات العظمى التي كانت تحكم العالم آنئذ، وهما امبرطوريتا الروم وفارس.
وإذا جاء الخبر من الصادق المصدق، الذي يعتقد المسلمون انه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، في حالة مواجهة الاخطار الكبرى والمصيرية، فإنه يكون أكثر رسوخا في النفس، وأعظم اثرا في إثارة الهمم وشحذ العزائم
ونحن نشير هنا إلى طائفة من هذه الكرامات، بقدر ما يمسح لنا به المجال، فنقول:
نبوءة صادقة للنبي (صلى الله عليه وآله):
يقول المقريزي وغيره: " وضرب بالكرزن، فصادف حجرا، فصل الحجر (اي تردد صوته في صليل الفأس)، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله).
فقيل: مم تضحك يا رسول الله؟!
قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق في الكبول (الكبل القيد العظيم)، يساقون إلى الجنة وهم كارهون " (٢)

---

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٤
(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن ابن النجار

والظاهر: ان هذا إشارة لأهل فارس.
ومن الواضح: ان هذه البشارة منه (صلى الله عليه وآله) للمسلمين انما يراد منها ان تعطيهم انطباعا بصورة عفوية وتلقائية بان هذه الدعوة مستمرة وباقية، فلا يهولنهم جمع قريش والأحزاب لهم:
فما ذلك إلا: " سحابة صيف عن قليل تقشع ".
كرامة أخرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله):
عن جابر بن عبد الله قال: أصبح الناس كدية يوم الخندق،
فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فدعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدعا بماء فصبه عليها، فعادت كثيبا أهيل.
وفي نص اخر - ذكره البخاري وغيره: انه (صلى الله عليه وآله) قام وبطنه معصوبة بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا الخ.. (١)

---

(١) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨. والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٠ وإعلام الورى ص ٩٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤ و ٢٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ عن ابن إسحاق، واحمد، والبخاري والبيهقي، وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٨، ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٥ و ٤١٦ و ٤٢٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٥٨ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨.

ويبدو ان هذه قضية اخر يغير قضية سليمان الآتية التي أخبر (صلى الله عليه وآله) المسلمين فيها عن الفتوح التي يفتحها الله عليهم.

قصور الروم وفارس:

ومن الأمور التي يذكرها المؤرخون هنا قصية الصخرة التي واجهت المسلمين وهم يحفرون الخندق وكان سببا في أن يخبر النبي المسلمين بأخبار غيبية تحققت فيما بعد

ونحن نذكر النص التاريخي للرواية أولا. ثم نشير إلى بعض ما يرتبط به، فنقول:

كان سليمان، وحذيفة والنعمان بن قرن، وعمرو بن عوف، وستة من النصار يعملون في أربعين ذراعا فخرجت عليهم صخرة كسرت المعول. فأعلموا النبي صلى الله عليه وآله بالمر.

وفي نص اخر يقول فيه عمرو بن عوف: فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي باب [والظاهر: ان الصحيح: تحت ذباب] (١) اخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا، وشقت علينا

فطلبوا من سليمان ان يخبر النبي صلى الله عليه وآله بأمرها. " فإما ان نعدل عنها، فان المعدل قريب، واما ان بأمرنا فيها بأمره، فانا لا نحب ان نتجاوز خطه

فرقى سليمان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو ضارب عليه قبة تركية فأخبره فهبط مع سليمان وبطنه معصوب بحجر، ولبثوا ثلاثة أيام لا

---

(١) ذباب: جبل بجبانة المدينة. وهو الجبل الذي عليه مسجد الراية. واسمه ذوناب أيضا. راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢

يذوقون ذواقا، والتسعة على شفير الخندق.
وفي نص اخر عن سليمان، قال ضربت في ناحية من الخندق،
فغلظت علي ورسول الله (صلى الله عليه وآله) قريب مني، فلنا رآني أضرب، ورأى شدة المكان علي اخذ المعول، وضربها به ضربة فصدعها. وبرق
منها برق أضاء منها بين لابتي المدينة، فكبر (صلى الله عليه وآله) تكبيرة، وكبر المسلمون
ثم ضربها ثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك أيضا، فصدعها
فاخذ بيد سليمان ورقى، فسأله سليمان عن الامر الذي رآه ورآه
المسلمون، وعن تكبير النبي (صلى الله عليه وآله)، فاخذهم صلى الله عليه وآله: انه بالبرقة الأولى أضاءت له قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبره جبرئيل
بان أمته ظاهرة عليها
وفي الثانية أضاءت له القصور الحمر من ارض الروم. وأخبره
جبرئيل بان أمته ظاهرة عليها
وفي الثالثة أضاءت له قصور صنعاء، وأخبره جبرئيل بان أمته
ظاهرة عليه فابشروا
فاستبشر المسلمون وقالوا:
الحمد لله موعد صدق، وعند النصر بعد الحصر
فقال المنافقون، ومنهم معتب بن قشير: الا تعجبون من
محمدا!! ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه يصير من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وانها تفتح لكم. وأنتم انما تحفرون الخندق
من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا.
فنزل القرآن: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض: ما

وعدنا الله ورسوله إلا غرورا الخ (١).
وقيل: إن قائل ذلك هو عبد الله بن أبي بن سلول (٢).

---

(١) للرواية نصوص مختلفة. فراجعها على اختلافها في المصادر التالية. تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و ٤٨٣ وراجع ص ٤٨٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ و ٤ و ٥ والأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٥٨ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢١٩ ص ١٨٩ و ١٩٠ و ج ١٨ ص ٣٢ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٣٢٨ و ج ٨ ص ٣٤١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٩ / ٤٠٠ وراجع ص ٤١٧ و ٤١٩ - ٤٢١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠، عن أحمد، والشيخين، وابن سعد وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي نعيم، والطبراني والبيهقي، وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٢٨ وحدائق الأنوار ج ١ ص ٥٣ والخصال ج ١ ص ١٦٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٠ وإعلام الورى ص ٩٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ والروض الانف ج ٣ ص ٢٧٧ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٢٢٨ ط الهند، والوفاء ص ٦٩٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٦ و ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١١ - ١١٢ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٢ وعن سنن النسائي ج ٢ ص ٦٥ وعن ابن إسحاق وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥١ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٥٢ وفيه أن المسلمين هم الذين رأوا تلك البلاد
(٢) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥

وفي نص آخر: أن المنافقين قد قالوا ذلك عند مجئ الأحزاب (١)

وهذا هو ما نرجحه، لان سياق الآيات إنما يناسب حالة الشدة التي عانى منها المسلمون بعد مجئ الأحزاب، وحدوث الحصار كما سنوضحه إن شاء الله تعالى

ويظهر من نص للطبراني: أن هذه القضية قد حدثت بعد قصة دعوة جابر للنبي وأهل الخندق للطعام (٢) كما سيأتي. وصرح القمي بأن هذه القضية قد كانت في اليوم الثاني من بدء حفر الخندق (٣)

وذكر نص آخر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم " جعل يصف لسلمان أماكن فارس، ويقول سلمان: صدقت يا رسول الله، هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان " (٤)

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لما حفر رسول الله الخندق مرو بكدية، فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) المعول من يد

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠١.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ عنه

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٠

أمير المؤمنين، أو من يد سلمان، فضرب بها ضربة، فتفرق بثلاث فرق
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لقد فتح الله علي في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر
فقال أحدهما لصاحبه يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا يخرج يتخلى (١) والمراد بأحدهما وصاحبه هو أبو بكر وعمر ولم يذكر أسميهما صراحة تقية
ونقول: لكن هذه الرواية تخالف ما تقدم عن ابن الوردي وزيني ودحلان من أن الذي قال ذلك هو معتب بن قشير، أو عبد الله بن أبي
نص اخر يخالف ما سبق:
ويقولون أيضا: كان عمر بن الخطاب يضرب يومئذ بالمعول فصادف حجرا صلدا، فأخذ (صلى الله عليه وآله) منه المعول، وهو عند جبل بني عبيد فضربه، فذهبت أولها برقة إلى اليمن. ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشام، ثم ضرب ثالثة فذهبت برقة نحو المشرق. وكسر الحجر عند الثالثة
فكان عمر بن الخطاب يقول: والذي بعثه بالحق. لصار كأنه سهلة (رمل ليس بالدقاق)
وكان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره، فيبصر عند كل ضربة برقة، فسأله عن ذلك، فأخبره صلى الله عليه وآله وسلم: أنه رأى في الأولى قصور الشام، وفي الثانية قصور اليمن، وفي الثالثة قصر كسرى الأبيض

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٠ / ٢٧١ عن الكافي

بالمدائن. وجعل يصفه لسلمان. فصدقه سلمان، وشهد له بالرسالة
فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي يا سلمان لتفتحن الشام، ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته، وتظهرون على الشام فلا ينازعكم أحدا ولتفتحن اليمن، وليفتحن هذا المشرق. ويقتل كسرى بعده
قال سلمان: فكل هذا قد رأيت (١)
ونقول:
إن هذا النص - كما ترى - يخالف جميع النصوص الأخرى الواردة في كتب الصحاح، والمسانيد، وفي كتب التاريخ، التي سجلت لنا هذا الحدث الهام
حيث إنه يذكر: أن عمر بن الخطاب هو الذي صادف الحجر الصلد، الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبرقت البرقات الثلاث
مع أن النصوص التي اوردتها سائر المصادر المعتبرة بالأسانيد الموثوقة قد نصت على أن القضية بجميع فصولها وخصوصياتها وجزئياتها قد كانت مع سلمان الفارسي. بل قد ذكر النص الذي أوردناه أولا أسماء ثلاثة ليس عمر بن الخطاب أحدهم. ثم صرح بأن الستة الباقين جميعهم من الأنصار
بل إن نفس هذا النص الذي ذكرناه آنفا، والذي أراد حشر اسم

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٤٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ وأشار إليه في سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠ عن الواقدي ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨

الخليفة الثاني في هذه القضية، قد عاد والتزم جانب سلمان، بمجرد أن أخذ النبي صلى الله عليه وآله المعول ليضرب به ذلك الحجر ولم يعد لعمر فيه أي دور يذكر..

وكل ذلك يعطينا: أن ذكر اسم الخليفة الثاني هنا قد جاء سهوا من الراوي، ولعل ثمة حاجة في النفس قضيت

القيادة الحازمة، والانضباط أساس النجاح:

وبعد، فان سيطرة القيادة النبوية الشريفة على الموقف واشرافه صلى الله عليه وآله وسلم على كل تحرك، وتصرف واستتباب حالة الانضباط التام لدى الفئات التي كانت تعمل معه وتحت قيادته، له تأثير كبير في حسم الموقف، وفقا لما ترسمه القيادة ويحقق أهدافها

وقد تجلت الهيمنة القيادية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مجال في غزوة الأحزاب، وقد قرأنا آنفا: انهم حين ظهرت الكدية والصخرة قالوا: إنهم ما كانوا يتجاوزون ما خطه رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا، رغم أن المعدل قريب وتقدم أيضا: أن أحدا لم يكن

يترك موضعه وعمله لحاجة يريدها إلا أن يأذن له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو ما طالب به أمير المؤمنين بعض أصحابه في صفين حين قال له: طاعة امامك أوجب عليك من مبارزة عدوك. ونجد أمثال هذه الكلمة في مغزاها ومرماها الكثير في مختلف المواضع والمواقع

وهذا الانضباط هو الضمانة للنجاح في أية خطة ترسم، إذ أن القبول بالانسياق وراء الاجتهادات المختلفة يفقد القيادة الثقة بامكانية

تحقيق أية خطة تضعها للمواجهة، ثم هو يفسح المجال لتمرير بعض الخدع التي تفيد الأعداء، وتهيئ لهم الظرف الملائم لتسديد ضرباتهم الموجعة، والخطيرة في أحيان كثيرة. أضف إلى ذلك ما يمكن ان ينشأ عن ذلك من منافسات ثم من نزاعات، إلى أن ينتهي الامر إلى التراشق بالتهم وتصدع الصف الواحد، الذي يفترض أن يكون كالبنيان المرصوص. ولم ينس المسلمون بعد ما أصابهم في حرب أحد حيث تسبب الرماة والذين تركوا مراكزهم على ثغرة الجبل بكارثة حقيقية مني بها المسلمون كما سبق بيانهم

ومهما يكن من أمر فان الانضباط في غزوة الأحزاب، والتقيد بأوامر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد هيأ الفرصة لتحقيق النجاح الكبير الذي غير مسار تاريخ المواجهة مع المشركين، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله: الان نغزوهم ولا يغزوننا كما سيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله

نقول هذا رغم اننا نجد المنافقين يحاولون التملص من تحمل مسؤولياتهم، ويختلقون الذرائع والحجج المختلفة لذلك. ولكن ذلك كان يتم وفقا لقوانين الانضباط أيضا، فقد كانوا يورون بالضعيف من العمل، وكانوا يستأذنون لحاجات وهمية، وما إلى ذلك، ولكنه كله كان تحت سمع وبصر القيادة وفي نطاق علمها، وسيطرتها على الموقف كما هو معلوم

مدائن كسرى وقصور الروم وصنعاء:

إننا حين نقرأ هذه القضية نشعر: أن المسلمين كانوا يواجهون أكبر تجمع لقوى الشرك، ويتهيأون للدفاع عن وجودهم وحياتهم

وهم يشعرون بعظيم الخطر الداهم، وتختلف في نفوسهم عوامل اليأس تارة، وعوامل الرجاء تارة أخرى

ولعل المنافقين، ومن وراءهم اليهود قد أسهموا بتضعيف عوامل الرجاء بما أشاعوه وأذاعوه مما يؤكد ويقوي حالة التشاؤم إلى درجة اليأس لدى الكثيرين ممن لم ترسخ لهم بعد قدم في الايمان والتسليم، والتوكل

فتأتي قصة رؤية قصور الحيرة والروم وصنعاء، ومدائن كسرى حينما ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الصخرة المستعصية في الخندق ضربات

ثلاث، - تأتي - لتعيد للمسلمين ثقتهم بنفسهم وبربهم، وتطلعاتهم ونظراتهم القوية والثاقبة للمستقبل، ويبتعد حينئذ تلقائيا شبح الخوف المذل والاستسلام الخانع لعوامل اليأس، التي لو تمكنت وترسخت فيهم لجرتهم إلى مزالق الذل ولكان ذلك سببا في ذهاب ريحهم وسقوطهم في حمأة الهوان، والبوار، إذ أن الحادثة قد استنبطت: ان ما هم فيه ما هو إلا " سحابة صيف عن قريب تقشع " وأنهم سيخرجون من هذه الضائقة التي يواجهونها مرفوعي الرأس، ليواصلوا مسيرتهم الظافرة من نصر إلى نصر، ومن فتح إلى فتح - حتى ينتهي بهم الامر إلى فتح الفتوح، حيث تفتح لهم البلاد، وتدخل العباد في دينهم أفواجا، ويملكون كنوز كسرى وقيصر، حسبما أخبرهم به الرسول (صلى الله عليه وآله) منذ فجر دعوته في مكة

ومما يدخل في هذا السياق: ما روي من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الخندق لأصحابه: لئن أمسيتم قليلا، لتكثرن، وان أمسيتم ضعفاء لتشرقن، حتى تصيروا نجوما يهتدى بكم، وبواحد منكم (١)

---

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٦٦

الأمل بالنصر:
وذلك كله يوضح لنا سر اطمئنان المؤمنين بنصر الله لما رأوا الأحزاب، وقد أحاطوا بالمدينة، وضيقوا عليها الخناق، فلم ينهزموا أمام كل تلك الحشود، وما وهنوا لما أصابهم. بل واجهوا ذلك بكل صلابة عزم، وبكل تصميم قاهر، تحدث الله عنه سبحانه حينما قال:
" ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم الا ايمانا وتسليما (١) "
أما المنافقون، فاتخذوا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذريعة للمزيد من السخرية، والتندر والاستهزاء، الذي يعبر عن انهزامهم النفسي والروحي أما القوى الغازية
قال تعالى:
* (وإذ يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) *
كرم وكرامة:
وقضية وليمة جابر في الخندق تروى بنصوص مختلفة نلخصها فيما يلي:
قال جابر: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحفر، ورأيته خميصا ورأيت بين عكنه الغبار. فاستأذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب إلى بيته، فأذن له

---

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥

فعاد إلى امرأته – واسمها سهيلة بنت مسعود الأنصارية. فاتفق معها
على أن يصلحا ما عندهما، وهو مد من شعير، وعناق (شاة) أو
شويهة غير سمينة. ثم يدعوا النبي (صلى الله عليه وآله) للطعام
فذهب ليدعوه مع رجل أو رجلين. فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما عنده
فأخبره. فقال (صلى الله عليه وآله) كثير طيب. ثم دعا أهل الخندق جميعا، وقال
لهم: إن جابرا قد صنع لهم سورا
فأقبلوا معه. قال جابر: فقلت: والله إنها الفضيحة. فأتيت
المرأة فأخبرتها (أي بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد جاءها بالجند أجمعين. أو قد
جاءك
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أجمعون)
فقالت: أنت دعوتهم، أو هو دعاهم؟
فقلت: بل هو دعاهم
قالت: دعهم، هو أعلم
وفي نص آخر: أنها سألته إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد سأله عما
عنده؟ فأجابها بالإيجاب، فقالت له ذلك
وذكرت نصوص أخرى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أقبل وأمر أصحابه، فكانوا فرقا
عشرة عشرة، ثم قال اغرفوا وغطوا البرمة، وأخرجوا من التنور الخبز
ثم غطوه. ففعلوا، فجعلوا يغرفون، ثم يغطون البرمة، ثم يفتحونها
فلا يرون أنها نقصت شيئا. ويخرجون الخبز من التنور، ثم يغطونه
فما يرونه ينقص شيئا. فأكل الجميع حتى شبعوا
وقال (صلى الله عليه وآله): كلوا واهدوا، فان الناس أصابتهم مجاعة شديدة
فأكلنا وأهدينا
وفي نص آخر: فلم نزل نأكل ونهدي يومنا ذلك أجمع، فلما

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذهب ذلك
ولهذه الرواية نصوص تختلف من حيث التفصيل والاختصار لم
نر حاجة إلى ايرادها، ويمكن لمن يريد ذلك أن يراجع المصادر التي
في الهامش (١)
وقد صرحت بعض المصادر: بأن الذين اكلوا عند جابر كانوا
ألف رجل. وهم جميع أهل الخندق. وقيل: كانوا ثلاث مئة، وقيل:
ثمان مئة وقيل: تسع مئة (٢)

---

(١) راجع النصوص المختلفة لهذه القضية في: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ - ١٩٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ج ١٨ ص ٢٦ ج ٧ وص ٣٢ حديث ٢٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٦ و ٤١٥ و ٤٢٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١ وراجع: تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤ / ٢٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ / ٣٣٠ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٧ - ٩٩ عن البخاري، واحمد، والبيهقي، وابن أبي شيبة، ومسلم، وابن إسحاق وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٠ و ٥٢١ عمن تقدم، وعن الحاكم والطبراني وحدائق الأنوار ج ١ ص ٢١٢ و ج ٢ ص ٥٩٢ وشرح الشفاء للقاري ط سنة ١٢٦٤ ج ١ ص ٢٤٥ / ٢٤٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ ودلائل النبوة لابن نعيم ص ٣٥٨ و ٣٦٠ والشفاء ج ١ ص ٢٩١ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ٣٦ وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره والخرايج والجرايح ج ١ ص ٢٧ و ١٥٢ - ١٥٤ واثبات الهداة ج ٢ ص ٨٨

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ عن البخاري وابن أبي شيبة وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢١ و ٥٦٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٦٠ والشفاء ج ١ ص ٢٩١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٤ و ٤٢٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥

وفي بعض النصوص: حتى شبع المسلمون كلهم
زاد ابن شهرآشوب: فلم يكن موضع للجلوس، فكان يشير إلى الحائط، والحائط يبعد، حتى تمكنوا، فجعل يطعمهم بنفسه (١)
وفي نص اخر: أنه (صلى الله عليه وآله) قال: هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة؟ فدلوه على رجل، فذهب إلى بيته. ولكنه كان في الخندق يعالج نصيبه، فأرسلت إليه امرأته، فأقبل يسعى، فذبح لهم جديا كان عنده فأكل منه عشرة، ثم ذهبوا، وجاء عشرة آخرون فأكلوا
" ثم قام (صلى الله عليه وآله) ودعا لربة البيت، وسمت عليها، وعلى أهل بيتها (٢)
قضية أخرى فيها كرامة لرسول الله (صلى الله عليه وآله):
وأرسلت أم متعب (أو أم عامر) الأشهلية بقعبة فيها حيس (٣) إلى

وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦١ وإعلام الورى ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٣. وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٤ / ٢٣٥ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وحدائق الأنوار ج ١ ص ٥٣ و ٢١٢ و ج ٢ ص ٥٩٢

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٥ والبحار ج ١٨ ص ٣٢ حديث ٢٥ والمناقب لابن شهرآشوب ج ١ ص ١٠٣

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٣ / ١٩٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠١ و ١٠٠ عن الطبراني، وراجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٥

(٣) الحيس: طعام متخذ من التمر والسمن، والدقيق والفتيت

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو في قبته مع أم سلمة، فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه: هلم إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتى نهلوا، وهي كما هي (١)

كرامة أخرى للنبي (صلى الله عليه وآله):

وبعث أبو طلحة انسانا بأقراص من الشعير تحت إبطه، ففتها (صلى الله عليه وآله) وأطعم منها ثمانين (٢)

يعم الجيش كله حفنة من تمر:

ومما ذكره في هذا السياق: ان ابنة بشير بن سعد (٣) جاءت بحفنة من تمر إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فرآها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي تلتمس أباها وخالها، فأخذ ذلك منها في كفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب

ثم أمر جعال بن سراقة فصرخ في أهل الخندق: ان هلم إلى الغداء. فاجتمعوا، فجعلوا يأكلون منها، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب (٤)

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن ابن عساكر، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ٢١ و ٢٢ (المقدمة).

(٣) هي أخت النعمان بن بشير.

(٤) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨ / ٢٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢١ و ٥٢٢ عن أبي نعيم، وابن إسحاق والاكتفاء للكلاعي ج ٢

كرامة أخرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله):
عن معاوية بن الحكم قال: لما اجرى أخي علي بن الحكم
فرسه فدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله على
فرسه، فقال: بسم الله، ومسح ساقه، فما نزل عنها حتى برئ (١)
بين نظرتين:
أ - ويلفت نظرنا في قصة جابرا قد تصرف وفق ما
وجد أنه متوفر لديه من معطيات مادية. حيث رأى أن ما عنده لا يكفي
إلا لعدد يسير من الاشخاص، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم، لم يكن ليجعل نفسه أسيرة للأسباب المادية في حدودها
الظاهرة. بل تجاوز ذلك ليتعامل مع مسبب الأسباب، ومفيض
الوجود، وهو الله سبحانه مباشرة، ولم يكن الله ليبخل على نبيه في
وقت يحتاج فيه هؤلاء الناس إلى الشعور برعاية الله سبحانه لهم.

ص ١٦٠ / ١٦١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ / ١٦١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ وامتاع السماع ج ١ ص ٢٣٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٣ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٦ وبحار النوار ج ٢٠ ص ٢٤٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٠ و ١٢٣ وفيه: انها أخت عبد الله بن رواحة وكذا في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٠٢
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن الطبراني، وأبي القاسم البغوي

وحتى مع اغماض النظر عن ذلك كله، في الأسوة والقدرة لم يكن ليميز نفسه عن الناس، بل هو سوف يواسيهم بنفسه فيما قل وكثر، وفيما صغر وكبر. وذلك هو ما تمليه عليه التعاليم والمبادئ التي جاء بها من عند الله جل وعلا.

الذي يستأثر بإعجابنا العميق هو تلك اللفتة الواعية من زوجة جابر، والتي تظهر لنا أيضا مدى ايمان هذه المرأة ومدى تسليمها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما انها تحكي لنا طبيعة ونوعية ونسخ اعتقادها بهذا الرسول الكريم والعظيم.

وذلك حينما أخرجت زوجها جابرا من حيرته المحرجة بسؤالها له: إن كان النبي قد علم بمقدار الطعام المتوفر عندهم، فأجابها الإيجاب، فقالت: الله ورسوله أعلم.

ومن يدري فلعل النبي الكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد عرف ان هذا الاخلاص من جابر وزوجته، ثم الإيثار منه (صلى الله عليه وآله)، وحبه لأصحابه، واقدامه على تقسيم هذا القليل من الطعام معهم، ثم اخلاص صحابته الخيار في دفاعهم عن أنفسهم، وعن كرامتهم، وشرفهم ودينهم، ونبيهم، وهذه المتاعب الكبيرة، والمصاعب الخطيرة التي تواجههم بالإضافة إلى أن الله سبحانه لن يخيب نبيه ووليه وصفيه.

نعم ان ذلك كله إذا اقترن بان اللطف الإلهي لا بد ان يظهر في هذه الفترة العصيبة بالذات ليطمئن المؤمنون إلى نصر الله سبحانه، فان زيادة الطعام الذي قدمه جابر، حتى ليأكل المسلمون كلهم حاجتهم منه تصبح أمرا وقبولا ومعقولا، وفي محله..

التزوير الرخيص:
زعم الشعراني: " انه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوي، وقد جاء من الريف، ومعه نحو خمسين رجلا، ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروي، فتسامع مجاوروا الجامع الأزهر بمجيئه، فأتوا لزيارته، فامتلأت الزاوية، وفرشوا الحصر في الزقاق.
ثم قال لنقيب شيخه: هل عندك طبيخ؟!
قال: نعم، الطبيخ الذي افعله لي ولزوجتي.
وقال له: لا تغرف شيئا حتى أحضر.
ثم غطى الشيخ الدست بردائه، واخذ المغرفة، وصار يغرف إلى أن كفى من في الزاوية، ومن في الزقاق.
وهذا شئ رأيته بعيني " (١).
ونحن إذا قارن بين هذا الكلام وبين قضية وليمة جابر، فإننا نجد ان هذا النص أراد ان يعطي الشناوي نفس الكرامة التي ثبتت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استجاب لدعوة ذلك الرجل الصالح رحمه الله، والذي يستوقفنا هنا ثقة الشناوي بحصول الكرامة له، وكأنه يمارس عملا عاديا لا يشك في انتهائه إلى النتيجة التي يريدها. تماما كما كان الحال بالنسبة للنبي في الخندق.
وليت شعري لماذا لم يشتهر أمر الشناوي في الآفاق، وتسير به الركبان من بلد إلى بلد، ويصبح قبره كقبر النبي في المدينة المنورة تشد إليه الرحال، وتقصده النساء والرجال من أقصى بلاد المعمورة؟

---
(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١.

مع اننا نجدهم يقصدون زيارة قبور أناس صالحين لم يظهر لهم حتى ولو كرامة واحدة من هذا القبيل!!

الجهد، والضعف والجوع:

قد تحدثت النصوص التي سلفت في هذا الفصل، وفي غيره من الفصول عن المعاناة التي كان يتعرض لها المسلمون بسبب شحة الأقوات في تلك السنة بالذات حيث " كان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه (١) ".

وذكر نص آخر: ان حفر الخندق كان في زمان عسيرة، وعام مجاعة حتى أن الأصحاب كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد والضعف الذي بهم من الجوع، ويقول البخاري: إنهم لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا، وكذا النبي (صلى الله عليه وآله) (٢).

وفي نص آخر: " يأتون بملء كفي شعير، فيصنع لهم باهالة سنخة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق، ولها ريح منتن " (٣).

ويقول أبو طلحة: " شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجوع، ورفعنا

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٦

(٢) راجع مصادر حديث جابر الذي أوردناه في فقرة: كرم وكرامة. وراجع أيضا: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٦ عن البخاري، وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٥ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٢ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٧.

عن بطوننا عن حجر، حجر، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن بطنه حجرين " (١).
ويقول نص آخر: " وكانوا في قر شديد وجوع " (٢).
وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في حفر الخندق إذا جاءته فاطمة، ومعها كسرة خبز، فدفعتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال النبي عليه الصلاة والسلام: ما هذه الكسرة؟!
قالت: قرصا خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه الكسرة.
فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث (٣)
ولنا هنا وقفات:
الأولى: النبي (صلى الله عليه وآله) وصوم الوصال:
لقد ذكروا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن صوم الوصال، فقالوا له: ما لك تواصل يا رسول الله؟!
قال: إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني.
قال ابن حبان: ويستدرك بهذا الحديث على بطلان ما ورد: انه (صلى الله عليه وآله)، كان يضع الحجر على بطنه، لأنه كان يطعم ويسقى من ربه إذا واصل. فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال، حتى يحتاج إلي ربط

---

(١) السيرة النبوية للندوي ص ٢٨٢ عن الترمذي.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩.
(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠ وذخائر العقبى ص ٤٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٥ وصحيفة الإمام الرضا (عليه السلام) ط دار الأضواء ص ٧١ / ٧٢.

الحجر على بطنه؟!
قال: وانما لفظ الحديث: الحجز، بالزاي، وهو طرف الازار.
فصحفوا، وزادوا لفظ الجوع.
وأجيب بأنه لا منافاة، كان (صلى الله عليه وآله) يطعم ويسقى إذا واصل في الصوم. اي يصير كالطاعم والساقي، تكرمة له. ولا يحصل له ذلك دائما، بل يحصل له الجوع في بعض الأحايين، على وجه الابتلاء الذي يحصل للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، تعظيما لثوابهم " (١).
أضف إلى ذلك ان توجه ابن حبان هذا، ودعواه تصحيف كلمة الحجز بالحجر لا تلائم مع تقدم عن علي عليه السلام، ولا مع ما تقدم عن جابر في قصة اندفاعه لتهيئة طعام للنبي (صلى الله عليه وآله) لما رآه خميصا. ولا مع ما ذكر في قصة سليمان حينما طلب من النبي (صلى الله عليه وآله) ان يعالج الصخرة.
الثانية: العزم والثبات:
ويلفت النظر هنا: انه رغم كل ما كان يعانيه المسلمون من جهد وضعف وجوع، وبرد - كما يقولون - فان ذلك لم ينل من عزمهم، ولم يؤثر على ارادتهم، ولا هزمهم روحيا. بل استمروا في تصميمهم على تنفيذ قرارهم بالمواجهة. ولم يحملهم ذلك على الدخول في أي مساومة، وتقديم أية تنازلات.
ولا شك في أن للعامل الايماني دوره الحساس في هذا المجال، ولعل العامل الأهم هنا هو توفر القيادة الحكيمة والواعية

---
(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩.

والحازمة. المرتبطة بالله سبحانه المتمثلة بشخصية النبي الكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة: الخصاصة والجوع:

قد تعودنا من أولئك الذين يتعاقبون على كراسي الحكم: ان يكونوا من أصحاب الأموال الطائلة، وأهل الثراء الفاحش، مع السعي حثيث منهم للتمتع بمباهج الحياة، والتقلب في ملذاتها، واهتمام ظاهر بما فيها من زينة، وبهارج، في حين تكون شعوبهم تعاني من النصب والحرمان، ومن الحاجة والخصاصة بدرجة قبيحة ومزرية. إن لم نقل: إن الكثيرين من هؤلاء الحكام هم الذين يمتصون دماء شعوبهم، ويعبثون بمقدراتها، ويختلسون كل ما قدروا عليه من أموالها.

اما نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه على عكس ذلك تماما، فها هو في أيام الخندق يربط الحجر، ولا يستأثر نفسه بشئ من حطام الدنيا. بل إنه حتى حينما يرغب أحدهم في استضافته على الشئ القليل جدا في هذا الظرف العصيب بالذات، لا يرضى صلى الله عليه وآله إلا أن يشاركه المسلمون جميعا في ضيافته تلك، فيبارك الله سبحانه في ذلك الطعام، وتكون الكرامة من الله سبحانه لرسوله الكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم نجد عليا أمير المؤمنين عليه السلام خير من يتأسى برسول الله، ويسير على نهجه، وينسج على منواله، فإنه رغم انه كان قد أنشأ - بكد يده، بعرق جبينه - الكثير من الضياع والبساتين، لكنه لم يكن. يستفيد منها بتحسين وضعه المعيشي، ولا أحدثت تغييرا في حياته

الخاصة، بل كان يتصدق بها ويوزعها على الفقراء والمحتاجين، وقد أوقف عامتها على جهات البر المختلفة، ثم لم يزل يلبس الخشن، ويأكل الخشب إلى أن توفاه الله سبحانه. وحسبك ما كتبه لعثمان بن حنيف، يلومه على حضوره وليمة دعي إليها.

قال عليه السلام:

" ألا وان لكل مأموم إماما يقتدي به، ويستضئ بنور علمه، ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع، واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبا طمرا، ولا حزت من أرضها شبرا، ولا أخذت منه إلا كقوت دبرة. ولهي في عيني أوهى وأهون من غصة مقرة " (١).

إلا أن قال: " ولو شئت لا اهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز. ولكن هيهات ان يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل الحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء ان تبيت ببطنة * وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بان يقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشارك في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟ فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة،

---

(١) مقرة: مرة.

شغلها تقممها (١)، تكترش (٢) من اعلافها، وتلهو عما يراد بها ".
إلا أن قال: " وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي
طالب، فقد قعد به الضعف على قتال الاقران، ومنازلة الشجعان. ألا
وان الشجرة البرية أصلب عودا، والروائح الخضرة أرق جلودا، والنباتات العذية (٣)
أقوى وقودا، وأبطأ الخ (٤) ".

---

(١) القمم: التقاط القمامة.
(٢) تكترش: تملأ كرشها.
(٣) العذي: الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.
(٤) نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح، ط سنة ١٣٨٧ ه. ق) ص ٤١٧
و ٤١٨

الفصل الخامس:
جيش المسلمين، وجيش المشركين في المواجهة

الاعداد والاستعداد:
قال البلاذري: " بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخبر، فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب، وخرج فارتاد لعسكر المسلمين " (١) وكان خروجه بعد ان استخلف على المدينة ابن أم مكتوم (٢)
وحسبة نص الصالحي الشامي: " ركب فارسا ومعه عدة من المهاجرين والأنصار فارتاد وموضعا، وكان أعجب المنازل إليه ان يجعل سلعا الجبل خلف ظهره، ويخندق الخ... (٣) "
وكان خروجه (صلى الله عليه وآله) لثمان خلون من ذي القعدة، أو شوال،

---

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣.
(٢) راجع: الثقات ج ١ ص ٢٦٦ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ والعبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٤ وامتاع السماع ج ١ ص ٢١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٣ والنهاية الأب ج ١٧ ص ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧.
(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤١٤ / ٤١٥.

حسبنا تقدم. ويقال: ان خروجه (صلى الله عليه وآله) كان في يوم الاثنين (١) واختار صلى الله عليه وآله ذلك الموضع المكشوف للخندق، وجعل معسكره تحت جبل سلع (٢) أو سفح سلع، أو سطح سلع، أو جعل سلعا وراء ظهره، والخندق بينه وبين القوم (٣)

يقول البعض: " فلو ان العدو عبر الخندق لقدمت سلع للمدافعين نفش المزايا التي حصلوا عليها في أحد " (٤).

ويستفاد مما تقدم ان موقعهم كان عند سلع من جهة الشام

---

(١) راجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ وغير ذلك من المصادر السابقة واللاحقة

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.

(٣) راجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة، والبداء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٠ و ج ٤ ص ١٢٠٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٣، وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٧ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٤١٥ و ٥١٤ و ٥٢٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٠ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ وراجع سعد السعود ص ١٣٨

(٤) محمد في المدينة ص ٥٦

والمغرب (١)
مقر القيادة:
" وضربت له صلى الله عليه وآله وسلم قبة من أديم احمر، على القرن في موضع مسجد الفتح " (٢) وتقدم في الفصل السابق، حين الكلام عن قصور الروم وفارس: انها قبة تركية
وعلى حد تعبير الواقدي: " وضربة قبة من آدم. وكانت القبة عند المسجد الاعلى الذي بأصل الجبل، جبل الأحزاب " (٣)
ونسجل هنا:
أ - انه يستفاد من هذا ومما تقدم مع أن بعض النصوص ذكرت انه (صلى الله عليه وآله) جعل معسكره سطح (أو سفح) سلع: انه صلى الله عليه وآله قد اختار من السفح موضعا مشرفا، ومرتفعا نسبيا يمكنه من مراقبة الوضع بدقة، ثم المبادرة إلى اتخاذ القرار اللازم في المواضع المناسب
ب: انه إذا كان المشركون انما يفكرون بالدنيا، ويرون العزة بما يحصلون عليه من حطامها، فان رؤيتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكان مشرف عليهم، وهو في قبة ذات لون متميز من أدم أحمر، سيكون مغيظا لهم، وسنزيد من حسرتهم وحنقهم، حين يرغمون على

---

(١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٠
(٢) وراجع أيضا: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١
(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ و ٤٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤

التراجع، وهم يجرون أذيال الخيبة والخسران. وقد خلفوا وراءهم قتلى من رؤسائهم وأبطالهم، كما سنرى

عرض النبي (صلى الله عليه وآله) الخارجين إلى الحرب:

ثم عرض (صلى الله عليه وآله): الجيش، وهو يحفر الخندق

فعن أبي واقد الليثي قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعرض الغلمان، وهو يحفر الخندق، فأجاز من أجاز، ورد من رد وكان الغلمان يعملون مع الذين لم يبلغوا ولم يجزهم. ولكن لما لحم الامر، أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله، إلى الآطام مع الذراري. إلى أن قال:

فكان ممن أجاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ ابن عمر وهو ابن خمس عشرة، وزيد بن ثابت وهو ابن خمس عشرة، والبراء بن عازب وهو ابن خمس عشرة (١) " وأبا سعيد الخدري ولم يردهم. ويقال: إنه أجازهم قبل ذلك " (٢)

قال العسقلاني: " عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة القتال للنظر في هيبتهم وترتيب منازلهم وغير ذلك " (٣)

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣١٤ / ٣١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٣

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٤ راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت المدينة بسبب حفر الخندق كالحصن، حسبما تقدم (١)

النساء والأطفال في الآطام:

ويذكر المؤرخون كافة تقريبا، وهم يتحدثون عن غزوة الخندق: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد جعل النساء والصبيان في الآطام (٢) قال الواقدي: " ورفع النساء والصبيان في الآطام، ورفعت بنو حارثة الذراري في أطمهم. وكان أطما منيعا. وكانت عائشة يومئذ فيه ورفع بنو عمرو بن عوف النساء والذرية في الآطام وخندق بعضهم حول الآطام بقباء. وحصن بنو عمرو بن عوف ولفها، وخطمة، وبنو أمية، ووائل، وواقف فكان ذراريهم في آطامهم " (٣)

الحرس على أبواب الخندق:

ويذكر المؤرخون: أنهم بعد أن حفروا الخندق، وحصنوه " جعل له رسول الله أبوابا (٤) وجعل على الأبواب حرسا، من كل قبيلة

---

(١) (١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ وراجع أواخر الفصل الثاني، حين الكلام عن تشبيك المدينة بالبنيان

(٢) قد ذكرت ذلك مختلف المصادر التي تقدمت في هذا الفصل، فمن أرادها فليراجعها

(٣) المغازي ج ١ ص ٤٥١

(٤) راجع: مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤

رجلا، وعليهم الزبير بن العوام، وأمره إن رأى قتالا أن يقاتل " (١)
وفي نص آخر: " وجعل على كل باب رجلا من المهاجرين
ورجلا من الأنصار مع جماعة يحفظونه " (٢)
وتقدم: أن أبواب الخندق كانت ثمانية
تركيبة الحرس مثار تساؤل:
وأما لماذا اختار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون تركيبة الحرس على أبواب الخندق بهذا الشكل، فربما يكون السر فيه هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أراد أن يقطع الطريق على أي تفكير تآمري، من خلال اتصالات سرية فيما بين المشركين والمنافقين أو غيرهم، للتواطؤ على المسلمين. ولو عن طريق الاغراء بالمال، أو الاحتيال، أو التغفيل، حيث يتمكنون من احداث ثغرة أو أكثر، من شأنها أن تعرض المسلمين للخطر الكبير
وحين يكون الحرس من كل قبيلة رجلا، فإن الرقاب على بعضهم البعض تصبح طبيعية، ولن يعود من السهل فتح علاقة مشبوهة مع أي منهم. ويصبح احتمال تواطؤهم أبعد. واتفاقهم على الخيانة يكون أصعب وأعقد

ص ٥١٥ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٠

ويلفت نظرنا هنا ذلك النص الذي بين فيه اهتمام النبي بمشاركة الأنصار للمهاجرين في هذا الامر. ونحن نعلم أن امكانية اختراق مشركي أهل مكة للمهاجرين أسهل وأيسر، لانهم إخوانهم وأبناؤهم، ولم نزل نجد في المهاجرين من يحابي قومه ويهتم بعدم الحاق المزيد من الأذى بهم بدءا من حرب بدر، حسبما أوضحناه هناك في قضية فداء الاسرى

بل لقد وجدنا حتى زوجة النبي تخرج عن وقارها، وتندفع لتحرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدر، فراجع ما ذكرناه هناك أيضا عن سودة بنت زمعة. وتجد في كتابنا هذا، وفي كتاب الغدير والمعارضون شواهد كثيرة وغزيرة ومثيرة عن مواقف قريش من النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته. ولا نرى حاجة لإعادة التذكير بها هنا

الذراري والنساء في الآطام:

وإن جعل النساء والذراري في مواضع حصينة، وتجميعهم في أماكن معينة يعتبر إجراء حكيما، لأنه يوفر على المسلمين معاناة حالة التوزع في الاهتمامات، وانتشارها، ويركزها في نقطة أو نقاط محددة يمكن التركيز عليه في الرعاية الأمنية، وتسهيل تقديم المعونة الفاعلة والمؤثرة والسريعة، وفق خطة مرسومة في الوقت المناسب لو فرض تعرضها لأي خطر من قبل الأعداء

ثم هي تمكن هؤلاء الضعفاء من أن يفيدوا من مناعة تلك الآطام للدفع عن أنفسهم بدلا من بيوت واهنة لا تساعد على حمايتهم، ولا تدفع عنهم في شئ

وبذلك لم يعد النساء والأطفال منتشرين على مساحات واسعة بصورة تجعلهم هدفا سهلا لكل عابث، وعرضة لاطماع الأعداء والسفهاء، الامر الذي يوجب إرباكا نفسيا لدى القوى التي يفترض فيها أن تصب كل اهتماماتها على نقطة واحدة، وواحدة فقط، وهي دفع العدو، وابطال كيده، والحاق الهزيمة المخزية به

وقد يمكن للعدو – لو لم تجعل الذراري والنساء في الآطام – أن يستفيد من الوضع القائم، فيعتدي أو يتظاهر بالاعتداء على المواقع المختلفة المنتشرة على مساحة المدينة بأكملها. وذلك بهدف زعزعة حالة الاتحاد والانسجام لدى الجيش الاسلامي، ليتمكن من إنزال ضربته القاصمة في الوقت المناسب

وقد كان بنو قريظة يعرفون تفاصيل مسالك المدينة، لانهم من أهلها، فقيامهم بأي تسلل إليها سوف يربك الوضع في ساحة القتال بصورة كبيرة وخطيرة

وقد كان المسلمون يعرفون ذلك، فكانوا يعيشون حالة القلق لولا هذا الإجراء الذي اتخذه صلى الله عليه وآله وسلم

ومما زاد في الربط على القلوب، وتهدئة المشاعر، واستقرار الحالة النفسية أنه صلى الله عليه وآله قد جعل حراسا يطوفون في المدينة، حتى أصبح واضحا ليهود بني قريظة ولغيرهم: أن أي تحرك سوف ينتهي بنكسة خطيرة لهم

وقد كان للتجربة التي قام بها بعضهم للوصول إلى حصن حسان الذي كان فيه النساء، وانتهت بقتل ذلك الرجل على يد زينب بنت جحش عبرة لهم وبلاغ

عقد الألوية للحرب:
أما بالنسبة لعقد ألوية الحرب فإننا نقول:
ألف: بالنسبة للمشركين، فالمؤرخون يقولون: إنهم عقدوا لواءهم في دار الندوة، وحمله عثمان بن أبي طلحة، وقائد القوم أبو سفيان (١)
ثم وافى المشركون المدينة، فأنكروا أمر الخندق، وقالوا: ما كانت العرب تعرف هذا (٢)
ب: بالنسبة للمسلمين، يقول المؤرخون: " وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة، وكان (صلى الله عليه وآله) يبعث الحرس على المدينة، خوفا على الذراري من بني قريظة " (٣)

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ والامتاع ج ١ ص ٢١٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣
(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٣ وراجع: الارشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠
(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ وراجع ص ٤٨١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤

ونقول: إننا لا نهتم لتحريفات المؤرخين هذه، حيث نراهم يتجاهلون الحقيقة الدامغة إرضاء لأسيادهم، وانسياقا مع أهوائهم وعصبياتهم وتعصباتهم البغيضة

فها هم يهملون هنا ذكر صاحب الراية العظمى، للجيش كله وصاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل مشهد، وهو علي أمير المؤمنين عليه السلام مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، وحامل لواء الأنصار

ونقول هنا:

١ - إنه قد تقدم في حرب أحد في فصل: قبل نشوب الحرب وفي بدر أيضا طائفة من النصوص التي تضافرت وتواترت في كتب السيرة والتاريخ والحديث بالأسانيد الصحيحة والموثوقة: أن عليا عليه السلام هو صاحب لواء وراية النبي في كل مشهد، وتقدم أن ذلك من فضائله وخصائصه التي اشتهر بها. وهذه حقيقة مؤلمة لمبغضي وشانئي علي عليه السلام ولأجل ذلك فهم يحاولون تجاهلها، والدس الرخيص للتشكيك بها، ولو وسعهم الجهر، بإنكارها لبادروا إلى ذلك

٢ - وقد ورد في احتجاج الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على معاوية وابن العاص، والوليد الفاسق قوله:

" ثم لقيكم يوم أحد، ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ومعك ومع أبيك راية الشرك " (١)

وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨

(١) كفاية الطالب ص ٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩ والغدير

٣ - روى الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس، قال: كانت
راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) في المواقف كلها: يوم بدر، ويوم
أحد، ويوم حنين، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكة. وكانت راية
الأنصار مع سعد بن عبادة في المواطن كلها، ويوم فتح مكة، وراية
المهاجرين مع علي عليه السلام " (١)
وهذا يدل على أن قولهم: كانت راية المهاجرين يوم الأحزاب
مع زيد بن حارثة غير صحيح
شعار الحرب:
ويقول المؤرخون: كان شعار المهاجرين أيام الخندق: " يا خيل
الله " (٢)
وقالوا أيضا: كان شعار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق
وبني قريظة:
حم. لا ينصرون (٣)

ج ١٠ ص ١٦٨ عنه. وجمهرة الخطب ج ٢ ص ٢٣
(١) إعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٩١
(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١
(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ عن ابن هشام وص ٤٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ والكافي ج ٥ ص ٤٧ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ عن ابن هشام، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام

ونقول:
لقد رأينا: أن شعار المسلمين في حروبهم مع أعدائهم، سواء في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو في زمن علي عليه السلام في حروبه مع البغاة هو: " حم، لا ينصرون ". وكذا عبارة: " يا منصور أمت " وهاتان الكلمتان لهما دلالاتهما وايحاءاتهما في ظرف كهذا حيث إنها تزرع الطموح إلى النصر في قلب وروح المقاتل المسلم فيزداد جرأة على القتال وإقداما على التضحية، ويتذرع بالصبر الجميل على ما يواجهه من مكاره يترقب الفرج والفوز بعدها بمزيد من الطمأنينة والثقة ويكون تحركه في ساحة القتال والحالة هذه تحرك الواثق، الذي يريد من خلال تفعيل طاقاته القتالية بحكمة وحنكة وتعقل أن يتجاوز هذا الواقع، الذي يرى فيه وضعا استثنائيا ونشازا – لا تساعد على بقائه عوامل راسخة ولا طبيعية
ثم إن هذا الشعار، حين يبدأ بواحدة من مفردات الحروف المقطعة التي اختص بها القرآن، فإنه يكون قد أوحى مسبقا لهذا الانسان المؤمن بصدق هذا الوعد الإلهي، الذي يتلفظ به هو نفسه ويطلقه شعارا له في هذا الوقت بالذات الذي يحتاج إليه عمليا. فهو

ص ١٩٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧١ و ٢٧٢ عن الترمذي، وأبي داود والوسائل ج ١١ ص ١٠٥ والكافي ج ٥ ص ٤٦ و ٤٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩١. وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وقال: " لعل المراد بالمسلمين الأنصار، فلا يخالف ما في الامتاع، وكان شعار المهاجرين: يا خيل الله " ونقول: إن هذا التوجيه لا يمكن المساعدة عليه

شعار يتجه نحو الواقع ليتجسد حقيقة ملموسة له، ويساهم هو في صنعها وفي بلورتها

والامر الملفت للنظر هنا: ان يكون هذا اليقين قد أيقظه في نفسه كلمة حم، التي هي رمز التحدي الفكري كما تقدم في الجزء الثاني من هذا الكتاب مفصلا. وقد اقترن هذا التحدي الفكري بالتحدي بالعنف والقتال، كنتيجة طبيعية لعجز قوى الشرك، وهزيمتها المخزية والنكراء في مجال الفكر والمثل والقيم

وأما بالنسبة للمشركين فالامر سيكون على عكس ذلك تماما فإنهم حين يسمعون هذه الكلمة (حم، لا ينصرون) لسوف يتمثلون حالة العجز والسقوط والهزيمة بكل أنحائها، وبكل مجالاتها. ولسوف تزرع هذه الكلمة اليأس والفشل في نفوسهم. فإنها كانت رمز التحدي القرآني لهم ولكل من هو على شاكلتهم، بالإضافة إلى إيحاءات أخرى، المحنا إليها فيما سبق كانت إيجابية بالنسبة لقوى الايمان ولسوف تكون معكوسة وسلبية بالنسبة لقوى الشرك والطغيان فليتأمل المتأمل فيما ذكرناه، وليتدبره كيف يتحول إلى الضد من ذلك على قوى الشرك، حتى لا نضطر إلى إعادة تفصيلية له

غير أننا نلمح هنا إلى نقطة واحدة نضيفها إلى ما سبق، وهي أن هذا الشعار يقول: " لا ينصرون " بصيغة المبني للمجهول ولم يقل: " لا ينتصرون " ففيه الماح إلى أن المشركين لا يملكون معطيات النصر في أنفسهم فلا بد أن ينتظروا النصر من غيرهم، وليس ثمة ناصر لهم ولا معين، فهزيمتهم حتمية لفقدهم مقومات النصر من الجهتين فالمشرك يرى العجز والفشل الفكري والعقيدي بكلمة حم. كما أنه يتمثل الخواء من أي من القدرات والطاقات التي تخوله ان يصنع نصرا. فهو

مهزوم في الحالتين، والمؤمن يأتيه النصر من الله، وهو على يقين من هذا النصر فاجتمع على قوى الشرك عاملان من عوامل الضعف ولقوى الايمان عاملان من عوامل القوة

هذا عدا عن أن الصيغة صيغة إخبار، تعطي: مزيدا من الثقة بتحقق ذلك، حتى كأنه أمر واقع وملموس، يصح الاخبار عنه بهذه الدرجة من الجزم والثبات الطمأنينة. ولسوف يتيقن المشركون صدق هذا الوعد، ما دام أنه هدي قرآني استقر في نفوسهم: انهم أعجز وأصغر من أن يشككوا في اي من آياته وحقائقه

وهذا درس نافع نستفيده من هذا الشعار، نسأل الله التوفيق للتوفر على دراسة هذا الموضوع بصورة أتم وأوفى، وأوضح وأجلى وأصفى، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

عدة وعدد المسلمين:

هذا وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدة وعدد الجيش الاسلامي الذي واجه الأحزاب في حرب الخندق

فأما بالنسبة للعدة، فقد " ذكر ابن سعد: أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا " (١)

واما بالنسبة إلى العدد فنشير إلى الأقوال التالية:

---

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ عن ابن سعد، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧

١ - قيل كان المسلمون سبع مئة، وهو قول ابن
إسحاق (١)
وقد حكم البعض على ابن إسحاق بأنه " وهم في ذلك " وغلط
وزعم ابن القيم: ان منشأ الغلط هو ارتكاز عدد من خرج معه (صلى الله عليه وآله)
في أحد (٢)
٢ - قيل: كانوا ألفا أو نحوها، وهو صريح رواية البخاري
ومسلم عن جابر. وصرح به قتادة أيضا (٣)
٣ - وقيل: تسع مئة أضاف ابن خلدون قوله: " وهو راجل بلا
شك "
وقال ابن حزم: " وهو الصحيح الذي لا شك فيه، والأول
وهم " (٤) يريد بالأول: القول بأنهم كانوا ألفا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ عن ابن
إسحاق. وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٢٤ وراجع ص ٥٦٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢٠ ص
٢١٨ عنه وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ وإمتاع الأسماع
ج ١ ص ٢٢٤ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧
(٣) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى
والرشاد ج ٤ ص ٥٦٥ وحدائق الأنوار ج ١ ص ٢١٢ ودلائل النبوة
للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤
(٤) راجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ وراجع: إمتاع الأسماع
ج ١ ص ٢٢٥ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩

٤ - وذهب أكثر المؤرخين إلى أنهم كانوا ثلاثة آلاف أو نحوها (١) ونقول:

أ: إننا نحتمل قويا ان يكون القول الثالث هو نفس قول ابن إسحاق، لكن النساخ صحفوا سبعمئة بتسعمائة، لتقارب رسم الخط في الكلمتين، وعدم وجود النقط في السابق، وما أكثر ما يقع الاشتباه والاختلاف بين سبع وتسع، من أجل ذلك.

ب: إننا نرجح قول ابن إسحاق، وان حكم عليه البعض

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ عنه، وراجع هذا القول في المصادر التالية: سيرة مغلطاي ص ٥٦ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ج ٤ ص ١٢٠٤ عن المطري عن ابن إسحاق والثقات ج ١ ص ٢٦٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ والوفا ص ٦٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والعبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ و ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٣ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٦٥ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ وشرح النهج للمعتزلي، ومنشورات دار مكتبة الحياة ج ٤ ص ٢٦٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عن المناقب ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ والتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٨ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ وسعد السعود ص ١٣٨.

كالحلبي وغيره، بأنهم قدوهم أو غلط في ذلك
ولو تنزلنا عن ذلك، فإننا نأخذ بالقول الثاني، أما القول بأنهم كانوا ثلاثة آلاف، فلا مجال للاعتماد عليه، وذلك للأمور التالية:
١ - ما تقدم في قصة إطعام جابر لأهل الخندق جميعا وكانوا سبع مئة رجل، أو ثمان مئة، أو الف رجل، فراجع حديث جابر المتقدم في الفصل السابق، وراجع المصادر التي أشير إليها في الهامش هناك
٢ - وري عن الإمام الصادق عليه السلام: انه صلى الله عليه وآله وسلم شهد الخندق في تسع مئة رجل (١) ويحتمل أن تكون كلمة تسع تصحيفا لكلمة سبع أيضا
٣ - روي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام فكتب حذيفة بن اليمان له ألفا وخمس مئة رجل. وفي نص اخر: ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة. قال الدماميني: قيل: كان هذا عام الحديبية (٢)
ويرى البعض: ان المسلمين كانوا في أحد بعد رجوع المنافقين سبع مئة رجل، وبين أحد والخندق سنة أو أكثر بقليل. ويبعد ان يزيد المسلمون خلال سنة واحدة هذه الزيادة الكبيرة، بحيث

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٦ والوسائل ج ١١ ص ١٠٥
(٢) راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٦ وصحيح مسلم ج ١ ص ٩١ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٣٧ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢٣ و ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٦٩

يصلون إلى ثلاثة آلاف (١) وما جرى في الخندق يوضح: ان عدد سكان المدينة لا يصل إلى الخمس آلاف نسمة بما في ذلك الأطفال والنساء
عدد المشركين:
ووافى المشركون المدينة، وأحاطوا بها من جميع جهاتها
واشتد الحصار على المسلمين (٢)
وقد اختلفت الأقوال في عدد المشركين. وذلك على النحو التالي:
١ - قال المسعودي: " سارت إليه قريش وغطفان وسليم وأسد، وأشجع وقريظة ونضير، وغيرهم من اليهود، فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفا. منها قريش وأتباعها أربعة آلاف " (٣)
٢ - وقال ابن شهرآشوب: " كانوا ثمانية عشر آلف رجل " (٤)
٣ - وقال ابن الدبيع: كانوا أحد عشر ألفا (٥) وذكر في موضع آخر: انهم كانوا عشرة آلاف. ولعله حين عد معهم بني قريظة ذكر الرقم الأول، وحين غض النظر عنه عدهم عشرة آلاف
٤ - إن عدد جيش المشركين بجميع فئاته كان عشرة آلاف: قريش وكانوا أربعة آلاف، ومن أجابهم من بني سليم، واسلم،

---

(١) الرسول العربي وفن الحرب، هامش ص ٢٣٨
(٢) راجع: حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧
(٣) التنبيه والاشراف ص ٢١٦
(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عنه
(٥) حدائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ ويفهم ذلك من الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥٢٦ وعنه في سعد السعود ص ١٣٨

وأشجع، وبني مرة، وكنانة، وفزارة، وغطفان (١)
٥ - إنهم كانوا مع يهود بني قريظة والنضير زهاء اثني عشر ألفا (٢)
٦ - ولكننا نجد آخرين من المؤرخين يتحدثون عن هذا الامر بطريقة تؤيد أحد القولين الأولين. فقد قال ابن الوردي وغيره: " أقبلت قريش في أحابيشها، ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد " ثم ذكر انضمام بني قريظة إليهم (٣)

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن إسحاق والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٧ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٨ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وسيرة مغلطاي ص ٥٦. والوفاء ص ٦٩٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ و ٢٣٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٨ وراجع: العبر وديوان المبتدا والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ و ٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١١ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٧٠

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤

(٣) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وراجع المصادر التالية: الاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ والبداية والنهاية ج ٤

٧ - ثم هناك من يقول: إن عدد جيش الأحزاب كان أربعة آلاف فقط (١)

ولا نشك في أن هذا القول ناظر إلى حشود قريش، أو ان بعض المؤرخين رآهم يذكرون ان عدد الجمع القريشي كان هذا المقدار فتوهم انه يقصد بيان عدد الجيش كله

عدة جيش الشرك:

وأما بالنسبة لعدة أهل الشرك، فقد قال المسعودي: انه كان " معهم ثلاث مئة فرس، وألف وأربع مئة بعير، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب " (٢)

وذكر آخرون انه كان معهم ألف وخمس مئة بعير، وثلاث مئة فرس (٣)

ص ١٠٢ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ ومختصر التاريخ ص ٤٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ / ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١

(١) راجع هذا القيل في: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٩٤ عن قتادة

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢١٦

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والامتاع ج ١ ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٣ ونهاية الإرب

وذكر الديار بكري: انهم كانوا أربعة آلاف معهم ثلاث مئة فرس والف بعير، وعند غيره: الف وخمس مئة بعير (١)

ويظهر من المقريزي: انه كان مع المشركين بالإضافة إلى الف وخمس مئة بعير: ثلاث مئة فرس مع قريش، وثلاث مئة أخرى مع غطفان (٢) وفي كلام حيي بن أخطب لكعب بن أسد: " والخيل الف فرس وسلاح كثير (٣) "

وصرح النويري: ان غطفان وفزارة كان مهما الف بعير (٤)

ومن الواضح: ان لا مجال لتحديد الرقم الحقيقي لذلك كله ولا لغيره، لكن مما لا شك فيه: ان هذا العرض للنصوص والأقوال يوضح مدى التفاوت فيما بين عدة وعدد المسلمين، وأعدائهم من الأحزاب الذين جاؤوا من كل حدب وصوب

معنويات جيش الشرك:

وقد كان من الواضح: ان تفوق المشركين في العدد والعدة. ثم ما كان من تحالفهم مع بني قريظة الذين كانوا في الجهة الأخرى المدينة

ج ١٧ ص ١٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٥٩

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٣ ولم يذكر عدد الإبل

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥

(٤) نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٧

أضف إلى ذلك هذا الاجماع الحاصل من مختلف القبائل
العربية
وكذلك بسبب الاعلام المسموم الذي اعقب حرب أحد، وصور
لأهل الشرك انه قد حققوا فيها نصرا كبيرا
وبسبب الحقد الذي يتغلغل في نفوس الكثيرين منهم على
الاسلام والمسلمين
نعم انه بسبب ذلك كله، وسواه مما لم يذكره كان جيش الشرك
يعيش في بدايات حصاره للمسلمين حالة من الانتعاش الروحي،
والشعور بالقوة والتفوق، وبإمكانية تحقيق بعض ما كانوا يصبون إليه
ولكن الامر لم يدم على هذا الحال طويلا فقد تبخرت الآمال
وحل محلها الشعور بالخيبة، وتلاشت حال الانتعاش، لتخلفها حالة
التململ والشعور بالضيق
حتى إذا جاءت ضربة علي القاصمة لجيش الشرك، تبدل
كل شئ ليواجه هذا الجيش حالة من الرعب والخوف. وتصبح تلك
الكثرة في العدد وفي العدة عبئا ثقيلا، ومصدر متاعب لذلك الجيش
بالذات، فقد أصبحت العدة من أفراس ومن وسائل نقل - أبعرة -
بسبب طول المدة، وبسبب الجدب أمرا يحسن التخلص، أو على
الأقل يحسن التخفيف منه وتحجيمه
كما أن اجماع القبائل لم ينجح في توحيد القيادة لهم، ولا
استطاع ان يحجب الروح القبيلة، ويمنعها من الهيمنة على مسيرة
التحرك، حتى في مواقع القتال
وكانت كثرة هذا الجيش تستبطن التمزق، وكان تكثر الانتماءات

في الولاء والطاعة، يحمل معه بذور الفساد والافساد، والخلاف والشقاق لأتفه الأسباب

أضف إلى ما تقدم: ان الاعلام المزور والمسموم قد أوجب انتفاخا كاذبا، وأذكى توقعات كبيرة، يعلم قادة الأحزاب أنفسهم انهم أعجز عن أن ينالوها، أو ان يحققوا أدناها

وبعد ما تقدم، فهل يمكن للجيش كهذا ان يقوم بتجربة حربية ضد المسلمين، مع أنه لا يمكن ضمان نتائجها، لا سيما بعد ان عرف ورأى ميدانا ان الأمور قد أصبحت على غاية من التعقيد والخطورة، ولم يكن قد حسب لكل هذه المستجدات أي حساب

وبعد كل ما تقدم، فان علينا ان لا ننسى ان تلك القبائل كانت تفتقر إلى ترسيخ عامل الثقة فيما بينها. ولم يكن ثمة ضمانات حقيقية لوفاء بني قريظة للمشركين، ولا العكس، مع علمهم: ان الذي يجمع كل هذه المتفرقات هو الخوف من التفرق، وليس شيئا غير ذلك..

جيش أهل الايمان:

وأما بالنسبة لجيش أهل الايمان فان الامر يختلف تماما، فهو يرى أن وجوده معرض للاستئصال والفناء، ولا بد له من الدفاع، ولن يجد ملجأ له إلا بذل الجهد، وإلا الجهاد من أجل البقاء

كما أن هذا الجيش ينطلق في حركته وفي جهاده من قاعدة ايمانية تجمع بين متفرقاته، وتؤلف بين مختلفاته

وهو وإن كان قد تعرض - في بادئ الامر - لهزة من نوع ما حين صار المنافقون وضعفاء الايمان يتسللون ويتركون مواضعهم باعذار

مختلفة
ولكن حزم القيادة، وهيمنتها، وحسن تدبيرها لم يفسح المجال للتأثر بالشائعات، واستطاعت هذه القيادة، حين فضحت أمر هؤلاء المنافقين بالوحي القرآني، وحين ظهرت الكرامات الباهرة على يدها، واطلقت البشارات بالنصر الأكيد استطاعت ان تعيد للجو الايماني صفاءه ونقاءه، وتحصنه من كل ما من شأنه ان يشيع روح التخاذل، ويزرع اليأس والخوف في نفوس المخلصين والمؤمنين. وقطعت الطريق على اي كان من أن يتخذ موقفا أو يتصرف تصرفا من شأنه ان يعطي للعدو أية فرصة من اي نوع كانت

الغطرسة القرشية:

وعن علي عليه السلام قوله: " فقدمت قريش، فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف ترعد وتبرق، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوها إلى الله عز وجل، ويناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى، ولا يزيدها ذلك الا عتوا " (١)

ونقول:

ليس غريبا على قريش هذا العتو، وهذه الغطرسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس مادية، وترى القوة في أنفسها، والضعف في المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، وإبادة خضرائهم. ولكن هذا العتو وتلك الغطرسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف والخنوع، والخيبة القاتلة، كما سنرى

---

(١) الخصال ج ٢ ص ٦٨، باب السبعة، والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤

وليس غريبا أيضا أن نجد النبي (صلى الله عليه وآله) ومن موقع الشعور بالمسؤولية يعتمد الأسلوب الانساني، ويستثير العاطفة الناشئة عن صلات القربى ولحمة النسب، والتي يكون لها هيمنة حقيقية على الانسان ولا بد أن تجتاح هزاتها الجامحة كل كيان الانسان، وكل وجوده. ثم هو (صلى الله عليه وآله) يقرن ذلك بالدعوة إلى الله عز وجل، الذي هو مصدر الخير والقوة والبركات

رسالة تهديد من أبي سفيان

ويقال، إن أبا سفيان كتب إلى النبي مهددا إياه بما جمعه من الأحزاب لقتاله، ولعله قد كتب هذا الكتاب بعد وصوله إلى المدينة وحصول المواجهة، والكتاب هو:

أما بعد، فإنك قد قتلت أبطالنا، وأيتمت الأطفال، وأرملت النساء، والآن قد اجتمعت القبائل والعشائر يطلبون قتالك، وقلع آثارك

وقد جئنا إليك نريد نصف نخل المدينة، فإن أجبتنا إلى ذلك وإلا أبشر بخراب الديار، وقلع الآثار

تجاوبت القبائل من نزار * لنصر اللات في بيت الحرام

وأقبلت الضراغم من قريش * على خيل مسومة ضرام

فرد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم:

وصل كتاب أهل الشرك والنفاق، والكفر والشقاق، وفهمت مقالتكم، فوالله، ما لكم عندي إلا أطراف الرماح، وشفار الصفاح

فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام، وأبشروا بضرب الحسام، وبفلق الهام، وخراب الديار، وقلع الآثار، والسلام على من اتبع الهدى " (١)
قال الشيخ محمد أبي زهرة: " ونشك في نسبة هذا الكتاب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لما فيه من السجع (٢) "
ولا نرى: أن السجع في الكتاب يبرر الشك فيه، فإن خطب الزهراء، وخطب علي عليه السلام لم تخل من ذلك، كما يظهر لمن راجعها

---

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٢٠ و ٩٢١ عن كتاب السيرة لابن جرير الطبري
(٢) خاتم النبيين ص ٩٢١

الفصل السادس:
غدر بني قريظة

بنو قريظة ينقضون العهد:
يقول المؤرخون: إن بني قريظة كانوا أصحاب حصون بالمدينة وموضعهم من المدينة على قدر ميلين. وهو الموضع الذي يسمى: بئر بني المطلب. وعددهم سبع مئة مقاتل (١)
وصاحب عقدهم وعهدهم كعب بن أسد القرظي، وكان وادع رسول الله على قومه وعاهده
وكان حيي بن أخطب سيد بني النضير، يقول لقريش في مسيره معهم:
إن قومي بني قريظة معكم. وهم أهل حلقة وافرة. وهم سبع مئة مقاتل وخمسون مقاتلا
فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد (٢)
فلما جاء حيي إلى بني قريظة كرهوا دخوله إلى دارهم، فكان أول من لقيه غزال بن سموأل، فقال له حيي: قد جئتك بما تستريح به من محمد. هذه قريش قد حلت وادي العقيق، وغطفان بالزغابة

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ والبحار ج ٢ ص ٢١٧ عنه
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤

قال غزال: جئتنا - والله - بذل الدهر
قال حيي: لا تقل هذا
ثم توجه إلى باب كعب بن أسد فدق عليه (١) فأغلق كعب دونه باب الحصن، وقال: بيني وبين محمد عقد، ولن انقض ما بيني وبينه
وفي نص اخر: " لم أر منه إلا وفاء وصدقا "
زاد الواقدي: " والله، ما أخفر لنا ذمة، ولا هتك لنا سترا. ولقد أحسن جوارنا "
وعند البيهقي: " لم أر رجلا أصدق ولا أوفى من محمد وأصحابه. والله، ما أكرهنا على دين، ولا غصبنا مالا إلخ "
فقال حيي: افتح الباب أكلمك
فقال كعب: ما أنا بفاعل
فقال: والله، إن أغلقت دوني الباب إلا على جشيشتك (٢) أن آكل معك منها. فأحفظه حتى فتح له، فقال:
ويحك يا كعب (جئتك بعز الدهر، وببحر طام) جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنختهم بالمدينة. وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها، وقد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥
(٢) الجشيشة هي: البر يطحن غليظا

فتأبى كعب، وقال: جئتني بذل الدهر، بجهام هراق ماؤه
وبرعد وببرق ليس فيه شئ (زاد الواقدي قوله: وأنا في بحر لجي لا
أقدر على أن أريم داري، ومالي معي والصبيان والنساء) فدعني
ومحمدا، وما أنا عليه، فلم أر منه إلا وفاء وصدقا
فلم يزل يفتله في الذروة وفي الغارب، حتى أعطاه عهدا من الله
وميثاقا أن يكون معه، على أنه إن رجعت تلك الجموع خائبة ولم
يقتلوا محمدا: أن يرجع معه إلى حصنه، يصيبه ما أصابه، ونقض
كعب ما بينه وبين رسول الله، وبرئ مما كان عليه له (١)
" ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد، وجمع رؤساء قومه

---

(١) راجع: تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و ٤٨٤ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وراجع حبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و ٢٣٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٢٨ و ٣٢٩ وراجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٢١ و ٢٢٣ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٠ و ١٧١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ وراجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨١ والاكتفاء ج ٢ من ١٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ و ٢٣٧

وهم: الزبير بن مطا (باطا)، وشاس (نباش) بن قيس، وعزال بن ميمون (سموأل)، وعقبة بن زيد (وكعب بن زيد) وأعلمهم بما صنع من نقض العهد، وشق الكتاب الذي كتبه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلحم الامر لما أراد الله من هلاكهم. وكان حيي بن أخطم في اليهود يشبه بابي جهل في قريش "

وعند القمي: غزال بن شمول وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن باطا (١)

وقال البعض: ان الزبير بن باطا كان شيخا كبيرا، مجربا، قد ذهب بصره، وقد قال لهم: إنه قرأ التوراة، ووجد فيها: انه يبعث نبي في آخر الزمان في مكة، ويهاجر إلى المدينة، وذكر له صفته

فادعى حيي بن أخطب: ان هذا النبي هو من بني إسرائيل وهذا من العرب. ولا يكون بنوا إسرائيل اتباعا لولد إسماعيل ابدا لان الله قد فضلهم على الناس جميعا، ثم ادعى ان محمدا (صلى الله عليه وآله) ساحرا. ولم يزل حتى أقنعهم بنقض العهد، فنقضوه (٢)

ويقول نص آخر: " ووعظهم عمرو بن سعدى، وخوفهم سوء فعالهم، وذكرهم ميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعهده، وقال لهم: إن لم تنصروه، فاتركوه وعدوه، فأبوا.

وخرج إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بني قريظة بنو سعنة: أسد،

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢١ و ٢٢٢ عنه وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٦ و ٤٥٧.

(٢) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ و ٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ عنه.

وأسيد وثعلبة، فكانوا معه، وأسلموا.
وأمر كعب بن أسد حيي بن أخطب: أن يأخذ لهم من قريش،
وغطفان رهائن تكون عندهم " (١) " لئلا ينالهم ضيم، إن هم رجعوا ولم
يناجزوا محمدا، قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم:
فنازلهم حيي على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، ومزقوا
الصحيفة التي فيها العقد، إلا بني سعنة (٢).
لابد من التثبت:
" وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك فغمه غما شديدا، وفزع أصحابه " (٣)
ويقال: إن الذي أبلغ النبي ذلك هو عمر بن الخطاب، فاشتد الامر
على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشق عليه ذلك (٤) (فقال: حسبنا الله، ونعم
الوكيل) فبعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وخوات بن جبير،
وعبد الله بن رواحة (وبعض النصوص لم تذكر الأخيرين وذكرت بدلهما
أسيد بن حضير) (٥) يستخبرون الامر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ وراجع
ص ١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١
(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣.
(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه
(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ وسبل
الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.
(٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧
والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧
وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه، وفيهما:
" فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسعد بن معاذ، وأسيد بن حصين، وكانا من

والنيل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه، وانصرفوا
وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقا أن يخبروه تعريضا، لئلا يفتوا في أعضاد الناس، فلما جاؤوا إليه قالوا: يا رسول الله، عضل والقارة. يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع " (١)
وقال ابن إسحاق وآخرون: (إن الذي شاتمهم هو سعد بن عبادة. وكان رجلا فيه حدة، فقال ابن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة) (٢)

الأوس. وكانت قريظة حلفاء للأوس "
والظاهر: ان كلمة " حصين " هي تصحيف: حضير. وذلك كثير
(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ / ٣٠ وراجع المصادر التالية: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩١ و ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٤ وتفسير القمي ج ٢٠ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ و ٢٠١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ و ٤٥٩
(٢) راجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٥ عن البغوي، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ عن الشيخين وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧، ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠١ والمغازي للواقدي ج ٢

والذي شاتم ابن عبادة هو نباش بن قيس (١)
وقال أسيد بن حضير لكعب: أتسب سيدك يا عدو الله؟! ما أنت له بكفؤ يا ابن اليهودية. ولتولين قريش إن شاء الله منهزمين، وتتركك في عقر دارك، فنسير إليك، فننزلك من جحرك هذا على حكمنا (٢)
و " قال موسى بن عقبة: فدخلوا معهم حصنهم، فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف، فقالوا: الان وقد كسر جناحنا وأخرجهم؟ (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه
فقال له سعد بن معاذ: إنا والله ما جئنا لهذا، ولما بيننا أكبر من المشاتمة. ثم ناداهم سعد فقال: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير، أو أمر منه
فقالوا: أكلت أير أبيك
فقال: غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن "
إلى أن قال: فأمرهم بكتمان خبرهم (٣)
وعند القمي انه لما رجع سعد بن معاذ وأسيد إلى النبي وأخبراه

ص ٤٥٨
ونقل في البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ عن ابن إسحاق عكس ذلك
(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٢٧ عن ابن عقبة، والواقدي، وابن عائذ، وابن سعد
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و ٥٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨
(٣) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٣

بنقض قريظة قال (صلى الله عليه وآله) " لعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عيون لقريش يتجسسون خبره " (١)
وفي نص آخر: أنهم لما قالوا للنبي: عضل والقارة، قال صلى الله عليه وآله: " الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين " (٢) أو قال أبشروا بنصر الله وعونه (٣)
زاد البعض قوله: " إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر، ولتنفقن أموالهم في سبيل الله
يقول ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكرب، ثم تقنع إلخ " (٤)
ويقول الحلبي إنه قال: " نصرة الله وعونه، وتقنع بثوبه واضطجع، ومكث طويلا، فاشتد على الناس البلاء والخوف، حين رأوه (صلى الله عليه وآله) اضطجع، ثم رفع رأسه وقال: أبشروا بفتح الله ونصره " (٥)

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه
(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٧
(٣) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩
(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨
(٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩

ثم إنه قد بقيت لنا مع النص المتقدم وقفات
ونحن نلخصها في المطالب التالية
النزعة العنصرية لدى اليهود:
أول ما يستوقفنا هنا الطريقة التي أحبط بها حيي مقالة الزبير بن باطا حول نبي تحدثت عنه التوراة، يبعث في مكة، ويهاجر إلى المدينة
فإنه ضرب على الوتر الحساس لدى اليهود، حين طرح لهم مقولة: أن هذا النبي لا بد أن يكون إسرائيليا، مستندا إلى مقولة ترتكز على النزعة العنصرية لدى اليهود، حيث قال لهم:
لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل إلخ...
وقد أشرنا إلى هذا الموضوع بصورة أوسع في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
وفاء اليهود:
وقد اتضح أيضا: أن اليهودي حين يلتزم بعهده، فإنه لا ينطلق في ذلك من شهامة، ولا كرامة ولا نبل، ولا لأجل أنه يلتزم بشرف الكلمة.. وإنما لأنه يرى أن نقضه له سوف يلحق به ضررا من نوع ما، فإذا اطمأن إلى عدم وجود ضرر في ذلك فإنه يبادر إليه، دونما

ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ / ٢٠٠

وازع أو رادع
وقد رأينا: أن كعب بن أسد ينقض العهد حين تخيل أنه سيحقق ما يتمناه، من استئصال محمد (صلى الله عليه وآله) ومن معه، واقتنع بان القوة التي حشدها الأحزاب كافية في تحقيق هذه الأمنية، وان المستقبل الرغيد والسعيد سيكون بانتظاره، وأصبح على الأبواب

طريقة حيي للتأثير على كعب بن أسد:
ويلفت نظرنا هنا الطريقة التي أثار فيها حيي بن أخطب حفيظة كعب بن أسد حتى فتح له، حيث اتهمه بأنه لا يفتح له خوفا من أن يأكل من طعامه. ففتح له حينئذ الباب، الذي كان باب الخزي والخسران، والذل الأبدي، والبوار في الدنيا والآخرة

ولكن كعبا هذا رغم اعترافه بأنه لم ير من النبي إلا الوفاء والصدق، وغير ذلك فإنه ينقض العهد معه، حبا للدنيا، وطمعا بها فكان له الدمار والهلاك

وحسبك بهذا دلالة على تفاهة تفكير هؤلاء الناس، وسفاهة عقولهم، وتناقضهم السافر في مواقفهم

دوافع نقض العهد:
أما ما قدمه من امتياز لكعب بن أسد ولبني قريظة ليثير شهيتهم لنقض العهد، والدخول معهم في حرب محمد فهو استئصال محمد ومن معه

وقد اشترط كعب لنفسه إن لم يتحقق هذا الهدف أن يواجه

حيي بن أخطب معه كل السلبيات التي تنشأ عن عدم استئصال محمد ومن معه، حيث شرط عليه ان يدخل معه حصنه، ويصيبه ما أصابه فقبل حيي بن أخطب ذلك

وذلك يوضح لنا صوابية القرار الذي اتخذه الرسول (صلى الله عليه وآله) بتنفيذ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة. وهو الحكم الذي أعطاه بنو قريظة أنفسهم موافقتهم المسبقة عليه. بل هم الذين اقترحوا تحكيم سعد بن معاذ فيهم

وسيأتي بحث هذا الموضوع في غزوة بني قريظة إن شاء الله تعالى

جهام بلا ماء:

ولم يكن كعب بن أسد يرى في كل تلك الجموع قدرة على تحقيق الهدف الذي تسعى له، أو يشفي الغليل، وما هي إلا رعد وبرق فارغ، وسراب خادع

ولعل مما ساعد على تكون تلك النظرة لديه هو ما جرى في حرب بدر وأحد، وقينقاع، والنضير، وغيرها. مع رؤيته وجود فرق كبير فيما بين قدرات المسلمين في السابق وفي اللاحق، فقد تنامت قدراتهم، واتسع نفوذهم، وتأكدت هيمنتهم على المنطقة بأسرها

كما أن الخطة التي اتبعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواجهة الأحزاب قد كانت على مرأى ومسمع من بني قريظة، وهم يعرفون: أنها خطة ناجحة إلى حد كبير، ولا يمكن اختراقها، وتحقيق فجوة فيها بسهولة

الشعور بالذنب والخيانة:
وإذا كان كعب يعترف بوفاء وصدق محمد، وبسائر المواقف النبيلة، والانسانية لنبي الاسلام، فإنه يكون قد اعترف ضمنا بالخيانة وبالغدر، فهل كان حقا قد شعر بالذنب وبتأنيب الضمير؟!
لو كان قد شعر بذلك حقا لبدرت منه بادرة تراجع أو ندم ولكن الله لا يوفق كل ظلوما كفار، ولن يكون لغادر فلاح، ولا لخائن نجاح. والمصير الذي انتهى إليه بنو قريظة خير شاهد على ذلك
عدة مبعوثين لمهمة واحدة:
لقد رأينا فيما سبق: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أرسل أكثر من شخص واحد لكشف خبر بني قريظة. ولعل ذلك يرجع إلى أن الجماعة تكون في مناسبات مشحونة بالتوتر أكثر تدبرا للأمور في المواقع التي تشهد تصعيدا خطيرا، وعلى درجة كبيرة من الحساسية. ويمكن لبعضهم أن يستعين بالبعض الاخر، ويسدده ويعضده، لو كان ثمة ما يقتضي اتخاذ موقف أو القيام بمبادرة من نوع ما
كما أن ذلك يجعل الخبر الذي يأتي به هؤلاء، ليتخذ على أساسه قرارات في غاية الخطورة، ترتبط بمستقبل ومصير أمة من الناس. يجعله أكثر دقة، ووضوحا، وأبعد عن اللبس، وعن احتمالات تدخل الأهواء في صياغته وفي أدائه. بالإضافة إلى أن يقطع العذر لمن يريد أن يغدر ويمكر، ثم يجنب نفسه عواقب هذا الغدر و المكر، حتى تلوح له بوادر فشله، وخيبته. إذ لا بد ان يحيق به مكره السئ، ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله

والملفت للنظر هنا بالذات: أنه (صلى الله عليه وآله) لا يختار لهذه المهمة أناسا عاديين، بل يختار لها الرؤساء والكبراء الذين يحترمهم رؤساء بني قريظة، وقد اختار (صلى الله عليه وآله) ان يكونوا جميعا من الأنصار، وفيهم خصوص سعد بن معاذ، سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، لكي يلمس اليهود وجود التفاهم والانسجام الكامل، والعميق والراسخ فيما بين هاتين القبيلتين، اللتين لهما تاريخ طويل من الصراع. ثم ليستمعوا من هذين الزعيمين، وخصوصا من سعد بن معاذ. ما يزيل لهم كل شبهة ويدفع اي لبس أو تشكيك في حقيقة موقفهما. مع ملاحظة ان بين بني قريظة وبين الأوس حلف وعهد، يلزمهم الوفاء به

ثم إن هذه البادرة منه صلى الله عليه وآله وسلم ما هي إلا تعبير لهم عن حسن النية، وتدخل في سياق تهيئة الأجواء لهم ليعودوا عن قرارهم الخياني، إذا كانوا يطمعون بوفاء سعد، وقبيلته لهم. وهم الذين يفترض بهم أن يعيشوا معهم بعد رحيل الأحزاب، وعليهم أن يفكروا بان لا يحرقوا السفن وراءهم، فإن ذلك سوف يحرمهم من السلامة في نهاية المطاف

طريقة الرمز في نقل المعلومات الحساسة:

وقد طلب (صلى الله عليه وآله) من رسله إلى بني قريظة: أن يستعملوا طريقة الرمز في تأدية المعلومات إليه، إذا كانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطورة والحساسية، وكان للجهر بها أثر سلبي على المعنويات

كما أن ذلك يفرض أن يكون الذين يتم اختيارهم لمهمات من هذا القبيل لديهم المؤهلات الكافية لاختيار أسلوب الرمز المناسب

مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقا للخطة التي ترسمها القيادة

البشائر النبوية بالنصر:

وحين بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) خبر نقض بني قريظة للعهد، الذي من شأنه أن يهد العزائم، ويثير حالة من الهلع في صفوف أهل الاسلام فإنه يعلن بالتكبير، الذي يؤذن بالغلبة والفلاح والنجاح، ثم يبشرهم بالنصر الأكيد الساحق، وبالسيطرة على العالم بأسره

ولكنه (صلى الله عليه وآله) لم يذكر لهم مضمون البشارة إلا بعد أن اضطجع وتقنع بثوبه، وطال انتظارهم له، واشتد عليهم البلاء، والخوف فجاءت البشارة لتبخر ذلك الخوف، وتكشف البلاء. وليفهمهم أن كلامه هذا ليس لمجرد التطمين ورفع المعنويات

حدة سعد بن عبادة:

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن وصفهم لسعد بن عبادة بالحدة ليس له ما يبرره، ويبدو أن ذلك من تزييفات الحاقدين على سعد، لا قدامه على طلب الخلافة في يوم السقيفة، وهو ذنب يصعب أن يغفره له الآخرون، وإن كان أبو بكر قد استطاع بما لديه من حنكة ودهاء أن يقلب الأمور رأسا على عقب، ويفوز هو بالامر كما يعلمون

كما أن سعدا هو والد قيس نصير علي والحسن، والمجاهد بين أيديهما في سبيل الله

أسيد بن حضير:
وقد ذكر أسيد بن حضير فيما سبق كبديل عن بعض الشخصيات التي أرسلها النبي لكشف خبر بني قريظة ثم أعطوه دورا هاما جدا، وهو أنه قد أخبر بني قريظة بتفاصيل ما سوف يجري لهم، وقد تحقق ما قال حرفا فحرفا، وكأنه يقرؤه في كتاب ونحن لا نصدق كل ذلك عن أسيد، الذي كان يحظى بعناية خاصة من قبل بعض التيارات، لأنه كان قريب أبي بكر، وكان له دور هام في توطيد أمر أبي بكر في يوم السقيفة. وكان أحد المهاجمين لبيت فاطمة. وكان للسلطة اهتمام ظاهر به، وسعي لتسطير الفضائل والكرامات له، ومنحه الأوسمة، بسبب وبلا سبب (١)

فضيلة مكذوبة للزبير:
عن عبد الله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب، انا وعمر بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان، فنظرت، فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة، مرتين، أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف!
قال: رأيتني يا بني؟!
قلت: نعم
قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من يأت قريظة، فيأتيني بخبرهم؟!

---

(١) راجع كتابنا حديث الإفك - فصل: الفضائل والسياسة

فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول (صلى الله عليه وآله) أبويه، فقال:
" فداك أبي وأمي " (١)
وفي رواية أخرى: أن عمر بن الخطاب لما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بنقض بني قريظة للعهد، قال (صلى الله عليه وآله) من نبعث يعلم لنا علمهم؟!
فقال عمر: الزبير بن العوام
فكان أول الناس بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزبير بن العوام، فقال: إذهب إلى بني قريظة، فذهب الزبير فنظر، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم، ويدربون طرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم
فذلك حين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن لكل نبي حواريا وحواريي الزبير ابن عمتي
ثم تذكر القصة إرسال السعدين إلى بني قريظة (٢)
ونقول:

---

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٧ وراجع ص ٣٢٧ و ٣٢٨ كلاهما عن الشيخين. وقال الترمذي: حديث حسن والتاريخ الكبير للبخاري ج ٦ ص ١٣٩
وقول الزبير الأخير موجود في السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ و ١٠ وكذا في سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ لكنه لم يصرح ببني قريظة وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ عن الصحيحين، وليس فيهما تصريح ببني قريظة أيضا. وفيه: انه لما قال له الزبير: أنا قال: إن لكل نبي حواري وإن حواريي الزبير
وراجع صحيح البخاري كتاب أصحاب النبي، باب مناقب الزبير
(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧

إن هذه الرواية لا تصح، وذلك للأمور التالية:
أولا: إنها تخالف سائر الروايات وتناقضها. لأنها مجمعة على أن السعدين هما اللذان جاءا بخبر نقض بني قريظة للعهد
وحاول البعض توجيه ذلك، ورفع التنافي فقال: " لا منافاة بين ارسال الزبير وارسال هؤلاء، لاحتمال أنهم أرسلوا دفعة، أو بعد ارساله. وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم، فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم، فغلبت عليهم الشقوة " (١)
وقال الحلبي: " ولعل هذا - أي ارسال السعدين ومن معهما - كان بعد إرسال الزبير إليهم ليأتي بخبرهم، هل نقضوا العهد استثباتا للامر " (٢)
ونقول: ان احتمال ارسال الزبير بعد تلك الجماعة ليس له ما يبرره، إذ أن إخبار هؤلاء الكبار كان يكفي في ثبوت هذا الامر لديه (صلى الله عليه وآله)
وأما إرسال الزبير قبلهم، فهو أيضا في غير محله، إذا كان (صلى الله عليه وآله) عازما من أول الأمر على إرسال تلك الجماعة، إذ أن إرساله لا يفيد شيئا في حصول اليقين له (صلى الله عليه وآله) أما مجرد الاحتمال فقد حصل باخبار عمر له أولا حسبما تقدم
وثانيا: أضف إلى ما تقدم: اننا لم نفهم السر في أن الزبير حين أرسله النبي ليأتيه بخبرهم، قد تردد، إليهم مرتين أو ثلاث، ألم

---
(١) اليسرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧

تكن المرة الأولى كافية لوقوفه على حقيقية أمرهم؟! ولماذا الترديد بين المرتين والثلاث، فهل نسي ولده عبد الله عدد المرات التي رصدها وسأل أباه عنها؟!

وثالثا: إننا لم نعرف وجه تسمية الأطم ب " أطم حسان "، مع أن النساء كن في أطم بني حارثة

الا أن يكون قد أراد الإشارة إلى أن جبن حسان قد تجلى في هذا الأطم بالذات، ثم اشتهر به بسبب ذلك ولكن ذلك - على كل حال - يحتاج إلى اثبات

ورابعا: قال ابن عبد البر: " ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبويه مرتين: يوم أحد، ويوم بني قريظة، فقال: ارم فداك أبي وأمي

فقال: ولعل ذلك كان في أحد: إن لكل نبي حواري، وإن حواريي الزبير إلخ.. " (١)

وخامسا: إن ابن الزبير كان يوم الخندق طفلا صغيرا، لا يعقل مثل هذه الأمور، فلا يصح أن يسأل أباه هذا السؤال، ثم يجيبه أبوه بذلك الجواب الذي لا يدرك مغزاه إلى ذو الحجى، ولا يخاطب به طفلا صغيرا، عمره على أبعد الأقوال أربع سنوات، أو سنتان ونصف سنة - كما هو قول الأكثر - فضلا عن القول الذي يذكر: أنه ولد في أحد، أو في الخندق بالذات، ولتوضيح ذلك نقول: إنهم رغم انهم يقولون: ان ابن الزبير كان أول مولودا في

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧.

الاسلام من المهاجرين (١) مع وضوح خطأ الرازي في قوله: إنه أول مولود ولد في الاسلام (٢)
- رغم ذلك - فإنهم قد اختلفوا في تاريخ ولادته، على النحو التالي:
١ - فريق يقول: إن أسماء حملت بعبد الله في مكة، وخرجت مهاجرة إلى المدينة، فلما دخلت المدينة نزلت قباء، فولدته بقباء (٣)
٢ - وبعضهم أطلق القول في ولادته، فقال: ولد عام الهجرة، أو ما يقرب من هذه العبارة، وبعضهم ذكر ذلك بلفظ قيل (٤)

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٢ وتهذيب الاسماع ج ١ ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ و ٣٦٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٤٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وتاريخ الصحابة ص ١٥٠ والتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٩ و ٨٠ والتبيين في أنساب القريشيين ص ٢٥٧ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠
(٢) الجرح والتعديل ج ٥ ص ٥٦ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٩٧
(٣) تاريخ الصحابة لابن حبان ص ١٥٠ والاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣١ والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٦ وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١ والتبيين في انساب القريشيين ٢٥٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ والثقات ج ٣ ص ٢١٢ والجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ ونسب قريش لمصعب ص ٢٣٧
(٤) راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٧١ ومستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ج ٣ ص ٥٤٨ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩

٣ - ونجد الآخرين يقولون: انه ولد في شوال السنة الثانية، للهجرة النبوية الشريفة (١)
والقائلون بهذا القول هم الأكثر (٢)
لكن عبارة عدد منهم هكذا: هاجرت به أمه وهي حامل، فولدت بعد الهجرة بعشرين شهرا (٣)
قال العسقلاني: " لا يتجه إلا بتقدير ان يكون قد أقام في بطنها نحو سنتين. ولم أر من صرح بذلك " (٤)
ولعل هذا هو السبب في أنه قد استظهر ان يكون القول بولادته

وراجع: سيرة أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦٣ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٦ وأنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٧٥

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٥٥١ والإصابة ج ٢ ص ٣٠٩ عن الواقدي ومن تبعه، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٩٧ وتهذيب الاسماع ج ٢ ص ٢٦٦ والمحبر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١ عن الزبير بن بكار والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠ عن الواحدي وغيره

(٢) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٥٥١

(٣) راجع: الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٠١ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٦١ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والمحبر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ والجمع بين رجال الصحيحين لابن العسقلاني ج ١ ص ٢٤٠

(٤) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ / ٢١٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠

في أول سني الهجرة أقرب إلى الصحة. وإن كان الأكثر على خلافه (١)

٤ - ويؤيد القول بأنه قد ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا وانه قد ولد في السنة الثانية قولهم: انه قتل في السنة الثلاث وسبعين، وله اثنتان وسبعون سنة (٢)

٥ - انهم يقولون: ان النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر، على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة (٣)

وقال الذهبي: ولد سنة اثنتين (٤)

وقالوا أيضا: إن النعمان هذا قد ولد قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بثمان سنين وسبعة أشهر. وقيل: ست سنين. والأول أصح. وقال ابن الزبير: النعمان أكبر مني بستة أشهر. وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة (٥)

وذلك يعني ان ابن الزبير قد ولد في السنة الثالثة

٦ - انهم يقولون: ان ابن الزبير يكبر مروان بن الحكم بأربعة

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤

(٢) الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٠٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٩٨ و ج ٢٤ ص ١٩٠ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٤ والجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٥ ص ٤٣

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٠ والإصابة ج ٣ ص ٥٥٩ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ١٥١ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨ و ٤٤٧ والمحبر ص ٢٧٦ وتهذيب الاسماع ج ٢ ص ١٢٩

(٤) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١١ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨

(٥) أسد الغابة ج ٥ ص ٢٢

أشهر (١) ومروان ولد في الثالثة يوم أحد كما عن مالك، أو في الرابعة، أو يوم الخندق - كما عن ابن عبد البر - أو في الثانية فراجع ترجمة مروان في كتب السير والتراجم (٢)..

٧ - ويقولون أيضا: كان لابن الزبير حين موت النبي (صلى الله عليه وآله) ثمانية سنين وأربعة أشهر (٣) ولعل قول ابن إسحاق: كان له تسع سنين (٤). لا ينافي ذلك، إذ كان قد قال ذلك على سبيل التقريب، لا التحديد..

٨ - قال العسقلاني عن عمر بن أبي سلمة: " ولد بالحبشة في السنة الثانية. وقيل قبل ذلك. وقبل الهجرة إلى المدينة. ويدل عليه قول عبد الله بن الزبير: كان أكبر مني بسنتين الخ " (٥). وجزم ابن عبد البر بأنه ولد في الثانية، وعند الذهبي: ولد في أواخرها (٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٧٦

(٢) راجع على سبيل المثال: الإصابة ج ٣ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ وتهذيب الأسماء ج ٢ ص ٨٧ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٤٨ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٩١ و ٩٢ والاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٢٥ والبداية والنهاية، وتاريخ الأمم والملوك ط دار المعارف ج ٥ ص ٦١١ وطبقات ابن سعد ط صادر ج ٥ ص ٣٦ وفي مختصر تاريخ دمشق ج ٢٤ ص ١٨٤ و ١٧٩: ان عمر مروان حين موت النبي كان ثمانية سنين. وراجع: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٩٢

(٣) راجع تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٤ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١

(٤) الإصابة ج ٢ ص ٣٠١ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥١٤

(٥) الإصابة ج ٢ ص ٥١٨ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦

(٦) الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٧٥ وراجع: الثقات ج ٣ ص ٢٦٣ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٣٣٩ والمحبر ص ٢٩٣

٩ - وأخيرا، فقد روى البخاري عن عروة: أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرسا وهو ابن عشر، ووكل به رجلا (١) وقد كانت وقعة اليرموك سنة ١٣ ه أو ١٥ ه. وعليه الجمهور (٢) ويدل عليه كتاب الصلح الذي كتبه خالد للنصارى حينما أراد النهوض إلى اليرموك. وقد أرخه بسنة خمس عشرة (٣) فتكون ولادة ابن الزبير في السنة الثالثة أو الخامسة. وهو ما أيدته بعض الشواهد المتقدمة، خصوصا قولهم في ولادة مروان

وقد اعتذر العسقلاني وغيره عن قصة اليرموك هذه: بأنها قد جاءت على سبيل الغاء الكسر (٤) ولكنه اعتذار واه، لأنه الغاء خمس أو ثلاث سنوات، من أصل خمس عشرة سنة بعيد ومستهجن، خصوصا إذا كان في مقام التحديد، من أجل اظهار فضيلة وخصوصية خاصة للزبير

ولو سلمنا، فإنما يقبل هذا الاعتذار بعد ثبوت كون سن عبد الله هو عشر سنين. وهو لم يثبت. بل الظاهر خلافه كما قلنا

وراجع: تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦ وتهذيب الأسماء ج ٢ ص ١٦

(١) صحيح البخاري ج ٣ كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٥

(٢) عمدة القاري ج ١٧ ص ٩٠ وذكر هذا التاريخ في مصادر كثيرة، فراجع على سبيل المثال: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٩١ وارشاد الساري ج ٦ ص ٢٥٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣

(٣) فتوح البلدان ص ١٣٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢١

(٤) فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٩١ وارشاد الساري ج ٦ ص ٢٥٣

من الذي شاتم بني قريظة:

وقد ذكرت إحدى الروايات السابقة: ان ابن إسحاق وبعضا آخر يقولون: إن سعد بن عبادة هو الذي شاتم بني قريظة، وكان رجلا فيه حدة ونقول:

١ - قد روي عن ابن إسحاق ما يخالف ذلك، وأن الذي شاتمهم هو ابن معاذ

٢ - إن قول أسيد بن حضير لكعب بن أسد: أتسب سيدك يا عدو الله، يشير إلى أن الذي شاتمهم هو ابن معاذ، لأنه هو الذي كان بينه وبينهم حلف، ويحسن وصفه بأنه سيدهم. أما ابن عبادة فحاله معهم حال سائر الناس

إلا أن يقال: إنه إنما قال ذلك لاظهار عظمة ابن عبادة وامتيازه عليهم، بالاسلام، وبأنه رئيس قومه

والذي نستغربه هو ان المشاتمة قد حصلت لكلا الرجلين، فإن معاذ شتم من قبل كعب بن أسد، وابن عبادة شتم من قبل شاس (نباش) بن قيس حسبما تقدم، ثم قال أحدهما للاخر: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة

عمر عرف بأمر بني قريظة:

ويذكر النص التاريخي: أنه لما نقض بنو قريظة العهد " بلغ عمر بن الخطاب نقض بني قريظة العهد، فأعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخبرهم " (١)

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ وبقية المصادر تقدمت تحت عنوان: لا بد من التثبت

ونقول: إن لم تكن هذه القضية كاذبة، فإننا لا ندري ما السبب في أن ذلك بلغ خصوص عمر بن الخطاب دون النبي، ودون كل المسلمين الآخرين، فهل كان لعمر جواسيس لدى بني قريظة يخبرونه بكل مواقفهم وتحركاتهم؟ أم أنه علم ذلك من جهة المشركين؟

إننا نعترف بالعجز عن ادراك الحقيقة، وليس في النصوص التي بين أيدينا، ما يكشف لنا عن هذا الامر

ولا نريد أن نذكر القارئ بما ذكرناه في غزوة أحد، وبما سيأتي في هذه الغزوة من أن رموز الشرك، كخالد بن الوليد، وضرار بن الخطاب كانوا يتحاشون ايصال الأذى إلى عمر بن الخطاب، ولا ندري سر وسبب ذلك، لا سيما وأنهم يصرحون له بأنهم يتخذون ذلك يدا لهم عنده. هذا بالإضافة إلى قضايا أخرى لا مجال للتذكير بها الان، رغم ان أهل الشرك إلى أن انقضت غزوة الخندق، كانوا يعتقدون أن بالامكان اقتلاع الاسلام واستئصاله من جذوره، وكانوا يهتمون بقتل كل من تصل إليه أيديهم، ولا سيما من بني هاشم كحمزة وعبيدة بن الحارث، وعلي وغيرهم. فلماذا يريدون قتل هؤلاء، ولا يريدون قتل غيرهم من رجالات الاسلام؟

احلاف عبادة بن الصامت:

ويذكر البعض: انه لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الأحزاب قال عبادة بن الصامت: يا رسول الله، إن معي خمس مئة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي، فأستظهر بهم على العدو..

فأنزل الله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ، إلا أن تتقوا منهم تقاة. ويحذركم الله نفسه، والى الله المصير (١)

ونقول:

إن هذا الكلام لا يصح

أولا: لان ظاهر الآية يأبى الانطباق على واقعة من هذا القبيل فإنها تزجر عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ولم يكن عبادة يريد أن يتخذهم أولياء من دون المؤمنين، بل هو يريد أن يشركهم في الدفاع عن أهل الايمان، حبا منه بسلامة المؤمنين. فهذا التحذير القوي، واستثناء حالة مصانعتهم تقية. والتنصيص على أنه يواليهم من دون أهل الايمان يبعد القضية عن أن تكون في شأن عبادة

وثانيا: من أين يأتي عبادة بخمس مئة يهودي ليقاتلوا معه، فقد أجلى بنو قينقاع وبنو النضير عن ديارهم، ولم يكونوا ليدافعوا عن الاسلام، بل كانوا هم المحرضين للأحزاب على حرب النبي والمسلمين. وبنو قريظة قد نقضوا العهد، وأصبحوا مع الأحزاب

عريش جديد لأبي بكر:

ويستفاد من كلام الواقدي: أنه قد كان ثمة ما يشبه العريش - عريش بدر - لأبي بكر فيذكر: أن أبا بكر كان مع النبي (صلى الله عليه وآله) " في قبة

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ج ٤ ص ٥٨ وتفسير الخازن ج ١ ص ٢٢٧

من أدم مضروبة في أصل الجبل، عند المسجد الذي في أسفل، معه
أبو بكر رضي الله عنه، والمسلمون على خندقهم يتناوبون " (١)
فجاء عمر، إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره بنقض بني قريظة للعهد..
لكن قد تقدم: أن ذلك لا يصح، أو على الأقل يشك كثيرا في
صحته. وقد تحدثنا في غزوة بدر عن عدم صحة قصة العريش
المزعوم لأبي بكر والنبي (صلى الله عليه وآله) فراجع ما ذكرناه هناك..
ولسنا ندري لماذا ترك أبو بكر الناس يتناوبون على خندقهم
أليس هو خندقه أيضا، ولماذا استثناه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليكون معه
دون كل من عداه، وكيف لم يعترض على ذلك أي من الناس الذين
كانوا يقومون بواجباتهم في الحفظ والحراسة وكان النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه
يفعل ذلك أيضا

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧

الفصل السابع:
معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار

الحالة المعنوية لجيش الأحزاب:
لقد حاصر المشركون المسلمين في المدينة مدة طويلة سنتحدث عنها في الفصل التالي، ولا شك في أن جيش الشرك كان مطمئنا إلى أنه سوف يحقق في مسيره ذاك لحرب المسلمين نتائج طيبة ومثيرة وربما حاسمة، وذلك استنادا إلى ذلك الحشد الهائل الذي استطاع أن يوفره، والذي لم يسبق له مثيل
ثم فوجئ بالخطة الدفاعية التي اعتمدها المسلمون في المواجهة، ولكنه لم يفقد الأمل، وحرص على متابعة الاعداد والاستعداد، بحمله بني قريظة على نقض العهد، وذلك على أمل ان يجد الوسيلة لتجاوز عقدة الخندق، للتوصل إلى المواجهة الحاسمة التي كان يأمل
فكان من الطبيعي ان نجد جيش الأحزاب يتظاهر بالأنفة والشموخ والعنجهية، والاستعلاء والفرح. قال ابن شهر أشوب: " كان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة " (١)
وكيف لا يكونون كذلك، وهم يرون أنفسهم في موقع من يحاصر أعداءه، ويضيق عليهم الخناق. ويتسبب لهم بالمزيد من الألم والأذى والخوف والرعب، مع ما يعانون من جوع وحاجة، وشدة

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢

وإن كان فيما بعد - وبعد قتل علي لطليعة فرسانهم - انقلب السحر على الساحر كما سنرى

وما يهمنا هنا هو بيان حالة المسلمين في مواجهة الأحزاب

فنقول:

المسلمون في مواجهة الأحزاب:

قد تحدث القرآن عن حالة المسلمون بصورة عامة في يوم الأحزاب، وتحدث عن حالات المنافقين ومواقفهم وأساليبهم في هذه المناسبة. وذكر أيضا حالة أهل الايمان والاخلاص، وميزهم عن غيرهم

ونحن نذكر هنا الآيات التي تعرضت للفرقاء الثلاثة

فنقول:

الحالة العامة:

لقد كان ثمة حالة من الخوف والرعب تهيمن على الأجواء العامة للمسلمين، الذين لم يستحكم الايمان في نفوسهم وقلوبهم حتى زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر. قال تعالى: * (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب) * (١)

حيث يذكر المفسرون: أن هذه الآية قد نزلت يوم الأحزاب

---

(١) سورة البقرة / ٢١٤

وقيل: نزلت في أحد (١)
وقد زاد هذا الخوف والرعب باستمرار الحصار، وظهور بعض المناوشات. وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك، فقال: * (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جاءتكم جنود، فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها. وكان الله بما تعملون بصيرا) *
* (إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) * (٢)
يقين أهل الايمان:
أما عن خصوص الثلة المؤمنة الصابرة المجاهدة، فإنهم كانوا مطمئنين إلى نصر الله تعالى لهم على أعدائهم. دون أدنى شك أو ريبة منهم، فقد قال تعالى: * (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا ايمانا وتسليما. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر. وما بدلوا تبديلا) *
* (ليجزي الله الصادقين بصدقهم، ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم، ان الله كان غفورا رحيما) * (٣)

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٨٨ عن مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠٩ وراجع: الدر المنثور ج ١ ص ٢٤٣ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة. وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي
(٢) سورة الأحزاب / ٩ - ١١
(٣) سورة الأحزاب ٢٢ - ٢٤

حالة المنافقين:
أما المنافقون: فإنهم ما زالوا منذ البداية يشككون في قدرة المسلمين على المواجهة، وقد تقدم انهم حين حفر الخندق اظهروا نفاقهم الذي رافق جميع مراحل المواجهة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم، فقال:
* (وإذ يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا. وإذ قالت طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم، فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي، يقولون: ان بيوتنا عورة، وما هي بعورة، إن يريدون إلا فرارا. ولو دخلت عليهم من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة لأتوها، وما تلبثوا بها إلا يسيرا. ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل: لا يولون الادبار، وكان الله مسؤولا) *
قل: * (لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، واذن لا تمتعون إلا قليلا) *
قل: * (من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله وليا، ولا نصيرا) *
* (قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لاخوانهم: هلم إلينا، ولا تأتون البأس إلا قليلا. أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف، رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم، كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) *
يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب يودوا ولو أنهم

بأدون في الاعراب، يسألون عن أنبائكم، ولو كان فيهم ما قالوا الا قليلا (١) "

النصوص التاريخية:

قد ظهر من الآيات الشريفة: ان ما كان يثيره المنافقون من شائعات، وما كانوا يتخذونه من مواقف، قد اثر على الحالة العامة، وأسهم في إثارة مشاعر الخوف التي كانت متحفزة، بسبب ما يرونه من حشود هائلة، وبسبب الحصار الذي يعانون منه وترافق مع الحاجة الملحة، الامر الذي بث روح الانهزام، والتخاذل والتردد فيما بينهم ضعفاء النفوس، وقليلي التدبر

وقد حملت لنا النصوص التاريخية بعض التفاصيل، التي يحسن الوقوف عندها، إلى جانب أخرى يحسن الالمام بها والاطلاق عليها، والاستفادة منها

ونحن نذكر هنا بعضا من ذلك ولا نصرف النظر عن جميع ما لدينا من ملاحظات وتحفظات، بل نذكر بعضا من ذلك، حسبما يقتضيه المقام، فنقول:

عن جابر بن عبد الله، قال: كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش، حتى فرج الله ذلك (٢)

وعن أم سلمة: انها قالت: إنها شهدت مع النبي (صلى الله عليه وآله) مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، والحديبية، والفتح، وحنين،

---

(١) سورة الأحزاب / ١٢ - ٢١

(٢) المغازي ج ٢ ص ٤٦٨

ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أخوف عندنا من الخندق. وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وان قريظة لا نأمنها على الذراري الخ (١)

" وكانوا يبيتون بالخندق خائفين، فإذا أصبحوا أمنوا " (٢)

" واشتد البلاء والحصر على المسلمين، وشغلتهم أنفسهم، فلا يستريحون ليلا، ولا نهارا " (٣)

وقال ابن شهرآشوب:

" وكان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة. والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو والنبي (صلى الله عليه وآله) جاث على ركبتيه، باسط يديه، باك عيناه، ينادي بأشجى صوت:

" يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، اكشف همي، وكربي، فقد ترى حالي " (٤)

يقولون: لما صح عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقض بني قريظة للعهد ضاق ذرعا، وخشي ان يفت ذلك في أعضاد المسلمين، فعظم البلاء، واشتد الخوف، واتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٨

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وراجع ج ٣ ص ١٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ وراجع ج ١٤ ص ٨٨

ظن المؤمنين كل ظن، ونجم النفاق، وكثر الخوض
وأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه فيما وصف من الخوف والشدة لتظاهر الأعداء عليهم، واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى كان ما كان من كيد نعيم بن مسعود الخ (١) وستأتي قصة نعيم، وما فيها من هنات واشكال

قال ابن الجوزي: " قال علماء السير: كان اشتد الخوف يوم الخندق، وفشل الناس، وخيف على الذراري والأموال " (٢)

وفي نص آخر: " ولما فشى نقض بني قريظة، واشتد الخوف، وعظم عند ذلك البلاء، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم جنود - يعني الأحزاب - وهم قريش وغطفان، ويهود بني قريظة... إلى أن قال: فجاء بنو أسد، وغطفان، وفزارة، واليهود من فوقهم، من جهة المدينة، وقائدهم حارث بن عوف، وعيينة بن حصن. وجاء قريش

---

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ وأشار إلى ذلك في المصادر التالية تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ / ١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و ٢٠١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ / ١٦٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و ١١١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ / ٢٢٨ و ٢٨١

(٢) الوفا ص ٦٩٣ وراجع سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧١

وكنانة من جانب أسفل الوادي، وقائدهم أبو سفيان بن حرب " (١)
" وقال ابن عباس: كان الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، كذا في الوفاء
ومن هيبة كثرتهم، وشدة شوكتهم رعبت قلوب ضعفاء أهل الاسلام، وزاغت أبصارهم " (٢)
وقال القيرواني: " جاءت قريش من هاهنا، واليهود من هاهنا والمجد من هاهنا. يريد هوازن " (٣)
ومعنى ذلك هو ان المسلمين كانوا محاصرين من جهات ثلاث
ويقول الطبرسي:
" من فوقكم: من فوق الوادي، من قبل المشرق: قريظة والنضير، وغطفان
ومن أسفل منكم: اي من قبل المغرب، من ناحية مكة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه " (٤)
مواقف المنافقين:
وقال القمي: " لما طال على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الامر واشتد عليهم الحصار. وكانوا في وقت برد شديد، واصابتهم مجاعة

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ و ٣١٨
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥
(٣) الجامع ص ٢٨١
(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٢ عنه

وخافوا من اليهود خوفا شديدا. وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم
ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا نافق إلا القليل
وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبر أصحابه: أن العرب تتحزب
ويجيئون من فوق. وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وإنه ليصيبهم
جهد شديد، ولكن تكون العاقبة عليهم
فلما جاءت قريش، وغدرت اليهود قال المنافقون: ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا..
وكان قوم لهم دون في أطراف المدينة. فقالوا: يا رسول الله
تأذن لنا ان نرجع إلى دورنا، فإنها في أطراف المدينة، وهي عورة
ونخاف اليهود ان يغيروا عليها
وقال قوم: " هلموا فلنهرب، ونصير في البادية، ونستجير
بالاعراب، فان الذي كان يعدنا محمد كان باطلا كله " (١)
وقال البيهقي: انه بعد حصار دام قريبا من عشرين ليلة، وبعد
حصول قتال دام إلى الليل، شغل المسلمين عن صلاة العصر: " فلما
اشتد البلاء على النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه نافق ناس كثير، وتكلموا بكلام
قبيح
فلما رأى رسول الله ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل
يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة
واني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا، وان يدفع الله عز وجل إلي
مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل
الله عز وجل

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٩ و ٢٣٠

وقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد!! يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وان نقسم كنوز فارس والروم، ونحن هاهنا لا يأمن أحدنا ان يذهب إلى الغائط، والله ما يعدنا الا غرورا

وقال آخرون ممن معه: ائذن لنا، فان بيوتنا عورة

وقال آخرون: " يا أهل يثرب، لا مقام لكم فارجعوا " (١)

ويقول نص آخر:

" ونجم النفاق من بعض المنافقين. وقال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا ان نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وان أموالهما تنفق في سبيل الله، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب إلى الغائط: " ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا "

وقال رجال ممن معه: " يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا " (٢)

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ وراجع المصادر التالية: حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ / ١٦٥ والمغازي

من الذي قال: بيوتنا عورة:
تقدم في النصوص التي أوردناها: أن هناك من قال: بيوتنا عورة، من أجل الحصول على إذن من النبي (صلى الله عليه وآله) لهم بترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، فمن هم هؤلاء الذين قالوا ذلك يا ترى؟
إن بعض النصوص التاريخية تقول: هم " عبد الله بن أبي وأصحابه
وقيل: هم بنو سالم من المنافقين
وقيل: إن القائل لذلك أوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه، عن يزيد بن رومان " (١)
وقال ابن الكلبي: إن أبا مليل، سليك بن الأزعر - شهد بدرا - هو الذي قال يوم الخندق بيوتنا عورة (٢)
وقال الديار بكري: " وكان جماعة من المنافقين مثل أوس بن القيظي، ومتابعيه ينفرون جيش الاسلام، ويقولون: ارجعوا إلى منازلكم، واعتلوا بان منازلكم عورة، خالية عن المحافظة، فإنها خارج المدينة، ونحن نخاف ان يظفر بها جيش العدو " (٣)

للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ / ٤٥٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: سعد السعود ص ١٣٨
(١) مجمع البيان ج ٣ ص ٣٤٧ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٣ عنه وراجع: نهاية الإرب ج ٧ ص ١٨١
(٢) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩
(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٣٣

ويقول نص آخر: " عظم الامر، وأحيط بالمسلمين من كل جهة وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، معتذرين بان بيوتهم عورة خارج المدينة، ثم ثبتهم الله " (١)
لكن البعض قال: إن المستأذنين هم بعض بني حارثة لا كلهم فراجع (٢)
ويروي لنا الواقدي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلا، فيقول:
إن بني حارثة بعثوا بأوس بن قيظي إلى النبي يقولون: إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا. ليس بيننا وبين غطفان أحد يرد عنا، فاذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا فاذن لهم (صلى الله عليه وآله) ففرحوا بذلك، وتهيأوا للانصراف فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال: يا رسول الله، لا تأذن لهم، إنا والله، ما أصابنا واياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا، فردهم (٣)

والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥
(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣
(٢) راجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٩
(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ وليس فيه موقف ابن معاذ: وراجع المصادر التالية: وان لم تشر لموقف ابن معاذ: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن

من بقي مع النبي (صلى الله عليه وآله) في المواجهة:
قال دحلان: " فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة، اي من العدو، لأنها خارج المدينة، وحيطانها قصيرة، يخشى عليها السرقة، فاذن لنا نرجع إلى نسائنا، وأبنائنا، وذرارينا فيأذن (صلى الله عليه وآله) لهم
قيل: ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلاث مئة " (١)
وعن حذيفة: " ان الناس تفرقوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة الأحزاب، فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا " (٢)
وقال القاضي النعمان: " وتسلل عن رسول الله صلوات الله عليه وآله أكثر أهل المدينة، فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم " (٣)
وتقدم قول القمي: " ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا نافق إلا القليل "
وهذا يؤيد ما سيأتي من أن سبب النصر هو بطولات علي عليه السلام، وما جرى على المشركين من مكابدة ما تثيره الرياح

هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٥ و ٤٣٦
(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وستأتي بقية المصادر في الفصل الأخير من هذا الباب تحت عنوان: مهمة حذيفة بن اليمان
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وراجع: تاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩ / ٢٥٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١
(٣) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٤

والأعاصير من متاعب لهم، وما تزرعه من خوف ورعب في قلوبهم. بعد أن آتت النشاطات النبوية لزرع الشكوك فيما بينهم ثمارها، كما سنرى وقبل أن نمضي في الحديث عن سائر الوقائع نتوقف قليلا للإشارة إلى الأمور التالية:

الحارث بن عوف:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة الحارث بن عوف في المشاركين في حصار المدينة، وقد تقدم ان قومه ينكرون حضوره حرب الأحزاب، فراجع الفصل الأول من هذا الباب.

رهبة الليل

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: ان الليل كان بالنسبة لكثير من المسلمين بمثابة كابوس مخيف لما يتوقعونه من مفاجئات لم يحسبوا لها حسابا، ونحن وإن كنا نصدق أن لليل رهبته، ولكن وجود الرسول فيما بينهم، وهو الذي لم يزل يطمئنهم إلى نصر الله وعونه، كان ينبغي أن يطمئنهم، ويذهب حالة الخوف والرعب من نفوسهم لو كانوا راسخي القدم في الايمان، والتسليم لله ولرسوله

خوف الرسول:

وقد تحدثت بعض كلمات المؤرخين عن خوف النبي (صلى الله عليه وآله) في حرب الأحزاب

ونحن لا نشك في عدم صحة هذه النصوص، ولا أقل من أنها لم تتحر الدقة في نقل الوقائع والاحداث، فإن الرسول صلى الله عليه

واله وسلم كان يبشر المؤمنين بنصر الله وعونه، ابتداء من حفر الخندق، ثم حين نقض بني قريظة لعهدهم، وفي غير ذلك من مناسبات

فلم يكن هو ليعاني من حالة الرعب والخوف، وهو الذي كان مصدر السكينة والامن والطمأنينة للناس

بل إننا إذا كنا نرى ان القرآن يتحدث عن المؤمنين بأنهم كانوا على درجة من التسليم والتصديق بوعد الله، وما زادهم مجئ الأحزاب، ورؤيتهم لهم الا ايمانا وتسليما. فإن النبي الأعظم لن يكون أقل ايمانا منهم

والذي نراه هو ان النبي صلى الله عليه وآله. قد تعب كثيرا في انجاز المهام حين صار أصحابه يتركونه، حتى بقي في قلة قليلة منهم. بل إن بعضهم حتى طلحة، وعمر قد تركوه، واختبأوا في حديقة هناك، وقد كشفت عائشة امرهم، وأحرجتهم بصورة ظاهرة كما ذكرناه في موضعه

فيمكن ان يكون بعض المؤرخين خلط بين التعب والمعاناة للنبي (صلى الله عليه وآله) وبين الخوف، فنسب إليه الخوف، مع أن الصحيح هو نسبة التعب كما قالته أم سلمة، وغيرها

فليلاحظ ذلك

اتهام أحد البدريين بالنفاق:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: ان متعب بن قشير هو الذي قال: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر الخ...

مع أن ابن هشام يقول: قيل: لم يكن متعب من المنافقين، وقد شهد بدرا (١)

وقال العسقلاني: " ذكروه في من شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقا، وانه الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا. وقال: انه تاب. وقد ذكره ابن إسحاق في من شهد بدرا " (٢)

وقال أبو عمر: " شهد بدرا وأحدا، وكان قد شهد العقبة. ويقال: انه الذي قال: لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا " (٣)

ولا نريد تتبع سائر المصادر التي إشارة إلى بدرية متعب بن قشير. فكيف نوفق بين وصف القرآن له بالنفاق، وبين بدريته، التي توجب - حسبما يزعم هؤلاء - ان يغفر له كل ذنب، ويطهر من كل رجس، وقد تحدثنا عن هذا الامر في غزوة بدر فراجع

هيكل يخطئ في تصويراته وتصوراته:

قال محمد حسين هيكل: " لأهل يثرب أبلغ العذر إن كان بلغ منهم الفزع وزلزلت قلوبهم، ولمن قال منهم العذر في أن يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب إلى الغائط، وللذين بلغت قلوبهم الحناجر العذر في أن تبلغها. أليس هو الموت الذي يرون آتيا تقدح بالشرر عينه، مصورة في بريق هذه السيوف تلمع في أيدي قريش، وفي أيدي غطفان

---

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٤٤٣

(٣) الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٦٢

وتدب إلى القلب مخافته، متسللة من منازل قريظة الغدرة الخائنين " (١)
ونقول:
لقد اشتبه هيكل في تصوره وفي تصويره أيما اشتباه، وذلك
لأمور:
الأول: ان الله سبحانه قد حكى طائفة مما ذكر آنفا عن
المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، فقال: " وإذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا. وإذ قالت
طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم
النبي، ويقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، إن يريدون إلا
فرارا " (٢)
فهل كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض على حق في قولهم
هذا؟!
وقد صرح المؤرخون - حسبما تقدم وسيأتي أيضا - بان
المنافقين هم الذين قالوا: يعدنا محمد كنوز كسرى الخ
الثاني: ان هذه الأقوال - كما تقدم - إنما صدرت بادئ الامر
من المنافقين قبل مجئ الأحزاب، وقبل نقض بني قريظة للعهد، إذ
قد صرحت الروايات بأنهم قد قالوا ذلك حين حفر الخندق، توقعا
لمجئ قريش والأحزاب، ثم قالوا بعد اشتداد الحصار. فلو سلمنا
لهيكل قوله ذاك، نقول له: ما هو المبرر لرعبهم قبل مجئ الأحزاب
ولم يكن ثمة ما يوجب الخوف إلى هذه الدرجة

---

(١) حياة محمد ص ٣٢٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ه. ق دار الكتب المصرية
(٢) سورة الأحزاب / ١٢ - ١٣

الثالث: إننا لا نوافق أن من حقهم أن يقولوا ذلك، حتى لو كان القائلون هم المؤمنون، وذلك لانهم قد رأوا من الآيات والخوارق والكرامات للنبي (صلى الله عليه وآله) وهم يحفرون الخندق الشئ الكثير. فكان من المفروض فيهم أن يتيقنوا بنصر الله سبحانه لهم، وبصدق ما أخبر به نبيهم الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن لم تكن تلك الكرامات تقتصر على مجرد التصور العقلي لهم. بل كانت تتعدى ذلك لتكون ممارسة حسية لكل فرد فرد منهم، كما كان الحال بالنسبة لاطعام أهل الخندق جميعا من وليمة جابر

الرابع: ان مراجعة الآيات القرآنية تعطينا: أن الذين زاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم حناجرهم، وظنوا بالله الظنون هم غير المؤمنين الذين كانوا ثابتين في حصون الايمان

لكن هؤلاء المؤمنين قد تأثروا من حالة إخوانهم، فوقعوا في البلاء والزلزال، فقد قال تعالى مخاطبا المسلمين

" إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا " (١)

فترى أنه تعالى قد تحدث عن المؤمنين بطريقة الحديث عن الغائبين، مع أنه لو كان المراد جميع المسلمين لكان السياق يقتضي أن يقول: " هنالك ابتليتم وزلزلتم "

أضف إلى ما تقدم: أنه لو كان الامر كذلك لم يقل: " هنالك

---

(١) الأحزاب / ١٠ و ١١

ابتلي " بل كان عليه أن يقول: وابتليتم. فكلمة " هنالك " تشير إلى أن الابتلاء للمؤمنين قد حصل حينما ظننتم بالله الظنون، وبلغت قلوبكم حناجركم

على أن من الواضح: أن ظن الظنون بالله لا ينسجم مع الايمان بل هو ينافيه. وقد تحدث تعالى عن المؤمنين فذكر انهم لم يظنوا الظنون هنا، بل زاد ايمانهم عمقا ورسوخا. فقال تعالى: * (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا ايمانا وتسليما. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا) *

بقي ان نشير هنا إلى أن المراد بابتلاء المؤمنين هو أن مسؤولياتهم أصبحت أكبر وأخطر من ذي قبل، وأصبحت كل المصائب والآلام الناتجة عن هذا الحصار، من انهزام المسلمين روحيا، والخوف على الذراري والنساء، وما صاحب ذلك من تحمل مشقات وجهد وسهر - ان ذلك كله - قد انصب على رؤوس ثلة قليلة مجاهدة صابرة، قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين أو حتى اليد الواحدة

إذ أن من الغني عن البيان: ان تحقيق وعد الله ورسوله لهم بالنصر، لا يعني أن لا يتحملوا المشقات والمصاعب والآلام الكبيرة وان لا يبتليهم بالمواجهات الخطيرة، التي تصل إلى درجة الاستشهاد بالنسبة إلى بعض الافراد، لان الوعد إنما هو للمجموع العام ولأهل هذه الدعوة بصفتهم العامة، وإن كان افراد كثيرون يستشهدون، أو يمتحنون بالمصائب والبلايا والرزايا

العقد المزعوم بين عيينة بن حصن:

قال ابن المسيب: " حصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه بضع عشرة حتى خلص إلى كل منهم الكرب.. إلى أن قال: فبينما هم على ذلك من الحال أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عيينة الخ " (١)

وذكر نص آخر: أنه بعد أن حوصر المسلمون، ونقض بنو قريظة العهد، وضاقت الأمور على المسلمين، وأحيط بهم، وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف: أن يرجعا، ويخذلا الاعراب، ولهما ثلثا ثمار المدينة - كما في بعض المصادر - لكن أكثر المصادر تقول: ثلث ثمار المدينة

زاد في نص آخر قوله: " فجرى بينهما المراوضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح " (٢)

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وراجع المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ وراجع المصادر التالية: العبر والديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والارشاد للمفيد ص ٥١ و ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١

وشاور صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فأبيا، وقالا: يا رسول الله، أشئ أمرك الله به فلا بد منه؟! أم شئ تحبه، فتصنعه، فنصنعه لك؟! أم شئ تصنعه لنا؟!

قال: بل اصنعه لكم، اني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة

فقال سعد بن معاذ: قد كنا معهم على الشرك والأوثان، ولا يطمعون منا بتمرة شراء ولا بيعا. فحين أكرمنا الله بالاسلام، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! والله، لا نعطيهم إلا السيف

فصلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١)

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: المصادر التالية: سيرة المصطفى ص ٤٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ و ٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وشرح نهج البلاغ للمعتزلي الشافعي ج ١٠ ص ١٨٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣١ وراجع: الارشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ / ١٥٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و ١٨١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و ١٠٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٠ و ٤٣١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٢ و ١٩٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ و ٣٦٨ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٣ / ٢٩٤

زاد البعض هنا قوله: " فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فان الله تعالى لن يخذل نبيه، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعدهم النصر من الله تعالى (١) " وترك ما كان هم به من ذلك " (٢)

وقد تفننت بعض الروايات في تصوير وقائع هذه القصة فهي تقول:

انه (صلى الله عليه وآله) أرسل إلى رئيسي غطفان: عيينة بن حصين والحارث بن عوف ان يجعل لهما ثلث ثمار المدينة، ويرجعان بمن معهما فجاءا متخفيين من أبي سفيان مع عشرة من قومهما إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فطلبا نصف ثمار المدينة، فأبى عليهما إلا الثلث فرضيا. فجرى بينه وبينهم الصلح، واحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصحيفة والدواة، واحضر عثمان بن عفان، حتى كتب كتاب الصلح، ولم يقع الاشهاد

وعند الواقدي المقريزي: أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان الصلح، وعبادة بن بشر على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقنع بالحديد

---

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٢ وراجع: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٢. ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨

(٢) بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و ١٨١

لما أرادوا ان يكتبوا الشهادة جاء أسيد بن حضير، فرأى عيينة
بن حصين قد مد رجله بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلم ما جاء له
فاقبل إلى عيينة وقال:
يا عين الهجرس، أتمد رجلك بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!
فوالله، لولا مجلس رسول الله لأنفذت جنبك بهذا الرمح
ثم اقبل بوجهه إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن كان هذا شيئا
أمرك الله به لا بد لنا من عمله، أو أمرا تحبه، فاصنع ما شئت، ما
نقول فيه شيئا. وإن كان غير ذلك، فوالله ما نعطيهم إلا السيف، متى
كانوا يطمعون مان؟!
فسكت النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يقل شيئا. وعلى حد تعبير الواقدي
فأسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
فدعى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فاستشارهما فيه (خفية)،
فقالا مثل ما قال أسيد (وأبوا اعطاء الدنية، فأمره النبي (صلى الله عليه وآله) بشق
الكتاب) فاعتذر (صلى الله عليه وآله) بأنه قد رأى العرب رمتهم عن قوس واحدة
إلى أن تقول الرواية: فتناول سعد، اي ابن معاذ الصحيفة
واخذها من عثمان فمحا ما في الكتاب، ومزق الكتاب
ثم تذكر الرواية محاورة بين عبادة بن بشر وعيينة. ثم ذكر
رجوع عيينة والحارث. وعلما: ان لا يد لهم في المدينة، لما رأوا من
اخلاص الأنصار، واتفاقهم مع رسول الله. ودخل في امرهما فتور
وتزلزل (١)

---

(١) راجع في النصوص المتقدمة لاختصار تارة وبإسهاب أخرى المصادر التالية:
تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ / ٤٨٦ والمغازي للواقدي ج ٢

وتشير بعض النصوص إلى دور لسعد بن الربيع أيضا (١)
نقاط ضعف في هذا الاتفاق:
لقد حفلت هذه القصة بنقاط ضعف كثيرة لا نرى ضرورة للتعرض لها بالتفصيل ونكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية
١ - التناقض والاختلاف:
اننا نلاحظ هنا: تناقض واختلاف نصوص هذه الرواية، الامر الذي يعني انه لا بد من استعباد طائفة من هذه النصوص حتى لا يبقى ثمة تناقض واختلاف فيما بينها. فليلاحظ مثلا اختلافها. في أنه (صلى الله عليه وآله) أعطاهما ثلث ثمار المدينة، أم ثلثين؟!
وهل كتب كتاب، ثم رفض السعدان أم رفضا ذلك قبل ان يكتب الكتاب. وهل استشارة السعدين، أم استشار السعود

ص ٤٧٧ و ٤٧٨ وفي تفصيلات لا مجال لايرادها. والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وتاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ و ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ وراجع: حول هذا العقد المزعوم أيضا: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٠ و ج ١٧ ص ١٩٩ وخاتم النبيين ص ٩٣٦ و ٩٣٢ و ٩٣٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ وسيرة المصطفى ص ٥٠٧
(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦

٢ - الحارث بن عوف:
وقد تقدم ان البعض ينكر مشاركة الحارث بن عوف في حرب الخندق، وإن كان الواقدي يصر على هذه المشاركة، فراجع فصل: الأحزاب إلى المدينة. فقرة: تحفظ تاريخي
٣ - سعد بن الربيع:
قد ذكرت بعض النصوص: انه قد كان لسعد بن الربيع دور في هذه القضية أيضا. مع أن سعدا هذا قد استشهد في حرب أحد، وهي قبل الخندق بزمان طويل، فراجع
٤ - استشارة السعود، واعطاء الدنية:
بعض النصوص تقول: ان عيينة بن حصين جاء مهددا متوعدا فهي تقول أنه قال يا محمد ناصفنا تمر المدينة، والا ملأتها عليك خيلا ورجالا
فقال حتى استأمر السعود: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن ربيعة وسعد بن مسعود
فكلمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك، فقالوا: لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام
فرجع الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد (١)
فما معنا هذا التهديد والوعيد من عيينة، ألم يملأها حتى الان خيلا ورجالا؟ وهل بقي عنده خيل ورجال غير هؤلاء لم يأت بهم لحرب محمد؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢

والملفت في هذا النص: ان جميع الذين يريد النبي (صلى الله عليه وآله) ان يستشيرهم اسمه سعد، فما هذه المصادفة العجيبة!! ألم يكن في الأنصار أحدا من رؤساء له اسم آخر؟

وامر ثالث يلفت النظر هنا وهو انه اعتبروا ان ذلك معناه اعطاؤه الدنية. فهل كان النبي بصدد ان يعطي الدنية للأعداء؟ ألم يكن يعلم أنهم يعطوها في الجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام؟!

٥ - المراوضة وكتابة الصلح

والامر الذي يصعب علينا تفسيره وهو انه كيف تمت كل هذه المراحل، من دون علم السعدين، أو السعود الأربعة، وغيرهم من زعماء الأنصار فالنبي (صلى الله عليه وآله) يرسل للأعداء ويستقدوهم، ويأتون إليه وتجري مراوضة في شأن الصلح، ثم يرسل النبي (صلى الله عليه وآله) وراء عثمان ويأتي، ويكتب الكتاب - كل ذلك يحصل، ولا أحد من زعماء الأنصار يعرف بشئ. حتى يرسل إليهم النبي، ويحضرهم فهل لم يكونوا يحضرون مجلس النبي، الا ان يحضرهم إليه النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه؟!

وهل صحيح انهم كانوا يغيبون عنه فترات طويلة هذا المقدار ولا سيما في حرب الخندق، التي يفترض فيما تواجدهم حوله باستمرار ليتلقوا الأوامر؟!

وكيف غاب جميع من كان رسول الله بحاجة إلى استشارتهم ولم يحضر ولا أحد منهم ولو صدفة. الا ان أسيد بن حضير حضر بصورة مفاجئة؟!

٦ - العجز والفشل:
ولا ندري بعد هذا كيف يقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمر لا يثق من قدرته على انجازه؟ أم يعقل: انه كان واثقا من ذلك ثم فوجئ بما احبط سعيه، وخيب امله؟!
٧ - رأي النبي ورأي غيره:
هل صحيح ان للنبي آراء يطلقها من عند نفسه، ولا تنتهي إلى الإرادة الإلهية؟! وكيف نفهم قوله تعالى: * (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) *؟!
أم أن هذه الآية تتحدث عن خصوص ما ينطق به من آي القرآن أو عن أمور يطلب منه تبليغها كالاحكام الشرعية، ونحوها؟! وكيف وبماذا نخصص الآية بما ذكر؟! وإذا سلمنا ذلك جدلا - فهل صحيح ان للنبي بعض الآراء التي يخطئ فيها، أم أنه ذو اجتهاد صواب دائما؟!
وبعد ما تقدم لا بد ان نسأل عن الوسائل التي يمكننا ان نفرق فيها بين ما هو رأي واجتهاد له، وبين ما يأتي به من قبل الله سبحانه
٨ - اتهام النبي (صلى الله عليه وآله):
ولا ندري أيضا: كيف نفسر قولهم للنبي: " أم شئ تحبه فتصنعه لك " فهل يتصورون أن النبي يمكن أن يقوم بعمل خطير كهذا لأنه يحب أن يصنع شيئا لنفسه دونهم؟! وهل هذه إلا إساءة أدب وسوء ظن خطير برسول الله (صلى الله عليه وآله) يصل إلى حد التهمة؟!
٩ - فصلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)

ويستوقفنا هنا قولهم: فصلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضعف أمام أعداءه، فبدأ يقدم لهم التنازلات ويعطيهم الامتيازات

إن نصا آخر ذكرناه آنفا يكاد يكون صريح الايحاء بان رسول الله صلى الله عليه وآله كان بصدد التخلي عن جهاد العدو، حيث يقول: " ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعدهم النصر من الله تعالى " وترك ما كان هم به من ذلك

١٠ - الاحتفاظ بسرية هذا العقد:

كيف استمر هذا الامر خافيا على أبي سفيان، وكيف لم يسر به النبي والمسلمون إلى مسامع زعيم قريش، ليكون مثار خلاف فيما بين زعماء الأحزاب أنفسهم، كما جرى لبني قريظة

فإنه إذا كان الامر بالنسبة لبني قريظة لم يبعد حدود الاعلام بهدف تدمير حالة الثقة القائمة بينهم وبين المشركين، فان الامر هنا أصبح أكثر واقعية، بعد أن قطع المتفاوضون مراحل واسعة باتجاه عقد الاتفاق، حتى لقد كتب الكتاب. وإن لم تقع الشهادة والصلح

إلا أن يقال: إن تسريب أمر خطير كهذا سوف يكون مضرا بالمسلمين، لأنه يعطي للمشركين انطباعا عن ضعف المسلمين وانهيار معنوياتهم، الامر الذي ربما يثير لدى قوى الشرك شهية مواصلة الحصار، ومضاعفة الضغوط للوصول بالمسلمين إلى حالة الانهيار الكامل

كما أن هذا التسريب لم يكن في صالح زعماء غطفان، لأنه

سوف يعقد العلاقات مع حلفائهم، ويثير لهم معهم مشاكل هم في غنى عنها
اما المنافقون، فلعلهم لم يجدوا في تسريب معلومات كهذه ما يخدم مصالحهم، أو يفيد في إخراجهم من الورطة التي يجدون أنفسهم فيها
١١ - أدب عيينة، وغيرة ابن حضير:
ولا يفوتنا الالماح إلى أن عيينة بن حصن بمد رجليه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يزجره النبي، ولا أحد من الصحابة الحاضرين ولا حتى عمر بن الخطاب، ولا أبو بكر، الذين لم نسمع لهما ذكر في هذه القضية ولا في غيرها إلا في مواقع ما كنا نحب ان نراهم فيها
والاهم من ذلك: أن عليا أيضا لا يعترض. ويبقى الجميع ينتظرون قدوم أسيد بن حضير ليقف هو فقط ذلك الموقف الغيور والنبيل والشجاع. حتى إنه يتهدد عيينة بأن ينفذ جنبه بهذا الرمح لولا احترامه مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله)
ولا بد من تسطير الفضائل لأسيد. هذا لأنه من المهاجمين لبيت فاطمة، ومن موطدي الامر لأبي بكر، والقائمين به. لما بينهما من قرابة. ولأمور أخرى لا مجال للإفاضة فيها الان
١٢ - فأسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
والأكثر غرابة هنا: ما ذكره الواقدي في هذا السياق من جرأة على مقام النبوة الأقدس. حين ذكر انه بعد ان قال أسيد بن حضير ما قال:
" فأسكت رسول الله "

يا لها من جرأة قاسية، وإهانة وقحة لنبي الاسلام، من قبل
أناس لا يرون الا مصالحهم، ولا يهمهم إلا تمشية سياساتهم، حتى
ولو على حساب كل القيم والمثل الاسلامية والانسانية
هذا كله عدا عن ظهور نبرات فيها ظلال ثقيلة من الاعتداد
بالنفس والتحدي في كلمات أسيد في مواجهة النبي الأكرم
صلى الله عليه وآله وسلم. فراجع كلماته وتأمل
هذا ما أحببنا الالماح إليه في هذا المجال، ولننظر الان ماذا
يقول الآخرون الذين يهتمون بالتبرير، ويبرعون في التصوير، فنقول
المساس بشرف الاسلام:
قد حاول البعض شرح ما جرى، بطريقته الخاصة، فهو يقول:
" على الرغم من المجاعة التي قاساها المسلمون، والضيق الذي ألم
بهم من جراء الحصار المتطاول، والسهر، والحراسة الموصولين، فقد
رأوا ان في القبول بمثل هذا الذل جرحا لكرامتهم
وقال الأنصار الذين عنتهم هذه المساومة المقترحة مباشرة: أنهم
لم يدفعوا أي جزية إليهم حتى في الجاهلية، فكيف يطيقون الاذعان
لهم، خاصة وان في الامر مساسا بشرف الاسلام نفسه " (١)
وليت شعري كيف يقدم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم
على أمر فيه مساس بشرف الاسلام؟! إلا أن يكون (صلى الله عليه وآله) لم يدرك أن
الامر ينطوي على المخاطرة بهذا الشرف الراسخ، والعز الباذخ؟! أو

---

(١) حياة محمد ورسالته ص ١٦٨

أن شرف الاسلام لم يكن يعنيه كثيرا، وكان يعنيهم هم وحدهم دونه؟!

استفادات وتوجيهات:

١ - لقد استفادوا من هذا الحدث فوائد وعوائد، فقد: قال أبو زهرة: " قد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين

اولهما: أن النبي (صلى الله عليه وآله) علم عزمة أصحابه، وأنهم يريدون لقاءهم

ثانيهما: أن ذلك أطمع غطفان ومن معهما من القبائل، والطمع إذا سكن حل العزيمة. وقد ترتب على ذلك الأطماع انهم تململوا بطول الحصار. وجرى بينهم وبين القرشيين خلاف، وهموا ان يعودوا من حيث جاؤوا " (١)

وقال: " إن ذلك يثير طمعهم، ويفت في عضدهم، وإن كان أمر الصلح لم يبت فيه، ولكن بابه مفتوح ولم يغلق " (٢)

وقال: إنه (صلى الله عليه وآله) أراد " أن يخذل المشركين بعضهم عن بعض بإثارة الطمع في بعضهم، فيتخلون عن باقيهم " (٣)

ولعل هذا هو ما يرمي إليه البعض، حين اعتبر ان هذا الصلح يهدف إلى " صرفهم عن قريش، ليفت ذلك في عضدهم، فيرجعوا أيضا

---

(١) خاتم النبيين ص ٩٣٣

(٢) خاتم النبيين ص ٩٣٦

(٣) خاتم النبيين ص ٩٣٢

" وقد تجلت حنكته السياسية في مساومته غطفان لزلزلتها عن موقفها إلى جانب قريش " (١)
وقال: " لما فاوض الرسول غطفان، وأطمعهم في ثلث غلة المدينة، ثم عدل عن ذلك، ورفضه، توهمت غطفان: ان مركزه قد تحسن، وانه مقبل على حرب الأحزاب واجلائهم
ومما زاد هذا الوهم تحقق غطفان من عدول بني قريظة عن مناصرة الأحزاب، وعزمها على تقديم سادات قريش وغطفان إلى الرسول ليقتلهم " (٢)
وثمة هدف آخر له (صلى الله عليه وآله) وهو انه كان يريد أن يطمئن إلى ما يتمتع به أصحابه من قوة معنوية واعتماد على نصر الله وتوفيقه، لأنه لم يكن يحب ان يسوق أصحابه إلى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة لخوضها، أو لا يؤمنون بجدواها، ولذلك عرض عليهم رأيه، وأبلغهم انه ليس تبليغا من الله تعالى (٣)
وبعد ان ذكر البعض: ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان " يعرف حق المعرفة: أن دوافع غطفان للغزو هي مادية فبل أي شئ آخر " (٤) قال:
" وقد حققت هذه المناورة السياسية أغراضها على الرغم من أنها لم تنته إلى اتفاق مكتوب كما علمنا، ذلك ان كل المصادر التاريخية تجمع: انه لم يكن لغطفان اي دور عسكري بعد هذه المقابلة التي

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١١٩ و ١٢٠
(٢) تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ١٢٠ هامش
(٣) فقه السيرة للبوطي ٣٠٠ - ٣٠١
(٤) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦

أكدت لهم اصرار رجال الثورة الاسلامية على القتال في سبيل عقيدتهم. ولكنهم ظلوا مرابطين في معسكراتهم حتى امرهم القائد أبو سفيان بالانسحاب وفك الحصار " (١)

٢ - واما بالنسبة للدلالات لهذا الحدث، فهم يقولون:

أ: إنها محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه (٢)

ب: إنها تدل أيضا على " جواز اعطاء المال للعدو لمصلحة المسلمين. وقد صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه، ذكره أبو عبيدة " قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف دينار (٣) "

ج: وزعم البعض ان هذا الحدث يدل على أنه يجب على المسلمين ان يدفعوا الجزية إلى غير المسلمين إذا اقتضت الحاجة.

وعلى جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم باقتطاع شئ من أرضهم أو خيراتهم لهم

وقد ناقش ذلك البعض بما حاصله:.

أولا: إن الرأي المعروض للاستشارة، لا يعتبر دليلا تشريعيا لان المقصود بالاستشارة مجرد استطلاع ما في النفوس، فهي ممارسة لعمل تربوي بحت. والذي يحتج به من تصرفاته (صلى الله عليه وآله) وأقواله هو

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٨

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠ - ٣٠٢

(٣) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ عن البغوي. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٥ والروض الانف ج ٣ ص ٢٧٨

خصوص ما لم يرد اعتراض عليه من كتاب الله تعالى. اما ما كان في حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلا بحال

ثانيا: " لسنا ندري ما الصلة بين الجزية، وما يمكن ان يتصالح عليه فريقان متحاربان

إن قلت: إن اضطر المسلمون - بسبب ضعف طارئ - إلى التخلي عن بعض أموالهم حفظا لحياتهم، وحذرا من استئصال شأفة المسلمين، أليس لهم ان يفعلوا ذلك؟!

فالجواب: ان قد تستلب أموال المسلمين، ويغنمها أعداؤهم ولكن ليس ذلك عن اختيار من المسلمين، ولا لأجل تشريع ذلك فتوائيا. وانما هو الجاء واكراه لهم. والأحكام الشرعية لا يخاطب بها المكره، ولا الملجأ، ولا الصبي ولا المجنون

بهذه الحالة التي هي من وراء حدود التكليف لا ينتزع فيها حكم تكليفي، يختار على أساس الرأي والمصلحة والمراوضة (١) "

هذا ما ذكره ذلك البعض هنا، ولنا فيه ومعه مناقشات ووقفات نجملها في النقاط التالية:

مناقشة سريعة:

أ: قول أبي زهرة: ان أطماع غطفان نشأ عنه تململهم بطول الحصار، لا ندري كيف نفهمه، إذا ما هو الربط بين اطماعهم، وبين تململهم

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠ - ٣٠٢

ب: كما أن ما ذكره من حدوث خلافات بين قريش، وبين غطفان لا ندري من أين جاء به، وعن اي مصدر نقل ذلك؟!

ج: هل كان النبي (صلى الله عليه وآله) جاهدا بعزمة أصحابه، وبمقدار استعدادهم للقاء عدوهم؟ انما لدينا من وصف دقيق لحالتهم، ومن نصوص سجلة لنا مواقفهم وتصرفاتهم لا تترك مجالا للشك في حقيقة النوايا، ودرجة استعداد عندهم للقاء عدوهم، سلبا أو ايجابا. ولا في مستوى القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله لدى أصحابه

د: ما معنى قوله إن أمر الصلح لم يبت فيه، وبابه مفتوح لم يغلق. ألم يغلق السعدان باب هذا الصلح.. وبتا الامر فيه؟!

ه: لا ندري كيف توهمت غطفان ان مركز النبي قد تحسن حين عدل عن الصلح، وهم قد رأوا بأم أعينهم بسبب العدول عن الصلح، وانه ضغوط تعرض لها، ورفض من أصحاب الثمار أنفسهم، ولم يطرأ أي شئ على الحالة العسكرية، ولا على التحالفات القائمة بين الفرقاء من كلا الجانبين.. فكيف تتوهم غطفان ان مركز النبي (صلى الله عليه وآله) قد تحسن إلى درجة انه مقدم على حرب الأحزاب واجلائهم

و: واما ان هذه المناورة قد جعلت غطفان تحجم عن الاضطلاع بأي دور عسكري خوفا من مقاومة المسلمين. ولكنه ظلوا في معسكراتهم حتى امرهم أبو سفيان بالانسحاب

فهو كلام عجيب غريب، فان دور غطفان العسكري لا يقل عن دور غيره فالكل يحاصرون المسلمين، والكل يتناوبون على

الخندق. وسيأتي حديث أم سلمة عن هجوم خيل غطفان على بعض نواحي الخندق. وان غطفان قد شاركت في الهجوم الشامل على المسلمين الذي فوت على المسلمين بعض صلواتهم كما سيأتي..

ز: الشورى فيما لا نص فيه:.

واما بالنسبة للشورى فيما لا نص فيه، فلا يصح استفادتها من هذا المورد إذ ان المفروض: انه (صلى الله عليه وآله) قد قضى في المورد بالصلح، فما معنا اعتراض أسيد بن حضير عليه؟! ونقض ما كان قد أبرمه؟!

ثم إن مبدأ الشورى انما يعمل به قبل اتخاذ القرار، فما معنى ان يستشير النبي (صلى الله عليه وآله) بعد اتخاذه القرار، واستقدام عيينة وأصحابه؟!

ح: ولا يصغى بعد هذا لما ذكره البوطي، من أن ما صدر من النبي لم يخرج عن حدود استشارة والرأي، فلا يعتبر دليلا تشريعيا على جواز اعطاء الجزية للمشركين

فان ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) كان أكثر من مجرد استشارة في هذا الامر، بل قد تعداه إلى استقدام عيينة، ثم استدعاء عثمان وكتابة الكتاب

ط: وأما بالنسبة لغنيمة الأعداء لأموال المسلمين بسبب ضعف طارئ، فإن ذلك لا يغير الحال، بل يبقى عنوان غنيمة أموال المسلمين بالكره عنه

ولو اضطروا لاعطاء الجزية، فإن اكراههم على ذلك لا يرفع عنوان الجزية عن اعطائهم ذاك. بل هي جزية سواء كان من يعطيها مختارا أو مضطرا لأجل الحفاظ على وجوده وحياته

ي: ثم إن البوطي قد خلط بين المكره والمضطر، فإن

الاضطرار إلى شئ لا يرفع الحكم التكليفي، والاكراه غير الاضطرار فطلاق المكره وهو الذي تخضع ارادته لإرادة الغير، لا يصح. أما طلاق المضطر، وبيعه، فلا إشكال فيه، كمن اضطر لبيع بيته بثمن زهيد لأجل علاج ولده

فالخلط بين المكره والمضطر في غير محله

المشورة وقيمة رأي النبي (صلى الله عليه وآله)

قال المعتزلي: " كيف يقول المرتضى: إنه صلى الله عليه وآله لم يكن محتاجا إلى رأي أحد، وقد نقل الناس كلهم رجوعه من رأي إلى رأي عند المشورة، نحو ما جرى يوم بدر من تغير المنزل لما إشارة عليه الحباب بن المنذر. ونحو ما جرى يوم الخندق من فسخ رأيه في دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم لأجل ما رآه سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة من الحرب، والعدول عن الصلح، ونحو ما جرى من تلقيح النخل بالمدينة، وغير ذلك " (١)؟!

ونقل عن الإسكافي في رده على الجاحظ قوله: " ولقد كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعته الأحزاب بثلث تمر المدينة، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه

وهذه كانت قاعدتهم معه، وعادته بينهم " (٢)

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي ج ١٧ ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ج ١٣ ص ٢٦٠

ونقول:
وقد ناقشنا في كل ما استشهد به المعتزلي والإسكافي حول تغير رأي النبي، وخطأه في آرائه في قصة تأبير النخل، ثم قصة مشورة الحباب في بدر فراجع. وقصة عيينة في الخندق قد ظهر عدم امكان قبولها بأي وجه، فلا معنى لاعتراض المعتزلي على السيد المرتضى فيما قاله

الصحيح والمقبول في هذه القضية:

ولا نمنع ان يكون ثمة عمل ذكي من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال اطلاق إشاعة عن أمر كهذا من شأنها ان تحدث فجوة في جدار الثقة الذي يحمي جسم جيش الشرك وصفوفه من التصدع تماما كما كان الحال بالنسبة لما فعله (صلى الله عليه وآله) بين قريظة وقريش وجيش الشرك كما سيأتي. ولكن الرواة حرفوا هذه القضية ونسجوا حولها من خيالهم الشئ الكثير، ثم استفاد المصطادون في الماء العكر من ذلك، فنفثوا سمومهم للنيل من الشخصية النبوية الشريفة. ثم لتبرير ما صدر من معاوية من عمل ذليل مخز، حين قبل ان يعطي ملك الروم مئة ألف دينار ذهبا ليتفرغ لحرب سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بهدف الاجهاز على آخر حصون الاسلام المنيعة، وإعادة حكم الجاهلية

بل لقد وجدنا في كلمات الزبير بن باطا ما يشهد على أن غطفان هي التي أرسلت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) تعرض عليه ان يعطيها بعض ثمار المدينة مقابل الانسحاب من المواجهة معه، فأبى (صلى الله عليه وآله) أن يعطيها إلا

السيف، يقول الزبير بن باطا وهو يحاول اقناع أصحابه بعدم طلب الرهن من قريش:
" وهذه غطفان تطلب إلى محمد ان يعطيها بعض ثمار المدينة فأبى ان يعطيهم إلا السيف " (١)

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ و ٥٤٤

الفصل الثامن:
الحصار والقتال:

بداية الحديث:
من الواضح: ان وجود الخندق قد أفشل خطة الأحزاب، وشل حركتهم، ولكنهم لم يفقدوا الأمل، فقد كان الأمل لا يزال يراودهم بامكانية ان يجدوا فرصة، ويحدثوا ثغرة تمكنهم من توجيه ضربة قاسية للوجود الاسلامي، ولو بالتعاون مع يهود بني قريظة، الذين يتواجدون في مؤخرة الجيش الاسلامي، مع علم المشركين بالحالة الصعبة التي كان يعاني منها المسلمون خصوصا من حيث التموين ووسائل الدفاع والصمود، مع وجود المنافقين الذين يمكن التعاون مع بعضهم أيضا لاحداث ارباكات خطيرة داخل الجيش الاسلامي
وقد تحدثنا في الفصل السابق عن معنويات كلا الجيشين بالإضافة إلى موضوعات أخرى، ونتحدث الان عن الحصار، وعن بعض الاحداث التي حصلت فيه، فنقول، وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد العون والقوة:
مدة الحصار:
قد تقدم ان المشركين أحاطوا بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبه، واخذوا بكل ناحية (١) وقد استمر هذا الحصار مدة طويلة. اختلف فيها المؤرخون وهل كانت خمسة عشرة يوما (٢) أو

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٩
(٢) راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ والتنبيه والاشراف ص ٢١٦ وراجع =

عشرين يوما (١)
أو أكثر من عشرين يوما (٢)
أو شهرا (٣) أو قريبا من شهر (٤)

= سيرة مغلطاي ص ٥٦ ومرآة الجنان ج ١ ص ٩ و ١٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ وبه جزم الواقدي، وابن سعد، والبلاذري، والنووي في الروضة والقطب وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وراجع بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وراجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٩١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن عقبة وراجع فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٠ و ٤٩٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤١٩

(٢) راجع هذا القول في شذرات الذهب ج ١ ص ١١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وفيه: بضع وعشرون. وكذا في إعلام الورى ص ٩١ وكذا في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ ومرآة الجنان ج ١ ص ١٠ لكن ظاهر عدد منهم: أنهم يتكلمون عن مدة ما قبل قتل عمرو بن عبد ود وكذا في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٩

(٣) التنبيه والاشراف ص ٢١٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ لكنه قال: ولم تكن حرب وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى =

أو تسعة وعشرين ليلة (١)
وقيل: سبعة وعشرين (٢)
ولعل أحدهما: (السبعة، والتسعة) تصحيف للاخر، فلا يخالفه
وبعض اخر يقول: أربعة وعشرين يوما (٣)
ونذكر أخيرا قول من قال: بضع عشرة ليلة أو يوما (٤)

= والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ وحدائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ و ج ٢ ص ٥٨٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ وراجع سعد السعود ص ١٣٨

(١) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢

(٣) سيرة مغلطاي ص ٥٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ والوفا ص ٦٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤

(٤) راجع: الوفا ص ٦٩٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والارشاد للمفيد ص ٥١ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ وتاريخ الاسلام للذهبي (الواقدي) ص ٢٣٨ الا ان يقال: إن ذلك ناظر إلى فترة ما

ونقول:
الصحيح هو ان الحصار قد دام شهرا كاملا بل أكثر، فقد قال ضرار بن الخطاب يوم الخندق في جملة أبيات له:

فأحجرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم في السلاح مدججينا (١)

أحجرناهم: حصرناهم. وشهرا كريتا: تاما كاملا
بل لقد ذكر عبد الله بن الزبعرى: ان مدة الحصار قد دامت أكثر من شهر، وبلغت أربعين يوما. فهو يقول:

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا * للموت كل مجرب قضاب
شهرا وعشرا قاهرين محمدا * وصحابه في الحرب خير صحاب (٢)

إذن، فلا يمكن قبول قولهم: ان الحصار دام مدة خمسة عشر يوما، أو عشرين أو بضع عشر ليلة، أو ما إلى ذلك

الحراسة:

وقد كانت الحراسة المستمرة واليقظة الدائمة من الأمور الضرورية. وكان المسلمون يقومون بها باستمرار. وكانت حراستهم

قبل المفاوضة على ثلث ثمار المدينة، أو ما قبل قتل عمرو بن عبد ود كما هو صريح عدد من المصادر الانفة الذكر. وإن كان ظاهر الواقدي وغيره خلاف ذلك

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦

تتركز على الأمور الرئيسية بالدرجة الأولى، وهي
١ - مركز القيادة (النبي صلى الله عليه وآله)
٢ - العسكر
٣ - الخندق
٤ - المدينة
٥ - الرصد لتحركات العدو
٦ - النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام
٧ - أبواب الخندق
وقد ذكرت هذه الأمور وغيرها من تفاصيل في النصوص
التاريخية، والحديثية، التي نختار منها ما يلي:
أ: قال النويري وغيره: " كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعث سلمة بن
أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة
ويظهرون التكبير. وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة
وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع غيره من
الأنصار، يحرسونه كل ليلة " (١)
وكانت المدينة تحرس حتى الصباح، يسمع فيها التكبير حتى

---

(١) نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧١ / ١٧٢ وراجع المصادر التالية: عيون الأثر ج ٢
ص ٥٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ و ٥ وإمتاع الأسماع
ج ١ ص ٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨

يصبحوا خوفا (١)
ب: وفي بعض المصادر: " وجعل المسلمون يتحارسون في عسكرهم " (٢)
ج: وقال النويري: " ورسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون وجاه العدو، لا يزولون، يعتقبون خندقهم ويحرسونه. والمشركون يتناوبون الخ... " (٣)
ويفصل لنا الواقدي ذلك فيقول: ان المسلمين كانوا " على خندقهم يتناوبون، معهم بضعة وثلاثون فرسا. والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه، يتعاهدون رجالا وضعوهم في مواضع منه إلى أن جاء عمر (ر ض) فقال: يا رسول الله، بلغني ان بني قريظة قد نقضت الخ... " (٤)
وتقدم انه (صلى الله عليه وآله) كان قد جعل للخندق أبوابا، وجعل على الأبواب حرسا
وقال الواقدي: " كانوا يطيفون بالليل حتى الصباح يتناوبون. وكذلك يفعل المشركون أيضا، يطيفون بالخندق حتى يصبحوا " (٥)
" ورسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧
(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣
(٣) نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧١ و ١٧٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨
(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧
(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤

الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه " (١)
وأسيد بن حضير كان يحرس في جماعة على الخندق أيضا (٢)
د: وتقول عائشة: " كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه
إذ أعجلهم الحال. وكان يخاف عليه عبور الأعداء منه. وكان
النبي (صلى الله عليه وآله) يختلف ويحرسه بنفسه. ثم تذكر قصة حراسة سعد بن أبي
وقاص لذلك الموضع في تلك الليلة (٣)
وكان النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه في الليالي يحرس بعض مواضع
الخندق (٤) وسيأتي حديث أم سلمة في ذلك في موضع آخر إن شاء الله
تعالى
ه: وكان عباد بن بشر - كما يدعون - ألزم الناس لقبة رسول
الله (صلى الله عليه وآله) يحرسها (٥)
وذكروا الزبير بن العوام في جملة من حرس النبي (صلى الله عليه وآله) يوم
الخندق (٦)

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨
(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وستأتي بقية المصادر حين الحديث عن
القتال، وتناوب المشركين على الخندق
(٣) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ / ٤٨٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤
(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وتقدم حديث عائشة في ذلك
(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وسبل
الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤
(٦) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٣ وقد اطلق
كلامه في أن الزبير كان حارس النبي (صلى الله عليه وآله) في الخندق وكذا في السيرة

بل جاء ان عباد بن بشر، والزبير بن العوام كانا على حرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١)

وقد ظهر من بعض النصوص المتقدمة: ان المسلمين كانوا يتناوبون الحراسة (٢) أو حراسة نبيهم (٣)

و: كان بنو واقف قد جعلوا ذراريهم ونساءهم في أطمهم وكانوا يتعاهدون أهليهم بانصاف النهار، فينهاهم النبي (صلى الله عليه وآله) فإذا ألحوا أمرهم (صلى الله عليه وآله) أن يأخذوا السلاح، خوفا عليهم من بني قريظة فإنهم على طريقهم (٤)

" وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع، حتى يدخلوا المدينة، ثم يذهبون إلى العالية (٥)

وقال (صلى الله عليه وآله) للنساء حين جعلهن في أطم بني حارثة: " إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف " (٦)

ز: حراسة العسكر ورصد العدو:

الحلبية ج ٣ ص ٣٢٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢١٧ والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عنهما وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وتقدمت نصوص أخرى أيضا

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥١ و ٤٧٤ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤

(٦) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن الطبراني، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩

أما بالنسبة لحراسة العسكر ورصد تحركات العدو، فان القمي يقول:

" كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه ان يحرسوا المدينة بالليل. وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم، فان تحرك أحد من قريش نابذهم

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش، حيث يراهم، فلا يزال الليل كله، قائما وحده يصلي، فإذا أصبح رجعة إلى مركزه

ومسجد أمير المؤمنين هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة " (١)

وقفات مع ما تقدم:

ونقول:

ان الحذر من العدو، وسد المنافذ في وجهه، وحرمانه من فرصة تسديد ضربة هنا وضربة هناك، بهدف ارباك صفوف الجيش الاسلامي، أو احداث ثغرات خطيرة فيه. وهو الذي كان بأمس الحاجة إلى التماسك والتقوي ببعضه البعض - إن ذاك - هو أولا مهمات القيادة الحكيمة والواعية، التي تريد ان تصل إلى أهدافها بأقل قدر ممكن من الخسائر، وأعلى درجة من الانضباطية والانسجام

ومن الواضح: ان الأساليب الأمنية التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتهجها كانت ولا تزال كسائر أفعاله، وأقواله، ومواقفه

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ عنه

مصدر إلهام، لكل المؤمنين والواعين، الذين رأوا في هذا النبي الكريم أسوة وقدوة لهم. في كل الحالات والظروف

وقد تمثل النشاط الامني للمسلمين في غزوة الخندق - بعد ايجاد الموانع الطبيعية، التي يصعب على العدو اختراقها مثل حفر الخندق. وتشبيك سائر المنافذ بالبنيان - في الأمور التالية:

١ - جعل الحرس على أبواب الخندق، بطريقة يصعب على العدو ايجاد مواضع نفوذ فيها، حين جعل الحرس من فئات شتى، ومتنافسة يرقب بعضهم بعضا، حيث اختار من كل قبيلة رجلا لهذه المهمة، كما تقدم بيانه

٢ - ان من الواضح: ان جعل الحرس في نقاط ثابتة ربما يهئ للعدو فرصة للتخطيط للنفوذ الداخل، بطريقة يتحاشى معها الصدام بنقاط الحراسة، أو حتى امكانية التفاتها إلى حقيقة ما يجري فكانت الطريقة الأفضل والأمثل هي ان تنضم إليها دوريات للحراسة غير خاضعة لقيد الزمان ولا المكان. الامر الذي يضيع على العدو الحساس بالمن والنجاح والفلاح في أية محاولة يبادر إليها، ويقدم عليها. فكان (صلى الله عليه وآله) يبعث بالحرس على المدينة خوفا من بني قريظة، وكان يتجولون فيها، ويظهرون فيها التكبير

٣ - بديهي ان التعرض للنساء يمثل ضربة روحية قاسية للمسلمين والمقاتلين، الذي قد يصل إلى درجة الاحباط لدى البعض، ويدفع البعض الاخر إلى التحرك بصورة غير واعية، ولا مسؤولة، الامر الذي يؤثر على درجة الانضباط والتماسك

والنبي (صلى الله عليه وآله) يعرف: ان العدو لن يتأخر عن تسديد ضربة في هذا الاتجاه لو سنحت له الفرصة، ويعتبر ذلك من الاهداف

الاستراتيجية والهامة له. فكان تجميع النساء والأطفال في الآطام من شأنه ان يسهل أمر حمايتهم من اي اعتداء، مع كونه يهئ للمسلمين جوا من الطمأنينة وتمركزا في مواضع الاهتمام والتحرك لودهم أمر..
كما أنه لا بد من الاحتياط للامر، وعدم الاكتفاء بالحراسة الثابتة والمتنقلة. فوضع فيما بينه وبين النساء رمزا يمكن الاستفادة منه لافشال أية محاولة تستهدفهن وحين يرين ان الحالة الأمنية غير مؤايتة، مع عدم وجود أحد يمكن الاعتماد عليه في المواجهة ودفع غائلة العدو
قال (صلى الله عليه وآله) لهن: " ان لم يكن أحدا فالمعن بالسيف "
ويلاحظ هنا: انه (صلى الله عليه وآله) قد اعتمد في الأسلوب، ولم يطلب منهن الصراخ والاستغاثة ونحوها مما يمثل إثارة عاطفية للمقاتلين والمسلمين، وقد نشأ عنها حالة من التضعضع والإرباك وانشغال الخواطر إلى درجة الاخلال بالنشاط الحربي المطلوب، في مواجهة احزاب الشرك في الجهة الأخرى
٤ – وغني عن القول أخيرا: ان بني واقف كانوا يخطئون في ترددهم إلى أهليهم بانصاف النهار بلا سلاح، وقد يطمع ذلك العدو فيهم، وقد يفاجؤهم العدو وهم على غير استعداد فتقع الكارثة
أضف إلى ذلك أنه لا بد من الابتعاد عن النساء والأطفال في أيام الحرب، لان ذلك يثبط من عزائم المقاتلين ويشدهم إلى الأرض
ويمنعهم من السمو في تفكيرهم وفي طموحاتهم وتصبح التضحيات واقتحام الأهوال، والصبر على المكاره أكثر صعوبة عليهم، وأشد وقعا على نفوسهم، ويهيؤهم نفسيا للابتعاد عن مواطن الخطر، أو التعب والضرر، ولو كان ذلك بتوطين أنفسهم على مواجهة عار

الهزيمة، وخزي عصيان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٥ – ونلمح في النص المتقدم اصرارا من بني واقف على زيارة نسائهم وعوائلهم في الأطم الذي كانوا فيه رغم نهي النبي (صلى الله عليه وآله) لهم وربما يكون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بحمل السلاح يرمي إلى الايحاء غير المباشر لهم بأجواء الحرب، والاحتفاظ بدرجة من الاستعداد الروحي والنفسي لها، بالإضافة إلى أن ذلك هو مقتضى العمل بالحيطة والحذر وهما الأمران المطلوبان في ظروف كهذه بالصورة أكيدة وقاطعة. ولا أقل من أن ذلك يفيد في نطاق التعليم والتأسي لكل من يأتي بعده صلى الله عليه وآله وسلم
٦ – والاهم من ذلك هو حراسة العسكر، الذي كان يتولاه علي عليه السلام، هذا العسكر الذي كان بأمس الحاجة إلى بعض الشعور بالأمن والراحة في هذه الأجواء المثقلة بالهموم والشدائد، والمشحونة بالخوف الذي يصل لدى الكثيرين إلى حد الرعب. حتى لقد بلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون الباطلة والسيئة
ولقد كانت لدى حركة في اي موضع في أطراف ذلك العسكر كفيلة باحداث ارباك خطيرة في ذلك العسكر كله
فكانت هذه الحراسة ضرورية لهذا الجيش، الذي يطمئن إلى أنه لن يؤخذ والحال هذه على حين غرة، بل هناك من يبصر له وينذره في الوقت المناسب
٧ – وكان لا بد من رصد جيش الأعداء أيضا، لان حراسة المعسكر، وإن كانت تعطي قدرة إلى حد ما على التصدي، إلا أن معرفة تحركات العدو، وحجمها، واتجاهها في وقت مبكر يعطي هو الاخر، فرصة أكبر من مواجهة بالأساليب وبالمستوى الملائم، ويمنع

من العجلة والتشويش في اتخاذ الاجراءات المؤثرة في دفع غائلة هذا العدو
وكان علي عليه السلام، يقوم بدور الراصد لكل تحركات الأعداء، وكان هو العين الساهرة في المواقع المتقدمة في خط المواجهة. التي لم يكن يجرؤ عليها أحد سواه، كما ظهر من تجربة المسلمين مع عمرو بن عبد ود
٨ - وبعد، فرغم ان الله قد وفق لبقاء المسجد الذي يشهد لجهاد وتضحيات علي عليه السلام، وكان هذا المسجد معروفا، ويقصده المؤمنون للصلاة فيه، فإننا لا نكاد نجد لعلي عليه السلام ذكرا في هذا المجال
ولا ندري إن كان هذا المسجد قد استطاع ان يصمد طويلا امام حقد الحاقدين على كل ما يمت لعلي وأهل بيته بصلة، حتى انتهى ميراث هذا التجلي الوقح والغبي إلى من يطلق عليهم اسم: الوهابيين الذين لا تزال تظهر في كلماتهم وفي أفعالهم بوارد كثيرة تدل على حقد وكراهية وامتهان، ليس فقط لقدسية علي وأهل البيت عليه وعليهم السلام، بل وحتى لمقام النبوي الأقدس بالذات
وقد أسلفنا بعضا مما يشير إلى ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب. ولا باس بمراجعة الجزء الثالث من كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، وبحث: إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم.
فضائل موهومة لسعد ولعائشة:
رووا عن عائشة ما ملخصه: إنه كان في الخندق موضع لم

يحسنوا ظبطه، إذ أعجلهم الحال، وكان (ص) يختلف إليه ويحرسه بنفسه، خوفا من عبور المشركين منه.
ورجع مرة من الخندق. وكانت تدفئه عائشة في حضنها - فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة.
قالت: فبينا رسول الله في حضني قد دفئ، وهو يقول: ليت رجلا صالحا يحرس الليلة هذا الموضع (أو قال: يحرسني. أو: يحرس هذه الثلمة الليلة)، إذ سمع قعقعة السلاح، فقال: من هذا؟!
قال: سعد بن أبي وقاص.
فأمره أن يحرس هذا الموضع: فذهب سعد يحرسه، فنام النبي (ص) حتى نفخ. وكان إذا نام نفخ (١).
ونقول:
إننا نشك في صحة هذه القصة، ونعتقد أن المقصود بها هو تسجيل فضيلة لسعد، ولعائشة على حد سواء. وسبب شكنا هو ما يلي:.
أولا: إذا كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، فلماذا لا يبادرون إلى ضبطه، وما المبرر لان يترك ليكون مصدر خوف للمسلمين من عبور المشركين منه.

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ / ٤٨٥. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩ / ٢٣٠.

مع أن سلمان حين رأى مكانا يمكن أن تطفره الخيل، قال لاسيد بن حضير، بعد أن ردوا عمرو بن العاص الذي كان في حوالي مئة رجل يريدون العبور من ذلك الموضع، قال سلمان لاسيد:

" إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم، وكان الناس عجلوا في حفره. وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق. وأمنوا أن تطفره خيلهم " (١).

فلماذا يبادر سلمان للامر باصلاح ذلك الموضع، فيتم ما أراده في ليلة، ولا يبادر النبي (ص) إلى مثل ذلك؟!.

وثانيا: لماذا يتمنى (ص): " أن يأتي رجل صالح ليحرس ذلك الموضع في تلك الليلة " ألم يكن بإمكانه أن يأمر جماعته بحراسة ذلك الموضع؟! والناس كلهم تحت امره، ورهن إشارته؟!.

وثالثا: حين كان يرجع إلى عائشة لتدفئه في حضنها!! من الذي كان يحرس تلك الثلمة؟! فلو أن العدو استطاع أن يتسلل منها في ذلك الوقت ألم يكن النبي (ص) هو الذي فرط في هذا الامر، تسبب به؟!.

ولا نريد أن نسجل تحفظنا على دعوى: أن عائشة كانت تدفئ النبي (ص) في حضنها!!.

ولا على حديث: أنه (ص) نام حتى نفخ. وكان إذا نام نفخ!!

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠.

نساء النبي في غزوة الخندق:
يقول البعض: " كان النبي يعقب بين نسائه، فتكون عائشة أياما. ثم تكون أم سلمة. ثم تكون زينب بنت جحش.
فكان هؤلاء الثلاث اللاتي يعقب بينهن في الخندق. وسائر نسائه في أطم بني حارثة، ويقال: كن في " المسير " (النسر) أطم في بني زريق، وكان حصنا. ويقال: كان بعضهن في فارع، وكل هذا قد سمعنا " (١).
ونقول:.
إننا نشك في صحة ذلك.
أولا: لقد صرحت أم سلمة بقولها: " كنت مع رسول الله (ص) في الخندق فلم أفارق مقامه كله. وكان يحرس الخ... " (٢).
ثانيا: لا يمكننا أن نقبل بأن يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترجيح وميل لبعض زوجاته على حساب البعض الاخر، إذ لماذا يعقب بين خصوص هؤلاء: دون سائر زوجاته.
ولم نسمع أن إحداهن تنازلت عن حقها لرفيقاتها في غزوة الخندق، وإن كان ذلك محتملا في حد ذاته.
والذي نظنه: أنه لو صح حديث ذلك البعض، فالسبب في ذلك هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن عنده سوى هؤلاء الثلاث،

---

(١) المغازي للواقدي ج (٢) ص ٤٥٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤.
(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤.

بالإضافة إلى سودة بنت زمعة، التي كانت مسنة، وكانت قد وهبت ليلتها إلى عائشة. فلا بد من مراجعة تاريخ زواجه (ص) بزوجاته. ونظن أن النتيجة ستكون هي ما ذكرناه. فمن أراد التوسع فعليه أن يقوم بذلك.

المواجهة بين الفريقين:

" وأمر رسول الله صلوات الله عليه وآله المسلمين بالثبات في مكانهم، ولزوم خندقهم... ونظر المشركون إلى الخندق فتهيبوا القدوم عليه، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم، وخيلهم، ورجلهم. ويدعون المسلمين:.

ألا هلم للقتال والمبارزة.

فلا يجيبهم أحد إلى ذلك. ولا يرد عليهم فيه شيا، ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله صلوات الله عليه وآله، قد عسكروا في الخندق، وأظهروا العدة، ولبسوا السلاح. ووقفوا في مواقفهم.

وتهيب المشركون أن يلجوا الخندق عليهم.

فلما طال ذلك، ونفذت أكثر أزوادهم، اجتمعوا الخ (١).

ثم يذكر ما جرى لعمرو بن عبد ود.

القتال بين المسلمين والمشركين:

تقول النصوص التاريخية.

---

(١) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٢ ملخصا.

" وصار المشركون يتناوبون، فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدوا هبيرة بن أبي وهب يوما، ويغدوا عكرمة بن أبي جهل يوما، ويغدوا ضرار بن الخطاب يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويفترقون مرة، ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله (ص)، أي يقربون منهم، ويقدمون رجالهم فيرمون.

ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة.

ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصا (١) ". وذكر البعض: أن ذلك كان في أكثر الأيام (٢).

" وكان المشركون يتناوبون الحرب، لكن الله تعالى لم يمكنهم من عبور الخندق، فإن شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والأحجار " (٣) واستمر الامر على ذلك " حتى عظم البلاء، وخاف الناس

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧١ / ١٧٢ وراجع المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

والفقرة الأخيرة موجودة أيضا في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ والارشاد للشيخ المفيد ص ٥١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن كثيرة ج ٣ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ عن ابن إسحاق.

(٢) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٣.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

خوفا شديدا " (١).
لكن البعض يذكر: أن الحرب كانت " ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة ولا مبارزة " (٢) سوى ما كان من قتل الفرسان الذين عبروا الخندق.
وكان أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق، فراماهم المسلمون حتى رجعوا (٣).
وفي مرة أخري: كان عمرو بن العاص في نحو الماءة يريدون العبور من الخندق من مكان تطفره الخيل، فراماهم أسيد بن حضير، ومن معه من الحرس بالنبل والحجارة حتى ولوا.
وكان مع المسلمين في تلك الليلة سلمان، فقال لاسيد: إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم. وكان الناس عجلوا في حفره.
وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم (٤).
" وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد كثيرا ما يطلبان غرة

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.
(٢) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.
(٣) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠.
(٤) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠.

ومضيقا، من الخندق يقتحمانه، فكان للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي " (١).

وقال ضرار بن الخطاب:

نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم في السلاح مدججينا (٢)

" ثم إن خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين، يطلب غرة للمسلمين، أي غفلتهم، فصادف أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين، فناوشوهم. أي تقاربوا منهم ساعة، وكان في أولئك المشركين وحشي، قاتل حمزة رضي الله عنه، فزرق الطفيل بن النعمان، فقتله.

ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل، يطمعون في الغارة، أي في الاغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف " (٣).

لكن صاحب تجارب الأمم يقول. تفرق ذلك الجمع من غير قتال إلا ما كان من عدة يسيرة اتفقوا على الهجوم على الخندق، يحكى: ان فيهم عمرو بن عبد ود فقتلوا (٤).

إلا أن يكون المراد: أنه لم يكن قتال بالسيوف والرماح، أما الرمي بالنبل والحصا فليس محط نظره.

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٤) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣.

ملاحظة:
وقبل أن نمضي في الحديث نلفت نظر القارئ إلى هذا الاهتمام الظاهر بإبراز دور أسيد بن حضير، الذي قلنا: إن السياسة كانت تهتم بشأنه، وتعمل على تكريس وتكديس الفضائل له، مكافأة له على هجومه على بيت فاطمة، وقيامه بدور فاعل في تشييد خلافة قريبه أبي بكر.
كلام العلامة الحسني:
وذكر العلامة الحسني: أن المشركين ألفوا ثلاثة كتائب لمحاربة المسلمين، فأتت كتيبة أبي الأعور السلمي من فوق الوادي، وكتيبة عيينة بن حصن من الجنب، ووقف أبو سفيان ومن معه في الناحية الثانية من الخندق (١).
لكننا قدمنا في فصل: الأحزاب إلى المدينة: أن أبا الأعور لم يكن له أي دور في الخندق. وأن أباه وهو الذي شارك فيها.
روايات مشبوهة
عن محمد بن مسلمة قال: كنا حول قبة رسول الله (ص) نحرسه، ورسول الله (ص) نائم نسمع غطيطه إذ وافت أفراس على سلع، فبصر بهم عباد بن بشر، فأخبرنا بهم. قال: فامضي إلى الخيل. وقام عباد على باب قبة النبي (ص) آخذا بقائم السيف ينظرني. فرجعت فقلت: خيل المسلمين أشرفت عليها سلمة بن أسلم بن

---

(١) سيرة المصطفى ص ٤٩٩.

حريش، فرجعت إلى موضعنا.
ثم يقول محمد بن مسلمة: كان ليلنا بالخندق نهارا حتى فرجه الله (١).
وعن محمد بن مسلمة: أن خالد بن الوليد تلك الليلة أقبل في مئة فارس، من جهة العقيق حتى وقفوا بالمذاد وجاه قبة النبي (ص) فنذرت بالقوم، فقلت لعباد بن بشر - وكان على حرس قبة النبي (ص) وكان قائما يصلي - أتيت، فركع، ثم سجد. وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم، فأسمعهم يقولون: هذه قبة محمد، إرموا. فرموا، فناهضناهم حتى وقفنا على شفير الخندق، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر. فترامينا، وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم.
ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم، والمسلمون على محارسهم. فكلما نمر بمحرس نهض معنا طائفة، وثبت طائفة، حتى انتهينا إلى راتج، فوقفوا وقفة طويلة، وهم ينتظرون قريظة، يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم يحرس. قد أتت من خلف راتج. فلاقوا خالدا فاقتتلوا واختلطوا، فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت إلى خيل خالد مولية. وتبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء.
فأصبح خالد وقريش وغطفان تزري عليه وتقول: ما صنعت شيئا في من في الخندق، ولا في من أصحر لك.

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.

فقال خالد: أنا أقعد الليلة، وابعثوا خيلا حتى انظر أي شئ تصنع " (١).

ونقول: إن هذه الرواية موضع ريب وشك، لان إصحار سلمة بن أسلم ومن معه لخالد ومن معه واختلاطهم بهم يصعب تصديقه، لان عبور سلمة وأصحابه إلى الجانب الآخر من الخندق أو مجيئهم من خلف راتج، من طرف الخندق، إلى جهة المشركين ينطوي على مخاطرة كبرى لما فيه من تعريض أنفسهم للابادة الحتمية على يد ألوف المقاتلين من المشركين الذين كانت تعج بهم المنطقة.

ويلفت نظرنا هنا: أن الرواية لم تشر إلى مبادرة خالد لمطاولة هذه الجماعة القليلة، ثم طلب المدد من الجيش الذي هو أحد قواده. وقد كان عليه أن ينتهزها فرصة ذهبية نادرة ليلحق بالمسلمين نكبة هائلة ومروعة.

ثم إن تلك الرواية قد تحدثت عن أن خالدا كان في مئة فارس، ولكنه حين أراد أن يرمي قبة النبي (ص) كان في ثلاثة نفر هو رابعهم. وحين ترامى خالد وأصحابه، ومحمد بن مسلمة وأصحابه أين كان عنه أصحابه، حتى يقول الراوي - وهو محمد بن مسلمة - وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم.

وما معنى قوله: ثم اتعبوا الخندق على حافتيه وتبعناهم. فهل كان خالد وأصحابه على حافتي الخندق، الامر الذي يعني أن خالدا ومن معه قد عبروا الخندق إلى جهة المسلمين، أو العكس.

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦.

ثم إننا لا ندري مدى صحة هذه الرواية التي لم يروها لنا إلا محمد بن مسلمة، الرجل الذي كانت تهتم السلطة في اعطائه الأدوار الحساسة، لأنه كان من أعوانها. ولكن الغريب في الامر: أننا نجد المؤرخين لم يعيروا هذه الرواية أي اهتمام رغم أهمية وحساسية المعلومات التي تدعيها فيما يرتبط بحرب الخندق.

دعوى قتل طليعة للنبي:

وعن مالك بن وهب الخزاعي: أن رسول الله (ص) بعث سليطا وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب، فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء التفت عليهما خيل لأبي سفيان، فقاتلا حتى قتلا، فأتي بهما رسول الله (ص)، فدفنا في قبر واحد.

فهما الشهيدان القرينان (١).

ونحن نشك في صحة ذلك. لما يلي:

أولا: بالنسبة لسنده، قال البزار: " لا نعلم روى مالك إلا هذه " (٢).

وقال: الهيثمي: " فيه جماعة لم أعرفهم ". وقريب من ذلك عند

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٢ / ٣٣٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٧ عن أبي نعيم وأبي موسى والإصابة ج ٣ ص ٣٥٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٥.

(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٣.

العسقلاني (١).
وثانيا: إن من الواضح: أن سفيان بن عوف الأسلمي وهو الغامدي، هو الذي كان يغير علي أطراف علي، ويرتكب الجرائم، ويهتك الحرمات، وقد ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " وان أخا غامد إلخ.. " وكان من قواد معاوية الأساسيين، وكان يعظمه. وقد مات سنة اثنتين أو ثلاث، أو أربع وخمسين (٢).
ولنا أن نحتمل أن تكون دعوى صحابية سفيان هذا قد جاءت لأجل اعطائه بعض المصونية والشأن الرفيع، حفاظا على سيدة معاوية من جهة، وإضعافا لموقف علي من جهة ثانية، وتبريرا لمواقفه المخزية، وجرائمه الخطيرة التي ارتكابها بحق المسلمين الذين أغار عليهم وقتلهم، وهتك حرماتهم من جهة ثالثة.
حديث أم سلمة
عن أم سلمة قالت: كنت مع رسول الله (ص) في الخندق، فلم أفارقه مقامه كله. وكان يحرس بنفسه في الخندق. وكنا في قر شديد، فإني لأنظر إليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في قبته، ثم خرج فنظر ساعة، ثم قال: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق، من لهم؟.
ثم نادى: يا عباد بن بشر.
قال: لبيك.

---

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ والإصابة ج ٣ ص ٣٥٨.
(٢) راجع: الإصابة ج ٢ ص ٥٦ وراجع: تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٨٣ - ١٨٥ وغير ذلك من كتب التراجم.

قال: أمعك أحد؟.
قال: نعم، أنا في نفر أصحابي حول قبتك.
قال: فانطلق في أصحابك، فأطف بالخندق، فهذه خيل المشركين تطيف بكم، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة. اللهم ادفع عنا شرهم، وانصرنا عليهم. وأغلبهم، لا يغلبهم غيرك.
فخرج عباد في أصحابه، فإذا هو بأبي سفيان في خيل المشركين يطيفون بمضيق الخندق، فرماهم المسلمون بالحجارة والنبل، فرجعوا منهزمين.
ثم جاء عباد إلى النبي فوجده يصلي، فأخبره: قالت أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطه (١).
ويستوقفنا في هذا الحديث: ١ - قول أم سلمة أنها كانت مع رسول الله في غزوة الخندق.
وأنها لم تفارقه فيها أصلا. وهذا يكذب ما يقوله البعض: من أنه (ص) كان يعقب بينها وبين عائشة وزينب بنت جحش.
٢ - عبارة أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطه. لا ندري مدى صحة حصول الغطيط منه (ص)، ونحن نتوقع منه خلاف ذلك. فان الغطيط من المنفرات التي يتنزه عنها النبي.
٣ - قولها: وكنا في قر شديد. قد تقدم في الفصل الأول ما يوجب الشك في هذا الامر.

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤. ولا بأس بمراجعة: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ و ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

٤ – لا ندري كيف لم يلتفت عباد بن بشر ومن معه إلى خيل المشركين وهي تطيف بالخندق، وكيف رآها النبي (ص) دونهم؟ فهل علم (ص) ذلك عن طريق الوحي؟! إن ظاهر الرواية هو أنه (ص) علم ذلك بواسطة عينه الباصرة.

٥ – أين كان سائر المسلمين عن حراسة خندقهم، ألم يكونوا يتناوبون عليه يحرسونه، ويطوفون به.

لكن ذلك لا يعني أن تكون الرواية كاذبة من أساسها، فلعل النبي (ص) قد نبه المسلمين لمحاولة تسلل من المشركين لم يكونوا قد التفتوا إليها، لانشغالهم بحديث فيما بينهم.

حديث آخر ينسب لام سلمة:

عن أم سلمة قالت: والله، إني لفي جوف الليل في قبة النبي (ص)، وهو نائم إلى أن سمعت الهيعة، وقائل يقول: يا خيل الله (وكان رسول الله قد جعل شعار المهاجرين: يا خيل الله) ففزع (ص) بصوته، وخرج من القبة، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها منهم عباد بن بشر. فقال (ص) ما بال الناس؟

قال عباد: يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة نوبته، ينادي: يا خيل الله، والناس يثوبون إليه، وهو من ناحية حسيكة، ما بين ذباب ومسجد الفتح.

فأمر (ص) عبادا أن يأتيه بالخبر. فذهب ثم رجع إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين، معه مسعود بن رخيلة في خيل غطفان، والمسلمون

يرامونهم بالنبل والحجارة.
قالت: فدخل (ص) فلبس درعه ومغفره وركب فرسه، وخرج معه أصحابه، حتى أتى تلك الثغرة، فلم يلبث ان رجع وهو مسرور، فقال: صرفهم الله، وقد كثرت فيهم الجراحة.
ثم دخل (ص) فنام، فسمعوا هائعة أخرى، فانتبه (ص) فأخبروه أنه ضرار بن الخطاب فلبس (ص) درعه ومغفره وركب فرسه إلى تلك الثغرة، وعاد في وقت السحر، وهو يقول: رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة (١).
ونقول:
قد يمكن للبعض أن يشكك في صحة هذه الرواية، على اعتبار: أن الروايات الأخرى قد تحدثت عن هزيمة عمر بن الخطاب أمام ضرار، وأنه كاد أن يقتله، ثم كف عنه، لأنه كان لا يقتل قرشيا قدر عليه، كما سيأتي.
كما أن الطبري وغيره يذكرون: أنه قد اختبأ هو وطلحة وغير هما في بستان إبان حرب الخندق. كما سيأتي عن قريب.
ولكن هذا التشكيك يمكن دفعه بأن عمر لم يواجه حربا بنفسه هنا، بل واجهها بغيره، أي بواسطة المسلمين الذين تصدوا للمشركين، وليس بالضرورة أن يصل به الرعب والخوف إلى حد الهزيمة من ساحة الحرب، حتى حين يكون المتحاربون هم الآخرون.
غير أن ما يلفت نظرنا هنا هو ما نراه بوضوح من محاولات

---

(١) راجع المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦ و ٤٦٧ وراجع إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥.

جادة لإيجاد دور ما لاشخاص بأعيانهم، كان لهم دور سلطوي بعد وفاة رسول الله (ص)، أو دور في تركيز دعائم السلطة بعده (ص) أو مناوأة آل أبي طالب بشكل أو بآخر. فنجد الاهتمام بإبراز دور ما لأبي بكر، ولعمر، وللزبير، ولمحمد بن مسلمة، ولسلمة بن أسلم، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير.

والمطلع على تاريخ هؤلاء يجد أنهم كانوا على العموم من المناوئين لعلي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنهم من هو من أركان الحكم وأعوانه، أو من المشاركين في الاعتداء على الزهراء حين قيامهم بعدة هجمات على بيتها صلوات الله وسلامه عليها.

إصابة سعد بن معاذ بسمهم:

ويذكر المؤرخون: أنه كان للمشركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرقين، أو مجتمعين بين أيديهم وهم حبان بن العرقة، وأبو أسامة الجشمي في آخرين.

فتناوشوا يوما بالنبل ساعة، وهم جمعيا في وجه واحد، وجاه قبة رسول الله (ص). ورسول الله (ص) قائم بسلاحه على فرسه، فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله. وقال: خذها وأنا ابن العرقعة. فقال رسول الله (ص): عرق الله وجهك. بالنار (أو قال له سعد نفسه ذلك). ويقال: بل رماه أبو أسامة الجشمي، وقيل: خفاجة بن عاصم (١).

---

(١) راجع النص المتقدم في إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨ و ٤٦٩ وراجع قسما مما تقدم في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧

وقال سعد: اللهم إن أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وأخرجوه وكذبوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.
وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية (١).

والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ وراجع ص ٢٤١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٦ / ٢٠٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ و ١٧١ ودلائل النبوة ص ٤٣٦ والعبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٤١ و ٤٤٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٠٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ ودلائل النبوة ص ٤٣٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٠ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وراجع مسند أحمد ج ٦ ص ١٤١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وصحيح البخاري ج ٣

أضاف البعض هنا قوله: فلما قال سعد ما قال انقطع الدم (١).

حديث عائشة حول سعد:

وتقول عائشة - كما روي - إن ابن معاذ مر عليها، وهي في الحصن، حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة - وذلك قبل أن يفرض علينا الحجاب (٢) - وعليه درع مقلصة قد خرجت منها أذرعه كلها. وفي يده حربة يرقد (يرقل) بها، وهو يقول:

لبثت قليلا يشهد الهيجا حمل * ما أحسن الموت إذا حان الاجل

فقالت له أمه: الحق بني فقد - ولله - أخرت.

فقالت لها عائشة: والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه. قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.

فقالت أم سعد: يقضي الله ما هو قاض.

فقضى الله أن أصيب يومئذ (٣).

ص ٢٣.

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٢٨ و ج ٣ ص ٤٤١.

(٢) هذا العبارة ذكرها الواقدي، والديار بكري، وابن سيد الناس، وابن هشام، وابن كثير، والكلاعي، وابن إسحاق والبيهقي فراجع / الهامش التالي.

(٣) راجع فيما تقدم - وان اختلفت في بعض الألفاظ - المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٥ و ٢٦٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢

ونقول: إننا نرجح أن يكون أبو أسامة الجشمي هو الذي قتل ابن معاذ، وذلك.

أولا: لان بعض المصادر تذكر لأبي أسامة الجشمي أبياتا فيها أنه هو الذي رمى سعدا فأصابه، فقد قال قال مخاطبا عكرمة، ومشيرا إلى قتله سعدا:

اعكرم هلا لمتني إذ تقول لي * فداك بآطام المدينة خالد
الست الذي ألزمت سعدا مريشة * لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبه منها سعيدا فأعولت * عليه مع الشمط العذارى النواهد

الأبيات (١).

ثانيا: ذكرت الروايات: أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يوم أحد حبان بن العرقة بسهم فوقع في ثغرة نحره (أو في نحره) فوقع على ظهره وبدت عورته، فضحك (ص) حتى بدت نواجذه.

فهل عاش حبان من جديد؟ أو لم يمت من سهم أصابه في نحره!! - وعاش - حتى رمى سعد بن معاذ في اكحله في الخندق (٢)؟.

ص ٢٤٠ والروض الانف ج ٢ ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠ / ٤٤١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧ و ٢٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٠١ ط دار الكتب العلمية.

إلا أن تكون قصة أحد قد صنعها محبوا سعد بن أبي وقاص لاثبات فضيلة له، وذلك عن هؤلاء غير بعيد، فقد رأيناهم يفعلون ذلك في كثير من المواضع. ثم سرعان ما ينسيهم الله ذلك، فتظهر الحقيقة على ألسنتهم من جديد، ويكذبون أنفسهم من حيث لا يشعرون.

الاختلاف في من قاتل سعد بن معاذ:

وأما الاختلاف في قاتل سعد بن معاذ، فهو يعود - فيما يظهر لنا - إلى أن اللذين كانوا يرمون باتجاه سعد والمسلمين كانوا أكثر من واحد، فاختلطت السهام، واستطاع كل منهم أن يدعي لنفسه؟ أنه تمكن من قتل سيد قبيلة الأوس في المدينة وهو - باعتقادهم - شرف عظيم أراد كل منهم أن يخص نفسه به. مع أنه في الحقيقة غاية الخزي والعار، لو كانوا يعلمون.

سعد في خيمة رفيدة:

وأمر (ص) بنقل سعد حينما جرح إلى خيمة رفيدة التي كانت أقامتها في مسجد النبي (ص) لمداواة الجرحى. زاد القمي قوله: وكان يتعاهده بنفسه (١).

---

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٥٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٧ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ عن البغوي والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٢١ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٩١.
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٣ وتاريخ الاسلام للذهبي

ونستفيد من ذلك: إمكانية أن تتولى المرأة مداواة الجرحى.
وقد تحدثنا عن ذلك بشئ من التفصيل في كتابنا: الآداب الطبية في الاسلام، فنحن نرجع القارئ الذي يريد التوسع إليه.
إصابة أبي بن كعب في اكحله:
وتذكر بعض الروايات عن جابر: أن أبي بن كعب، رمي يوم الأحزاب على اكحله، فكواه رسول الله (ص). وعنه أي عن جابر: بعث رسول الله (ص) إلى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا، ثم كواه عليه (١).
ونحن نتساءل عن السبب الذي لم يقدم لأجله النبي على معالجة سعد بن معاذ، بهذه الطريقة حتى يشقى. أم أنه عالجه، لكن لم يفده العلاج لان جراحته تختلف عن جراحة أبي؟!
هل فر عمر وطلحة في غزوة الخندق؟
والذي يثير فينا العجب هنا أننا نجد عائشة تروى لنا ما يدل على

(المغازي) ص ٢٦٧ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٢ ولإستيعاب بهامش الإصابة ج ٤ ص ٣١١ والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٨٧ والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ١١٣ و ج ١ ص ٤٦٢ و ٤٥٣ / ٤٥٤ والإصابة ج ٤ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ عن ابن إسحاق، وعن البخاري في الأدب المفرد. وفي التاريخ بسند صحيح والمستغفري، وأبي موسى.
(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن مسلم. كذا في المشكاة.

فرار جماعة من الصحابة في حرب الخندق، واختبائهم في حديقة هناك. قال الطبري: " حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر، قال حدثنا محمد بن عمرو. قال: حدثني أبي عن علقمة، عن عائشة قالت:

خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فوالله إني لامشي إذ سمعت وئيد الأرض خلفي - يعني حس الأرض - فالتفت فإذا أنا بسعد، فجلست إلى الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس - شهد بدرا مع رسول الله (ص)، حدثنا بذلك محمد بن عمرو - يحمل مجنه، وعلى سعد درع من جديد، قد خرجت أطرافه منها، قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم.

قالت: فأنا أتخوف على أطراف سعد، فمربي، يرتجز ويقول:

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل * ما أحسن الموت إذا حان الاجل

قالت فلما جاوزني قمت، فاقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له - قال محمد: والتسبغة: المغفر لا ترى الا عيناه - فقال عمر: إنك لجرية، ما جاء بك؟ ما يدريك؟ لعله يكون تحوز، (تحرف) أو بلاء.

فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها، فكشف الرجل التسبغة عن وجهه: فإذا هو طلحة.

فقال: إنك قد أكثرت. أين الفرار، وأين التحوز (التحرف) إلا إلى الله عز وجل (١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٥ و ٤٣٦ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ١

نقول:
إن طلحة يتضايق من جهر عمر بالفرار أمام عائشة. ثم لما رأى أنه يكرر ذلك لها. يستنكر أن يكون هذا فرارا، ويعتبره فرارا إلى الله عز وجل.
ونلفت النظر هنا: إلى تجاهل جل المؤرخين لهذه الرواية، رغم أنهم يرون في الطبري المثل الاعلى لهم، وهم ينقلون عنه ويعتمدون عليه. ولعله هو بالإضافة إلى سيرة ابن هشام، يأتي على رأس القائمة في أي مراجعة للسيرة، أو تسجيل أي حدث، أو موقف منها.
كما أننا لا نستبعد: أن تكون هذه هي القضية الصحيحة، لا قضية عائشة مع أم سعد.
ثم إننا لا ننسى أن نسجل هنا تساؤلا يبقى حائرا، وهو أنه كيف سوغت عائشة لنفسها أن تخرج من الحصن الذي وضعها النبي (ص) فيه، مع خطورة الموقف وحساسيته المتناهية، ومع عدم إذن النبي (ص) لها بذلك، إذ لو كانت مأذونة منه (ص) لاحتجت به على عمر، ولم تصبر على هذا التفريع المر الذي واجهها به، حتى إنها لتود أن تنشق لها الأرض، فتدخل فيها.
ولعل مما يؤيد فرار الكثيرين يوم الخندق: ما سيأتي في حديث حذيفة حينما أرسله النبي (ص) لكشف خبر قريش، حيث ذكر أنه لم يبق مع النبي سوى اثني عشر رجلا فقط (١).

ص ٢٨٤ والطبقات الكبرى ج ٣ قسم ٢ ص ٣ كنز العمال ج ١ ص ٢٨٠ عن ابن عساكر.
(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصححاه ودلائل

والرواية الأخرى تقول: إن الناس تفرقوا ولم يبق من العسكر غير ثلاثة مئة (١).

من بطولات سعد:

ويقولون: " كان يوم الخندق رجل من الكفار معه ترس، وكان سعد راميا. وكان الرجل يقول كذا بالترس، يغطي جبهته، فنزع له سعد بسهم، فلما رفع رأسه رماه سعد لم يخطئ هذه منه، يعني جبهته، فانقلب وأشال برجله، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه، يعني من فعله بالرجل " (٢).

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك.

أ: إن الذين قتلوا من المشركين معروفون. وستأتي أسماؤهم، وأسماء الذين قتلوهم. وهم عمرو بن عبد ود، وولده حسل. وقد قتلهما علي أمير المؤمنين عليه السلام. ونوفل بن عبد الله، قتله علي عليه السلام أيضا، وقيل. بل قتله الزبير، وسيأتي أنه غير صحيح. ومنبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه. أصابه سهم غرب فمات منه بمكة. وسيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب. فأين ذلك الرجل الذي قتله سعد بسهم؟!.

النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩ / ٢٥٠.

(١) سيأتي ذلك في الفصل الأخير من هذا الباب.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ عن الترمذي في الشمائل.

إلا أن يقال: إنه اصابه في جبهته، وانقلب وأشال برجله، لكنه لم يمت.

ب: إن هذه الرواية هي – تقريبا – نفس الحكاية التي تحكى لسعد مع حبان بن العرقة في غزوة أحد. إلا أنها ذكرت: أن هذا كان يتلاعب بترسه، فرماه سعد في جبهتة.

وقد أشرنا غير مرة إلى أننا نجد اهتماما خاصا بتسطير الفضائل لسعد لتعويضه عن فراره في المواطن. ولرد الجميل له على مواقفه المؤيدة للسلطة التي اغتصبت مقام الخلافة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أشرنا ال ذلك في غزوة أحد حين الكلام عن بطولات سعد الموهومة، فراجع.

بطولات وهمية للزبير:

روى البيهقي من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال:

جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم (يعني حصنا) ومعي عمر بن أبي سلمة، فجعل يطأطئ لي، فأصعد على ظهره، فأنظر إليهم كيف يقتتلون. أطأطئ له فيصعد فوق ظهري، فينظر. قال: فنظرت إلى أبي، وهو يحمل مرة هاهنا، ومرة هاهنا، فما يرتفع له شئ إلا أتاه.

فلما أمسى جاءنا إلى الأطم. قلت: يا أبه، رأيتك اليوم وما تصنع.

قال: ورأيتني يا بني؟!.
قلت: نعم.
قال: أما إن رسول الله قد جمع لي أبويه. قال: فدا لك أبي وأمي (١).
ونقول:
قد قدمنا في فصل: غدر بني قريظة: أن عبد الله بن الزبير كان آنئذ طفلا صغيرا جدا، ولم يكن بحيث يمكن أن يصدر منه ذلك فقد كان عمره أقل من سنتين على ما يظهر - فراجع ما قدمناه.
هذا بالإضافة إلى أننا لم نفهم معنى لما يدعيه ابن الزبير من حملات لأبيه هنا، وحملات هناك، ونحن نعلم أن ذلك لم يحدث في الخندق، بل الذي كان هو المراماة بالنبل والحصا في بعض الأحيان.
أما قضية المبارزة فإنما كانت بين علي وعمرو بن عبد ود، كما سيأتي.
هذا بالإضافة إلى أن هذا الحديث زبيري سندا ومتنا، ولم نجد من روى لنا هذه المواقف البطولية للزبير في حرب الأحزاب.
قدامة بن مظعون في حرب الخندق:
" عن نافع، عن ابن عمر، قال: بعثني خالي عثمان بن مظعون

---

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ و ٤٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ / ٢٠٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.

لاتيه بلحاف. فأتيت النبي (ص)، فاستأذنته - وهو بالخندق - فأذن لي، وقال لي:
من لقيت منهم فقل لهم: إن رسول الله (ص) يأمركم أن ترجعوا.
قال فلقيت الناس فقلت لهم... إلى أن قال ابن عمر: والله ما عطف علي منهم اثنان أو واحد " (١).
ونقول: أ: إن هذه الرواية موضع ريب، لان عثمان بن مظعون، قد توفي قبل الخندق بزمان، فإنه أول من مات بالمدينة من المهاجرين. وذلك بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.
وقد احتمل البعض أن يكون المقصود هو قدامة بن مظعون فراجع (٢).
ب: قد يقال: إن هذه الرواية تدل على أن طائفة من الناس قد فروا يوم الخندق، وفقا لما تقدم من فرار جماعة فيهم عمر وطلحة، وقد اختبأوا في حديقة هناك، فاكتشفتهم عائشة. وسيأتي أيضا: أن الناس قد تفرقوا عن النبي حتى بقي في ثلاث مئة. بل في اثني عشر رجلا كما في رواية القمي والحاكم في المستدرك بسند صححه هو والذهبي.
لكن قد يجاب عن ذلك بأن من الممكن أن تكون الرواية ناظرة

---

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩ بإسناد صحيح عن الطبراني.
(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦.

إلى حالة المسلمين لما بلغهم فرار المشركين، فإنهم تركوا النبي وقصدوا المدينة لا يلوون على شئ. وسيأتي ذلك في آخر فصل: نهاية حرب الخندق.

إلا أن هذا الجواب لا يكفي، إذ لا معنى لطلب النبي من الناس الرجوع إلى مواقعهم، بعد ذهاب الأحزاب.

ج: إن هذه الرواية تشير إلى أنه قد كان ثمة دقة في التنظيم، وهيمنة قيادية، قد فرضت عدم تغيب أي عنصر مشارك في الحرب الا بإذن من الرسول مباشرة، الامر الذي يتيح للقيادة أن تبقى على اطلاع تام بحجم وفعالية القوة التي تعمل تحت قيادتها، فتتمكن من التخطيط الدقيق والسليم وفي نطاق وحدود القدرات المتوفرة لديها.

والاسئذان هذا كان من الجميع حتى من المنافقين لاعذار مختلفة.

القتال بين المسلمين وبين بني قريظة:

قد ذكرت النصوص التاريخية عدة موارد يقال: إنها حصلت فيها مناوشات فردية بين المسلمين واليهود. وذكرت أيضا حوادث محدودة في نطاق التدبير العسكري فيما بين الفريقين.

بالإضافة إلى تحركات عامة في دائرة التفاهم لشن هجوم مشترك على المسلمين. ونذكر هذه الأمور في ضمن النقاط التالية:

ألف: التفكير بمباغتة المدينة:

قال الديار بكري: " واستعان بنو قريظة من قريش ليبيتوا المدينة فعلم به النبي (ص) – فبعث سلمة بن الأسلم في مائتي رجل، وزيد بن

حارثه في ثلاث مئة رجل حتى حرسوا حصون المدينة ومحلاتها " (١).
ويفصل ذلك البعض، فيقول: همت بنو قريظة أن يغيروا على
بيضة المدينة ليلا، فأرسلوا حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم منهم
الف رجل، ومن غطفان الف فغيروا بهم.
فجاء الخبر بذلك رسول الله (ص)، فعظم البلاء،. بعث سلمة
بن أسلم في مئتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون
المدينة، ويظهرون التكبير. ومعهم خيل المسلمين، فإذا أصبحوا
أمنوا.
فكان أبو بكر يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني
قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان. ولقد كنت أوفي على سلع،
فأنظر إلى بيوت المدينة، فإذا رأيتهم هادين حمدت الله عز وجل،
فكان مما رد الله به بني قريظة عما أرادوا: أن المدينة كانت
تحرس " (٢).
ونقول:
إنه ربما يستفاد من قوله تعالى: (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أن بني قريظة قد تحركوا لقتال المسلمين، أو
لمحاصرتهم. أو عملوا على ذلك بطريقة أو بأخرى.
هذا ولم تذكر لنا الرواية سبب عدم استجابة قريش وغطفان

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.
(٢) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٦٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ و ٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

لطلب بني قريظة، ولا الطريقة التي علم بها رسول الله بإرسال بني قريظة تلك الرسالة إلى الأحزاب.

كما أننا لا نكاد نطمئن إلى أن النبي (ص) لم يبادر إلى حراسة المدينة إلا بعد أن علم بعزمهم على تبييت المدينة، فإن النبي لم يكن ليغفل عن حراسة المدينة من أول يوم خرج فيه لحفر الخندق ومواجهة الأحزاب بل من أول ساعة.

أضف إلى ذلك كله: أن تخصيص خمس مئة مقاتل لحراسة المدينة، أي ما ربما يزيد على نصف جيش المسلمين، ثم الاكتفاء بالنصف أو بأقل من ذلك - حسبما تقدم عن عدة المسلمين - ليواجهوا جيش الأحزاب - ان هذا - قد يكون أمرا مبالغا فيه. لعله كان يرسل مئتين على التناوب، فتارة يرسل سلمة وتارة يرسل زيدا، وهكذا.

ب: قصة خوات بن جبير واليهودي:

وبعث (ص) خوات بن جبيز لينظر غرة لبني قريظة، أو خللا من موضع، فكمن لهم، فنام، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم. فأفاق، فعرف أن حامله طليعة لبني قريظة، فأمكنه الله من الرجل وقتله، ولحق بالنبي (ص) وأخبره، بعد أن كان (ص) قد عرف بالقضية من جهة جبرئيل (١).

ونقول:

إننا لا ندري لماذا يفضل ذلك اليهودي حمل عدوه على ظهره؟!

ولا يبادر إلى قتله، والتخلص منه. والذي نعلمه في حالات كهذه هو

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ و ٤٦١.

أن يكون نوم من ينام قلقا وغير مستقر، حتى إن النائم ليتنبه لأدنى حركة أو لمسة له، ونجد أن هذا اليهودي يحمل هذا النائم ويرفعه إلى كتفه ولا يشعر به.

ثم كيف عرف خوات بن جبير أن حامله طليعة لبني قريظة؟!

هذا ما لم تصرح لنا الرواية به.

وإذا أغمضنا النظر عن ذلك، فإن اهتمام النبي بالعمل الاستخباري في حروبه ظاهر للعيان.

ولكن طلب الغرة لبني قريظة والخلل من موضع، انما يتناسب مع التخليط لمهاجمتهم، وذلك لم يكن متيسرا، أو فقل لم يكن مطروحا للتداول به والتخطيط له في غزوة الخندق.

فلعل رسول الله (ص) كان يمهد لغزوهم حين فراغه من الأحزاب، فكان ارسال الطلائع تمهيدا لذلك.

ج: تحركات، وتحرشات:

وخرج نباش (ولعل الصحيح: شاس) بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم،

فرموهم حتى هزموهم (١).

ومر سلمة في من معه، فأطاف بحصون يهود، فخافوه، وظنوا: أنه البيات.

ومن الواضح: أن هؤلاء اليهود لا يشكلون خطرا جديا على

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢.

المسلمين، إلا من حيث أنهم طليعة للعدو وتريد أن تحصل على معلومات تفيد في توجيه ضربة عسكرية للمسلمين، أو من حيث أنهم يريدون الحصول على مكاسب مادية، لظنهم أن المسلمين في غفلة عن بعض المواقع التي يمكنهم التسلل إليها للحصول على ما يمكن الحصول عليه منها.

أو من حيث إحداث بلبلة في صفوف المسلمين، حين يشعرون أن نساءهم في معرض خطر أكيد من قبل الأعداء.

ومن الملفت للنظر أيضا هذا الرعب من قبل اليهود لمجرد رؤيتهم سلمة بن أسلم يطيف بحصونهم، مع أنهم يظنون أنهم مانعتهم حصونهم.

د: قتل مغامر: روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن رافع بن خديج قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي (ص) النساء والصبيان والذراري فيه

وقال لهن: إن لم يكن أحد فألمعن بالسيف. فجاءهن رجل من بني (ثعلبة) حارثة بن سعد، يقال له نجدان. أحد بني جحاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول لهن: أنزلن إلي خير لكن.

فحركن السيف، فأبصره أصحاب رسول الله (ص)، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له: ظفر بن رافع. فقال: يا نجدان أبرز. فبرز إليه، فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى

النبي (ص) (١).
ولنا ملاحظة على هذا النص، وعلى نص سابق شبيه به، وهو أنه (ص) قد قال لهن: إن لم يكن أحد فألمعن بالسيف، فهل هذا يعني: أن يلمعن بالسيف لايهام الأعداء وجود أسلحة معهم؟!
الجواب: قد يكون لا، لان هذا لو صح لكان الأنسب أن يقول لهن، فالمعن بالسيوف، إلا أن يكون المقصود هو جنس السيف، لا السيف الواحد.
والظاهر أنه (ص) يريد أن يلمعن بالسيف لو تعرضن لأي هجوم من الأعداء ليعرف المسلمون بالامر، لينجدوهم بالرجال. ومعنى ذلك هو أن موضع النساء كان قريبا من جيش المسلمين، وفي مقابلهم.
كما أن هذه الطريقة لن تنفعهم إلا في وقت النهار، وحيث تكون السماء صافية والشمس طالعة لا مطلقا. إذ في الليل وحيث لا شمس لا يلمع السيف.
صفية وحسان بن ثابت واليهودي:
روى الزبير بن العوام: أن صفية كانت في حصن فارع (وفي نص آخر: في حصن حسان بن ثابت) مع نساء النبي (ص). وكان معهن حسان بن ثابت، فرقى يهودي الحصن حتى أشرف عليهن، فقالت صفية: يا حسان قم إليه حتى تقتله. وفي نص آخر: ان اليهودي جعل يطوف بذلك الحصن. فخافت صفية أن يدل على عورة الحصن.

---

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء عن الطبراني ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ / ٣٠٢ عن الطبراني وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٤.

قال: لا والله، ما ذاك في، ولو كان في لخرجت مع رسول الله (ص).
قالت صفية: فاربط السيف على ذراعي. ثم تقدمت إليه حتى قتلته، وقطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس وارم به على اليهود.
قال: وما ذاك في.
فأخذت الرأس فرمت به على اليهود. فقالت اليهود: قد علمنا: انه لم يك يترك أهله خلوفا، ليس معهم أحد.
ويذكر نص آخر: أنها طلبت منه أنه يسلبه فرفض.
ونص آخر يذكر: أنها قتلته بواسطة عمود. وفي غيره: قتلته بفهر. وتذكر رفض حسان لسلبه، ولا تذكر حديث قطع رأسه (١).

---

(١) راجع المصادر التالية: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ عن البزار. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥ عن ابن إسحاق، والواقدي، وأبي يعلى، والبزار بسند حسن عن الزبير، بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلا وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦ وأسد الغابة ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء، والهيثمي، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ ومسند أحمد والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ وأمالي الشيخ الطوسي ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٥ والاكتفاء للكلاعي، ٢ ص ١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وغرر الخصائص الواضحة ص ٣٥٨.

وقد " زاد أبو يعلى: فأخبر بذلك رسول الله (ص) فضرب لصفية بسهم، كما يضرب للرجل " (١).
لكن نصا آخر يقول: إن غزال بن سموأل أقبل مع عشرة من اليهود نهارا فجعلوا يستترون ويرمون الحصن. " وقد حاربت قريظة، ورسول الله (ص) في نحر العدو، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتاهم آت " (٢).
ونقول:
يلفت نظرنا في هذه الرواية أمور عدة، نذكر منها:
ألف: جبن حسان:
قال البلاذري والواقدي: " كان حسان رجلا جبانا " (٣).
وقال ابن الأثير: " كان حسان من أجبن الناس حتى إن النبي (ص) جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق (٤) ".

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وسيرة المصطفى ص ٥٠٥ و ٥٠٦ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ وراجع: الاكتفاء ج ٢ ص ١٧١.
(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.
(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥ وراجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٦.

وقال الحلبي: " وهذا يدل على ما قيل: إن حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم " (١).
وقد صرحوا بأن حسانا لم يشهد مع رسول الله (ص) مشهدا قط لأنه كان جبانا (٢).
وكان حسان ضاربا وتدا في ناحية الأطم، فإذا حمل أصحاب النبي (ص) على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف، وإذا أقبل المشركون ترك الوتد كأنه يقاتل قرنا. كان يرى أنه يجاهد جبنا عن القتال (٣).
وقال الإسكافي: " لو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف، وترك الحرب وان ذلك يشاكل فعل النبي، لكان أوفر الناس في الرياسة، وأشدهم لها استحقاقا حسان بن ثابت " (٤).
و " قال ابن الكلبي: كان حسان بن ثابت لسنا شجاعا، فأصابته علة، أحدثت فيه الجبن، فكان لا ينظر إلى قتال ولا يشهده " (٥).
وقالت صفية: " كنت أعرف انكشاف المسلمين وانا على الأطم برجوع حسان إلى اقصى الأطم " (٦).

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧.
(٢) المعارف ص ٣١٢ ط سنة ١٩٦٠ م وغرر الخصائص الواضحة ص ٣٥٨ وأسد الغابة ج ١ ص ٦.
(٣) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.
(٤) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٢.
(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.
(٦) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٦ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٨٨.

وكلام ابن الكلبي هذا يدل على عدم صحة ما رد به السهيلي وغيره على هذا بحجة أنه لو صح أنه كان جبانا لهجاه به الشعراء، لأنه كان يهاجيهم كضرار وابن الزبعري. فلعل حسان - لو صح أنه كان مع النساء في الأطم - كان معتلا بعلة منعته من شهود القتال (١).

أضف إلى ذلك: أن المؤرخين قد حكموا على حسان بالجبن بصورة مطلقة معللين ابقاءه مع النساء بذلك، الامر الذي يظهر منه أن جبنه كان معروفا لديهم، لا أنهم استندوا في ذلك إلى خصوص هذه الرواية.

وأما لماذا لم يعير الشعراء حسانا بالجبن، فقد قال الزرقاني: " إن ابن إسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند متصل حسن كما علم، فاعتضد حديثه. وقال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة لأنه شاعره (ص) (٢) ".

ونزيد نحن على ذلك: أن هجاءهم لحسان لا مبرر له، وإنما هم يردون هجاء الاسلام، ورسول الاسلام، وجماعة المسلمين، ولا يهمهم حسان كشخص من قريب ولا من بعيد.

وهذا بالذات هو ما يطغى على شعرهم المتبادل فيما بينهم.

---

(١) راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.

(٢) هامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ تحقيق الأبياري، والسقا، وشلبي.

ب: قصة حسان في الخندق أم في أحد:
وقد رويت قصة جبن حسان، وقتل صفية لليهودي في غزوتي أحد والخندق معا (١).
وقد تقدمت هذه الرواية في غزوة أحد أيضا.
ونرجح أنها كانت في الخندق لان اليهود إنما غدروا في الخندق (٢). وهذا هو ما رجحه السمهودي أيضا استنادا إلى ذلك، والى أن الطبراني قد روى بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلا: أنها كانت في الخندق، وممن ذكر القصة في الخندق ابن إسحاق أيضا (٣).
ج: تأثير هذه القضية على اليهود
قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن قتل صفية لليهودي قد جعل اليهود يعتقدون: أن النبي قد جعل أناسا لحماية النساء والذرية، وليحفظوا مؤخرة الجيش عن أن تتعرض لأي عمل حربي، حيث قالت اليهود: إنه لم يك يترك أهله خلوفا، ليس معهم أحد.
وذكر في نص سابق، أن عشرة من اليهود، " جعلوا يستترون ويرمون الحصن، ورسول الله (ص) في نحر العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتانا آت ".

---

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٨٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥ / ١٦.
(٢) وفا الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.
(٣) المصدران السابقان.

ولكننا نشك في صحة ذلك، إذ قد كان ثمة حرس للمدينة يبلغ حوالي خمس مئة مقاتل. وقد كان يكفي لرد هؤلاء العشرة عشرة مثلهم، فضلا عن المئات.

ثم إن وصول عشرة من بني قريظة إلى مكان قريب من الجيش الاسلامي وفي قبال ذلك الجيش مع احتمالهم أن يكون ثمة حرس يعتبر مجازفة منهم، لا نرى أن اليهود يقدرون عليها.

وقلنا: إن موضع النساء قريب من جيش المسلمين، لان النبي كما تقدم قد طلب من النساء أن يلمعن بالسيف إذا تعرضن لأي مكروه.

فلماذا لم يلمعن بالسيف كما صنعن في قصة أحد بني جحاش، الذي تم التخلص منه بهذه الطريقة بالذات.

إلا أن يكون الناس في ذلك الوقت قد شغلتهم الحرب حتى لا يستطيع أحد منهم، ولا حتى مفرزة صغيرة بمقدار خمسين فارسا: أن تنجد النساء والأطفال.

ونحن لا نظن أن النبي (ص) لم يحسب حسابه لساعات كهذه، وترك الامر يتطور إلى أن يصل إلى هذه الدرجة من الخطورة.

ولهذا فنحن نعتقد: أن هذه مبادرة من صفية رحمها الله لمواجهة رجل تسلل إلى موضع قريب، وقد نجحت في المهمة التي أحبت أن تبادر لانجازها، ثم زاد الآخرون ما شاؤوا على ذلك إكراما لولدها الزبير،

ولآل الزبير، ولعل هذه الزيادات لا تبعد كثيرا

عن نشاطات عروة ونظرائه ممن يسيرون في نفس الخط الذي هو فيه.

د: ربط السيف على الذرع وتناقض الرواية:
ولا ندري كيف يربط السيف على الذراع، ولا ندري أيضا كيف يمكن تفسير هذه الاختلافات والتناقضات لنصوص هذه الرواية، فإن ذلك مما يضعف وثوقنا بها أيضا.
غنيمة المسلمين من المشركين:
وقال أبو سفيان لحيي بن أخطب: قد نفدت علافتنا فهل عندكم من علف؟!.
فقال حيي: نعم.
فكلم كعب بن أسد، فقال: مالنا مالك، فأرسل المشركون إليهم عشرين بعيرا، فحملوها لهم شعيرا، وتمرا وتبنا، وخرجوا بها إلى قريش، فلما كانوا بصفنة. وهم يريدون أن يسلكوا العقيق، جاؤوا جمعا من بني عمرو بن عوف، وهم يريدون منازلهم بأنصاف النهار، يطلبونهم. وهم عشرون رجلا. فيهم أبو لبابة، وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي، خرجوا لميت مات منهم في أطمهم ليدفنوه.
فناهضوا الحمولة، وقاتلهم القرشيون ساعة، وكان فيهم ضرار بن الخطاب،
فمنع الحمولة، ثم جرح وجرح، ثم اسلموها، وكثرهم المسلمون، وانصرفوا يقودونها، حتى أتوا بني عمرو بن عوف، فدفنوا ميتهم، ثم ساروا إلى رسول الله (ص) بها.
فكان أهل الخندق يأكلون منها، فتوسعوا بذلك، وأكلوه حتى نفد، ونحروا من تلك الإبل أبعرة في الخندق، وبقي منها ما بقي حتى دخلوا به المدينة.

فلما رجع ضرار بن الخطاب أخبرهم الخبر، فقال أبو سفيان: إن حييا لمشؤوم، ما أعلمه إلا قطع بنا. ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا (١). ولكننا نسجل تحفظا هنا، ينطلق من كلام أبي سفيان هذا، فان حييا لم يقطع بهم. كما أن هذه الغنيمة لم تكن خيلا ولا إبلا بل كان شعيرا وتمرا وتبنا، وبعض الإبل، فما معنى قوله: ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا.

الجن الذين في المدينة:

وكان يستأذنون أن يطلعوا إلى أهليهم، فيقول (ص) إني أخاف عليكم بني قريظة، فإذا الحوا يأمرهم بأخذ السلاح معهم.

" وكان فتى حديث عهد بعرس، فأخذ سلاحه وذهب، فإذا امرأته قائمة بين البابين، فهيأ لها الرمح ليطعنها، فقالت، اكفف حتى ترى ما في بيتك، فإذا بحية على فراشه، فركز فيها رمحه، فاضطربت، وخر الفتى ميتا. فما يدري أيهما كان أسرع موتا.

فقال رسول الله - لما أخبر بذلك - إن بالمدينة جنا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثة أيام، فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان " (٢).

والذي يلفت نظرنا في هذا النص.

---

(١) القصة في: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ / ٥٤٠ ووفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ / ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ والمغازي ج ٢ ص ٤٧٥.

الف: لماذا يؤاذنونه ثلاثة أيام، لا أقل ولا أكثر؟! فإن الجن إذا كان مؤمنا، فإنه لا يعتدي على الناس، ولا يأخذ فراش الناس، ويكون فيه.

ب: لماذا يبادر إلى طعن زوجته بالرمح إذا رآها بين البابين ألم يكن بوسعه أن يسألها عن سبب كونها في ذلك المكان؟ وهل وجودها في هذا المكان دليل خيانة وانحراف؟!

ج: هل الجن قادر على مواجهة الانسان بهذه الصورة؟ وهل لم يكن بوسع تلك الحية الجنية أن تتخلص من رمح ذلك الفتى؟! وهل إذا مات الجن يبقى جسده ماثلا للعيان؟ ويكون من لحم ودم؟!.

اشتباك مع الاخوة

وخرجت طليعتان للمسلمين ليلا، فالتقيا، ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الاسلام:

حم، لا ينصرون.

فكف بعضهم عن بعض، وجاؤا، فقال رسول الله (ص):

جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد.

فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعض نادوا بشعارهم (١).

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ و ٥٣٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

لعن الله الراكب، والقائد، والسائق:
قال سبط بن الجوزي: إن الإمام الحسن عليه السلام قال لمعاوية: " نظر النبي (ص) إليك يوم الأحزاب، فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله. وأخوك يقود الجمل، وأنت تسوقه، فقال: " لعن الله الراكب، والقائد والسائق " (١).

آية قرآنية في خوات بن جبير:
محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، جميعا عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) الآية (٢)، فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاري، وكان مع النبي (ص) في الخندق وهو صائم، فأمسى وهو على تلك الحال. وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب.
فجاء خوات إلى أهله حين أمسى، فقال: هل عندكم طعام؟!
فقالوا: لا، تنم حتى نصلح لك طعاما.
فاتكأ فنام، فقالوا له: قد فعلت؟
قال: نعم.

---

(١) تذكره الخواص ص ٢٠١ والغدير ج ١٠ ص ١٦٩ عنه.
(٢) البقرة ١٨٧.

فبات على تلك الحال، فأصبح ثم غدا إلى الخندق، فجعل يغشى عليه، فمر به رسول الله (ص)، فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره. فأنزل الله عز وجل فيه الآية:

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (١).

والحديث صحيح السند. كما هو ظاهر. لكن صرح في رسالة الحكم والمتشابه بأن ذلك كان حين حفر الخندق في شهر رمضان المبارك. وان اسم الرجل هو مطعم بن جبير.

ونقول: ١ - الذي نعرفه في رجال الصحابة هو جبير بن مطعم، لا العكس.

٢ - قد وصف رواية القمي والسيد المرتضى خوات بن جبير بأنه كان حينئذ شيخا كبيرا ضعيفا.

مع أنهم يقولون: إن خوات بن جبير قد توفي سنة أربعين، أو اثنتين وأربعين وهو ابن أربع وسبعين سنة (٢)، ومعنى ذلك هو أنه كان

---

(١) الكافي ج ٤ ص ٩٩ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٤٤ و ١٤٥ وتفسير القمي ج ١ ص ٦٦ ومن لا يحضره الفقيه ط جماعة المدرسين ج ٢ ص ١٣٠ / ١٣١ والوسائل ج ٧ ص ٨٠ و ٨١ ورسالة المحكم والمتشابه ص ١٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤١ / ٢٤٢ وتفسير البرهان ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٧ عن الكافي والقمي، وعن تفسير العياشي. ومجمع البيان ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) راجع: الإصابة ج ١ ص ٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣٠ وأسد الغابة ج ٢ ص ١٢٦ وراجع تهذيب ج ٣ ص ١٧١ والطبقات

يوم الخندق في عز شبابه، وغاية نشاط وقوته. وقيل: كان سنه حين توفي إحدى وسبعين سنة (١) عن ابن نمير.
وإن كان الاستيعاب قد سجل أربعا وتسعين سنة (٢)، ولعلها تصحيف سبعين، فإن الاشتباه بينهما كثير.
٣ - إن الرواية تقول: إنها نزلت في خوات، لكن روايات أخرى ذكرت: أنها نزلت في صرمة بن قيس أو غيره (٣).
٤ - الرواية تقول: إن المسلمين كانوا إذا نام أحدهم قبل أن يفطر حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة - وهذا هو المروي بكثرة عجيبة - من طرق غير أهل البيت.
ونقول:
إن هذه كانت طريقة أهل الكتاب. وقد نزلت الآية لردع المسلمين عنها (٤) فلعل بعض المسلمين بسبب انبهاره قد انساق وراء أهل الكتاب في ذلك فنزلت الآية لتردعهم عنه، وقال رسول الله (ص) أيضا: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب اكلة السحر (٥).

الكبرى لابن سعد ط صار ج ٣ ص ٤٧٨ و ٤٧٧ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٠٨.
(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٧١.
(٢) الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ٤ ٤٤ وكذا في تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٧٩.
(٣) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ عن مصادر كثيرة.
(٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن عبد بن حميد.
(٥) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن ابن أبي شيبة وأبي داود، والترمذي، والنسائي.

الفصل التاسع:
ضربة علي يوم الخندق:
تعدل عبادة الثقلين

عبور الخندق: يقول المؤرخون: إنه بعد أن جرح سعد بن معاذ أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جمعيا، وجاؤا يريدون مضيقا يقحمون منه خيلهم إلى النبي، فوجدوا مكانا ضيقا أغفله المسلمون، فلم تدخله خيولهم، فعبره عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب وعمرو بن عبد ود. وزاد المفيد رحمه الله: مرداسا الفهري. وزاد البعض: حسل بن عمرو بن عبد ود في من عبر الخندق أيضا.

ووقف سائر المشركين وراء الخندق (١).

---

(١) راجع: المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ و ٥٣٣. والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٦ والارشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٨ ص ١ ص ١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ و ٢٣٩ وراجع: الوفاء ص ٦٩٣ وراجع العبر وديوان

ويقول القاضي النعمان: إن النبي (ص) أمر عليا بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: " فمن قاتلكم عليها فاقتلوه " (١).
فخرج علي أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من المسلمين، حتى أخذ الثغرة وسلمها إليهم.
وتقدم عمرو، فلما رأى المسلمين، وقف هو والخيل التي معه، وقال: هل من مبارز (٢).
وكان ذلك كما يقول القاضي النعمان بعد شهر من الحصار (٣)
وقال غيره غير ذلك، كما ذكرناه في موضع آخر.
وصفهم لعمرو:
قالوا: وكان عمرو قد بلغ تسعين سنة. وقد حرم الدهن حتى

المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.
(١) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٤.
(٢) راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والارشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٠٢ و ٢٥٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩.
(٣) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٣.

يثأر بمحمد وأصحابه. وذلك أنه في بدر قد أثبتته الجراحة، وارتث فلم يشهد أحدا (١).

ونعتقد: أنهم يبالغون في مقدار عمر عمرو، ولعله بهدف بيان أنه كان في هذا الوقت قد ضعف وشاخ ولم يعد قتله بذلك الامر المهم. ولكن جبن المسلمين عن مواجهته - كما سنرى - وهم جيش بأكمله، وكذلك ما قاله النبي (ص) في حق قاتله، وغير ذلك مما سيأتي، يبطل كيد الخائنين، إن شاء الله تعالى.

وقالوا أيضا:

كان عمرو بن عبد ود فارس قريش (٢). وكان يعد بألف فارس (٣)، ويسمى فارس يليل (٤)، لأنه أقبل في ركب من قريش حتى

---

(١) راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٣ و ج ١٥ ص ٨٥ و ٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ والوفاء ص ٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وينابيع المودة ص ٩٥.

(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و ٢٢٦ و ج ٤١ ص ٨٨

إذ هو بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا. فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك (١). وكان " من مشاهير الابطال، وشجعان العرب " (٢).
وعن علي عليه السلام: " وفارسها (أي قريش) وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم... إلى أن قال: والعرب لا تعد لها فارسا غيره " (٣).
وسيأتي: أن مسافع بن عبد مناف يبكي عمروا، ويقول:
عمرو بن عبد كان أول فارس * جزع المذاد، وكان فارس يليل
وقال أبو زهرة: " كان - كما قيل - لهم يهزم في مبارزة قط " (٤).
" وكان أشد من فيهم وأنجدهم، يعرف له ذلك جميعهم " (٥).
وكان عمرو يلقب بعماد العرب، وكان في مئة ناصية من الملوك، وألف مقرعة من الصعاليك (٦).

وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.
(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ج ٤١ ص ٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦.
(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ والاختصاص ص ١٦٧ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٨٧.
(٤) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.
(٥) شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٣.
(٦) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١ ص ٨٨ عنه.

المواجهة بين عمرو والمسلمين
وذكر القمي (ره): أنه لما جاء الفرسان إلى الخندق ليعبروه كان (ص) قد صف أصحابه بين يديه، فلما طفروا الخندق. صاروا قبال رسول الله (ص) سباشرة، والمسلمون خلف ظهر النبي (ص).
رواية مشكوكة:
وادعى بعضهم: أن بعض المهاجرين قال لرجل من اخوانه بجنبه: أما ترى هذا الشيطان عمرو؟! لا والله لا يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمدا ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت قوله:
قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لاخوانهم هلم إلينا، ولا يأتون الباس إلا قليلا، أشحة على الخير... إلى قوله: وكان ذلك على الله يسيرا (١).
وصرح في موضع آخر: هذه الاخر: أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب لما قال لعبد الرحمان بن عوف: هلم ندفع محمدا إلى قريش ونلحق بقومنا: يحسون الأحزاب لم يذهبوا إلخ... (٢).
ونقول: إن هذه الرواية موضع شك وريب.
أولا: إن مضمون الآيات لا ينسجم مع هذا الحدث الذي تقول

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ و ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥.
(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٢.

الرواية: إن الآية نزلت لأجله، ولا يتطابق معه، بل هي لا تشير إليه لا من قريب ولا من بعيد.

وثانيا: ما معنى قوله: هلموا ندفع إليه محمدا ليقتله ونلحق نحن بقومنا؟ فهل إن محمدا، الذي معه سائر المهاجرين والأنصار أصبح الان خاضعا لابن عوف ولرفيقه، وأصبحا هما أصحاب القرار في أمره؟!

وثالثا: ولو أنهما جهرا بهذا القول، ألم يكونا يخافان بأس علي وصولته، فضلا عن غيره من أصحابه المخلصين؟!

أخذ الثغرة على عمرو وأصحابه

وقد لا حظنا: أن عليا عليه السلام قد بادر إلى أخذ الثغرة التي عبر منها الفرسان، عليهم، حتى لا يمكنهم الرجوع منها، وليمنع بقية قوى الأحزاب من عبورها لمساعدة عمرو ومن معه.

وهذه المبادرة تعتبر من وجهة نظر عسكرية هي الاجراء الأمثل والأفضل لأنها أيضا قد أدت إلى محاصرة المجازفين، والسيطرة على الموقف، وافشال خطتهم.

ولكن علينا: أن لا نهمل التذكير بأن هؤلاء الذين جاؤوا مع علي عليه السلام، وأخذوا الثغرة على عمرو ومن معه، ما كانوا ليجرأوا على الوقوف في مواقعهم لولا وجود علي إلى جانبهم، ثم اطمئنانهم إلى أنه سيكون هو الذي ينجدهم لو تعرضوا لأي مكروه من قبل عدوهم عمرو وأصحابه.

فإنما إلى علي عليه السلام استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم،

والدفاع عنهم اعتمدوا، يدلنا على ذلك: أن المسلمين كانوا كان على رؤسهم الطير خوفا وفرقا من عمرو كما سنرى.

طلب البراز، وخرج علي لعمرو:

لما وقف عمرو وأصحابه على الخندق قالوا: والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، فقال عمرو:

يا لك من مكيدة ما أنكرك * لا بد للملهوب من أن يعبرك

ثم زعق على فرسه في مضيق، فقفز به إلى السبخة، بين الخندق وسلع (١).

وجعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق وسلع، والمسلمون وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم.

وجعل عمرو بن عبد ود يدعو للبراز وكان قد أعلم ليرى مكانه - ويعرض بالمسلمين، فقال (ص) على ما في الروايات: من لهذا الكلب؟ فلم يقم إليه أحد. فلما أكثر قام علي عليه السلام، فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، انتظارا منه ليتحرك غيره.

وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو، والخوف منه وممن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدوا له إلى النار؟.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨.

فلم يقم إليه أحد. فقام علي عليه السلام دفعة ثانية، قال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.
فجال عمرو بفرسه مقبلا مدبرا. جاءت عظماء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحدا لا يجيبه قال:

ولقد بححت من النداء * يجمعهم هل من مبارز
ووقفت مذجبن المشجع * موقف القرن المناجز
إني كذلك لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام علي عليه السلام، فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته. فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام، قال له رسول الله: ادن مني يا علي فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها، وقال: إمض لشأنك.
فلما انصرف قال: اللهم أعنه عليه (١).
ولكن ابن شهرآشوب قال: إن عمروا جعل يقول: هل من مبارز؟! والمسلمون يتجاوزون عنه.

---

(١) راجع المصادر التالية: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٦٤ والارشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ وإعلام الورى ص ١٩٤ و ١٩٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١
وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٨ و ٨٩ و ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ - ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٥٤ - ٢٥٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩.

فركز رمحه على خيمة النبي (ص)، وقال، أبرز يا محمد.
فقال (ص): من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي.
فنكل الناس عنه.
إلى أن قال روي أنه لما قتل عمرو أنشد علي (ع):
ضربته بالسيف فوق الهامة * بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة * وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة * وقال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة (١)
وعند الحسكاني عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله (ص) درعه ذات الفضول. وأعطاه سيفه ذا الفقار. وعممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.
فقال النبي لما ولي: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قديمه (٢).
ويضيف البعض: أنه رفع عمامته، رفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب. رب لا تذرني فردا، وأنت خير الوارثين (٣).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٨.
(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و ج ٤١ ص ٨٨. وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه. ق. ج ٢ ص ١١ وينابيع المودة ص ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.
(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ و ج ١٣ ص ٢٨٣ / ٢٨٤

وتصور لنا رواية عن علي عليه السلام الحالة حين عبور الفرسان الخندق فهو يقول: " وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فانهضني إليه رسول الله (ص)، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا، - وضرب بيده إلى ذي الفقار - فخرجت إليه نساء أهل المدينة بواك اشفاقا علي من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارسا غيره (١) ".

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر خروج نساء المدينة بواكي إلى رسول الله (ص).

ويذكر البعض: أنه (ص) " أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل (ص) رافعا يديه إلى السماء، مستقبلا لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله - كان على رؤوسهم الطير اللخ " (٢).

برز الاسلام كله إلى الشرك كله:

وقال (ص) حينئذ: برز الاسلام أو الايمان كله، إلى

وكنز الفوائد للكراجكي ط دار الأضواء ج ١ ص ٢٩٧. وراجع: السيرة النبوية لحدلان ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ و ج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢١.

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ والاختصاص ص ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٥.

الشرك كله (١). فخرج له علي وهو راجل، وعمر فارسا، فسخر به عمرو. ودنا منه علي (٢) ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله، لينظر ما يكون منه ومن عمرو (٣).

وصرحت بعض الروايات بأن النبي (ص) قد قال لأصحابه:

أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟ فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو، واستعظاما لامره. فقام علي ثلاث مرات والنبي يأمره بالجوس (٤).

وحسب نص ابن إسحاق، وغيره من المؤرخين:

خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟!...

فقام علي بن أبي طالب، فقال أنا (له) يا نبي الله.

فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين

---

(١) راجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٥ وينابيع المودة ص ٩٤ و ٩٥ وإعلام الورى ص ١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ وشرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٦١ و ٢٨٥ و ج ١٩ ص ٦١ والطرائف ص ٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٧٣ و ج ٤١ ص ٨٨ و ج ٣٩ ص ١ ونهج الحق ص ٢١٧.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) راجع الارشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ وإعلام الورى ص ١٩٤.

(٤) كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلي رجلا؟!.
فقام علي فقال: أنا يا رسول الله.
فقال: اجلس.
ثم نادى الثالثة، فقال:
ولقد بححت من النداء * لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع * موقف القرن المناجز
ولذاك اني لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز
قال: فقام علي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أنا له.
فقال: إنه عمرو.
فقال: وإن كان عمروا.
فأذن له رسول الله (ص)، فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:
لا تعجلن فقد أتاك * مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجا كل فائز
إني لأرجو أن أقيم * عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى * ذكرها عند الهزاهز
وفي الديون المنسوب لعلي عليه السلام بيتان آخران هما:
ولقد دعوت إلى البراز * فتى يجيب إلى المبارز
يعليك أبيض صارما * كالملح حتفا للمبارز
فقال له عمرو: من أنت؟.

قال: أنا علي.
قال: ابن عبد مناف؟.
قال: انا علي بن أبي طالب.
فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.
فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.
فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبا، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه.
وضربه علي على حبل عاتقة فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرفنا أن عليا قد قتله، فثم يقول علي:
أعلي تقتحم الفوارس هكذا * عني وعنهم أخروا أصحابي
الأبيات:
إلى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق (١).

---

(١) راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن إسحاق.
وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٥ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ و ج ٤١ ص ٨٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و ١٣٦.
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ / ٤٨٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٦١ و ٦٢ والروض الانف ج ٣ ص ٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٨ / ٤٣٩

الخصال الثلاث وقتل عمرو:
وقد ذكرت بعض النصوص: أن عليا لما بارز عمروا عرض على عمرو خصلتين، وهما: الاسلام، فرضه، أو النزال، فاعتذر بالخلة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك (١).
لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال.
فهي تقول:
قال علي لعمرو: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا

وراجع أيضا: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ وراجع: ديوان أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ٦٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص ٩٥ و ٩٦ وراجع أيضا كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

(١) راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي عليه السلام له في المصادر التالية:
الارشاد للمفيد ص ٥٨، وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ و ١٩٨ و ١٩٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠.
وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٣ و ١٧٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٨ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ و ١٦٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ و ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٥.

يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.
قال: أجل.
قال علي: فإني أدعوك إلى أن تشهد ان لا إله الا الله، وأن محمدا رسول الله، وتسلم لرب العالمين.
قال: يا ابن أخي، أخر عنى هذه.
قال: وأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقا كنت أسعد الناس به، وإن كاذبا كان الذي تريد. وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.
قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبدا، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن (١).
قال: فالثالثة؟.
قال: البراز.
فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!.
قال: أنا علي بن أبي طالب.
قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.
فقال علي رضي الله عنه: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.
فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة

---

(١) زاد في نص القمي: ولا تنشد الشعراء في اشعارها انه جبن ورجع، وخذل قوما رأسوه عليهم. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاما خدعني.

نار، ثم أقبل نحو علي مغضبا، واستقبله علي بدرقته.
ودنا أحدهما من الاخر وثارت بينهما غبرة، فضربه عمرو.
فاتقى علي الضربة بالدرقة، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجه. الخ.
أما المفيد وغيره فقالوا: إن عمروا قال لعلي: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديما.
وعند الواقدي: " فأنت غلام حديث إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر.
فقال علي (ع): لكني أحب أن أقتلك، فأنزل إن شئت، فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع " انتهى.
وعند آخرين: انه عرقب فرسه، وضرب عليا بالسيف، فاتقاه بدرقته، فقطها، ثبت السيف على رأسه.
وقال القمي وغيره: فقال له عليه السلام: أما كفاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بطهر؟!.
فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه على ساقيه، فقطعهما جمعيا.
وعبارة حذيفة هكذا: " وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه " (١).
وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا،

---

(١) راجع عبارة حذيفة في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٤ و ج ٤١ ص ٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره آخذ بلحيته، يريد أن يذبحه.
فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله (ص)، والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:
أنا علي وأنا ابن المطلب * الموت خير للفتى من الهرب
فقال له (ص): يا علي، ماكرته؟!.
قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.
وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما. فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أن عليا عليه السلام قد قتله.
فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.
وتبادر أصحاب النبي (ص) حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله الخ (١).

---

(١) راجع فيما تقدم بتفصيل أو اجمال المصادر التالية:
سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والارشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٣ وإعلام الورى ص ١٩٤ و ١٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥، والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ و ٢٠٣ فما بعدها و ٢٥٤ - ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٤٦ وراجع: بهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وراجع

وعند المعتزلي: ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن عليا قتل عمروا فكبر رسول الله (ص)، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين (١).

وروي: أن عمروا جرح رأس علي عليه السلام، فجاء إلى رسول الله، فشده، ونفث فيه فبرئ وقال: أين أكون إذا خضب هذه من هذه (٢).

وفي القاموس وغيره: كان علي ذا شجتين في قرني رأسه، إحداهما من عمر بن ود. والثانية من ابن ملجم. ولذا يقال له: ذو القرنين (٣).

وعنه عليه السلام أنه قال عن عمرو: " وضربني هذه الضربة. وأومأ بيده إلى هامته (٤) ".

المصادر التالية: شواهد التنزيل ج ٢ ص ١١ سنة ١٤١١ ه. ق وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ وراجع: شرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٩.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٧ والنهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٥٢ و ٥١ والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٥٨ ولسان العرب ج ١٣ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ وراجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٣ لتجد حديث: انك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص ٣٠٧.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٤.

نص الحسكاني:
وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال: " ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل إلى علي، وكان رجلا طويلا، يداوي دبرة العبير وهو قائم.
وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه. فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلدا من الأرض يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر، فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس، فلحق ذباب السيف في رأس علي، حتى قطعت تسعة أكوار، حتى خط السيف في رأس علي.
وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه.
وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر. فقال رسول الله (ص): قتله والذي نفسي بيده.
فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.
فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.
فحز علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله، يا علي، إن هذه مشية يكرهها الله عز وجل إلا في هذا الموضع الخ (١).

---

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ١١ و ١٢ وط سنة ه. ق. ومجمع البيان

وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي عليه السلام أنه لما برز لعمرو دعا بدعاء علمه إياه رسول الله (ص): اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرؤ في نحره (١) لكن البعض يقول: " أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: ألا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته؟! فقال (ص): انها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام (٢).

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي (ص)، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله (ص) يتهلل، فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر (٣). وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا (٤).

وقالوا: إن عليا عليه السلام ضرب عمروا على حبل العاتق فسقط وثار العجاج.

وقيل: طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فسقط وسمع رسول الله (ص) التكبير، فعرف أن عليا قتله (٥). وحكى البيهقي عن

ج ٨ ص ٢٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٤ عنه.

(١) شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٣ ط سنة ١٤١١ ه. ق..

(٢) كنز الفوائد للكراجكي من ١٣٧.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ والارشاد للمفيد ص ٦١ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ج ٤١ ص ٩١ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢.

(٢) مناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٨.

(٥) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ من ٥٣٣ و ٥٣٤ والبداية والنهاية ج ٤

ابن إسحاق: أن عليا طعنه في ترقوته (١).
وقالوا أيضا: أنه حين قتل علي عمروا ومن معه " انصرف إلى مقامه الأول، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعا " (٢).
وقال علي عليه السلام في المناسبة أبياتا نذكرها، ونضم ما ذكروه بعضه إلى بعض، وهي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا * عني وعنهم أخرجوا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي * ومصمم في الرأس ليس بناب
آلى ابن ود حين شد ألية * وحلفت فاستمعوا إلى الكذب
أن لا أصد ولا يولي والتقى * رجلان يضطربان كل ضراب
عرف ابن عبد حين أبصر صارما * يهتز أن الأمر غير لعاب
أرديت عمروا إذ طغى بمهند * صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلا * كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني * كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الأحزاب (٣).

ص ١٠٦ و ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧.
(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.
(٢) راجع: الارشاد للمفيد ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٤.
(٣) هذه الأبيات توجد موزعة ومجتمعة في مصادر كثيرة. لكن رواية السهيلي لها تختلف جزئيا عما ذكرناه هنا.
مهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه مذكور كله، أو بعضه في المصادر التالية وغيرها:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي رضي الله تعالى عنه (١).
وستأتي لنا وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا، وما أشبهه مما سيأتي.
وخرجت خيولهم منهزمة اقتحمت الخندق.
قال ابن هشام وغيره: والقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ، وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:
فر والقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم * ما إن تجور عن المعدل

سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والارشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦١ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠ و ١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ / ٣٤٤ والبحار ج ٤١ ص ٩١ عن المناقب و ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ عنه وص ٢٥٤ و ٢٥٧ عن الارشاد وص ٦٥ عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام ص ٢٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٨ / ١٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ / ١٣٨ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٦ وكنز الفوائد للكراجكي ١٣٧ و ١٣٨.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ عن ابن هشام.

ولم تلق ظهرك مستأنسا * كأن قفاك قفا فرعل (١)

وحول مبارزة علي لعمرو، وقتله على يده. راجع المصادر الموجودة في الهامش (٢) وبعضها قد صرح بأن النبي (ص) قد رد عليا عليه السلام مرتين، وأجازه في الثالثة (٣).

وذكرت أبيات عمرو في طلب البراز، وجواب علي له بشعر على نفس الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضا (٤).

سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ وراجع: خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦. والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والوفا ج ٢ ص ٦٩٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: إعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وتجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣ والأوائل للعسكري ج ٢ ص ٢٢٣ والطرائف ص ٦٠ والبحار ج ٣٩ ص ١ عنه.

(٣) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧ وينابيع المودة ص ٩٤ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه. ق. ج ٢ ص ١٠ وينابيع المودة ص ١٣٦.

(٤) راجع عدا المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥ و ٢٦٦ و ٢٣٩ وعن ديوان أمير المؤمنين ص ٦٧ وشرح نهج البلاغة

يقول أهلكت مالا لبدا:
وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: يقول أهلكت مالا لبدا. قال: هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الاسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالا لبدا. وكان قد أنفق مالا في الصد عن سبيل الله، فقتله علي (١).
ولم نجد هذه الرواية الا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك ولنا مع ما نجد تقدم وقفات، هي التالية:
لماذا طلب عمرو من علي أن يرجع:
قال المعتزلي الشافعي، حين بلغ في حديثه الموضع الذي يطلب فيه عمرو من علي أن يرجع لأنه لا يحب أن يقتله:
" كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول - إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع -: والله، ما أمره بالرجوع ابقاء عليه، بل خوفا منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الابقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما " (٢).

للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣١٩.
(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٢.
(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وراجع البحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢.

علي (ع) غلام حدث؟! وشيخنا قريش:
وقد تقدم أن رواية الواقدي تقول: " فأنت حدث، إنما أردت شيخي قريش أبا بكر وعمر " (١).
ورواية المعتزلي تقول: " إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاما خدعني " (١).
ونقول:
ألف: أما بالنسبة لصغر سن علي عليه السلام فقد كان عمر علي حينئذ سبعة وعشرين أو ثمانية وعشرين عاما. كما هو الأصح والأقوى، بل بعض الأقوال تزيد في عمره عدة سنوات أخرى على ذلك. ولا يقال لمن هو بهذا السن: أنه غلام حدث.
ب: بالنسبة لأبي بكر وعمر، فإنهما لم يكونا شيخي قريش آنئذ، ولا قبل ذلك أيضا.
ولم يكونا أيضا معروفين بالفروسية والشجاعة ليقصدهما عمرو بالبراز، الذي يريد أن يكتسب به مجدا وشهرة عامة. فقتلهما لم يكن ليكسر شوكة المسلمين العسكرية. أما قتل علي فهو المقصود بعد النبي لهم، لأنه هو الذي قتل فرسانهم في بدر وأحد.
ومن جهة ثالثة: فقد تقدم أن ضرار بن الخطاب وخالد بن الوليد لم يقتلا عمر في أحد وفي الخندق، رغم تمكنهما من ذلك.

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١.
(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤.

بل كان الموقف منه ترشح منه روائح المودة والمحبة، والاهتمام بنجاته.

وهل خلص أسرى المشركين في بدر غير أبي بكر حسبما تقدم بيانه؟.

جرح علي (ع):

وهل جرح علي حقا بسيف عمرو؟! وكان ذا شجتين؟! أم أن المقصود هو اظهار شجاعة عمرو وفروسيته في مقابل علي عليه السلام؟!.

إن البلاذري يقول: ويقال: إن عليا لم يجرح قط (١).

الكبرياء والغطرسة:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن عليا عليه السلام حينما برز لعمرو وكان عمرو طويلا.

" جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!.

فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفا أجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود، فمن أنت؟.

قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟.

قال نعم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

قال: إن أباك كان لي صديقا، وأنا أكره أن أقتلك.
فقال له علي: لكني لا أكراه أن أقتلك.
ثم ذكر تخييره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي:
فأنت فارس وأنا راجل.
فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام (١).
فعلي اذن يريد إذلال عمرو، وتحطيم كبريائه. وقد تحقق له ما أراد، حتى شكا ذلك عمرو نفسه كما ترى.
إنه عمرو:
قد اعتبر الإسكافي: أن النبي صلى الله عليه وآله قد ضن بعلي عليه السلام عن مبارزة عمرو، حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا، وفي كلها يحجمون، ويقدم علي، فيسأل الاذن له في البراز، حتى قال له رسول الله: إنه عمرو.
فقال: وأنا علي (٢).
ونقول:
إننا لا نعتقد: أن هذا الكلام دقيق، فإن النبي (ص) كان يعلم قدرات علي عليه الصلاة والسلام، ومدى ما عنده من استعداد للتضحية والاقدام في سبيل الله سبحانه، ومواقفه في بدر، وصده

---

(١) شواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه. ق. ج ٢ ص ١١.
(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤.

للكتائب في أحد، حتى نادى الملك بين السماء والأرض:
لا فتى إلا علي * لا سيف إلا ذو الفقار
وقد كانت هذه المواقف لدى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أي شئ شخص آخر. وهو الذي ربي عليا عليه السلام، وعلمه وهذبه، ودربه. والصحيح هو ما ذكره بعض المؤرخين حسبما تقدم وهو أنه أراد أن يفسح المجال أمام الآخرين، فكان يأمره بالجلوس، انتظارا منه ليتحرك غيره. وليعلم بذلك فضله، ويظهر زيف دعوى من سوف يحاول الدس والتشويه، واطلاق الدعاوى الفارغة، لأهداف سياسية، وغيرها.

إذن، فنستطيع أن نلخص الأسباب في ضمن النقاط التالية:.

١ - لكي يظهر للجميع: أن غير علي عليه السلام قد أحجم عن مبارزة عمرو خوفا وجبنا. ولولا أنه (ص) أمره بالجلوس ثلاث مرات لكان من الممكن للبعض أن يدعي: أن كل واحد من المسلمين كان قادرا على مبارزة عمرو وقتله، لكن عليا سبقهم إلى الاستئذان لمبارزته، رغبة منه في الثواب، على الاجر. وهو أمر يشكر عليه.

٢ - إنه (ص) كان يريد أن يظهر للناس جمعيا: أن عليهم النظر إلى بواطن الأمور، فلا تغرهم الدعاوى العريضة والشعارات الرنانة والانتفاخات الكاذبة في حالات الامن والرخاء. ولا يجوز أن يخططوا ويقرروا ويتخذوا المواقف استنادا إلى ذلك بل لا بد من اختبار القدرات والطاقات في الحالات الصعبة، واللحظات المصيرية..

٣ - وكان لا بد من التنويه بجهاد علي عليه السلام، وتعريف

الناس بمن يضحي ويبذل نفسه في سبيل الله سبحانه، وبمن يستثمر تضحيات الآخرين ويسرق جهدهم وجهادهم. لمصلحة نفسه أو من يمت إليه بصلة أو رابطة.. ويتضح ذلك من قوله (ص) لعلي: إنه عمرو (١).

وبذلك يتضح: أن عدم الإذن لعلي عليه السلام بمارزة عمرو في بادئ الامر، لم يكن رغبة بعلي المخاطر، وحبا بالابقاء عليه، وتعريض غيره لذلك.

٤ - وقوله (ص) له: إنه عمرو، فارس يليل أو نحو ذلك، ليفهم الناس: أن هذا الاقدام من علي عليه السلام ليس مجرد نزوة طائشة، ألقى نفسه بسببها في المهالك، دون أن يكون عارفا بحقيقة عمرو، ومكانته في الفروسية، ثم حالفه الحظ فقتله، لان عليا رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، كما يريد أعداؤه أن يقولوا.

بل كان هذا الاقدام منه عن علم وتثبت، واطلاع تام على شجاعة عمرو، ومكانته بين فرسان العرب.

الخصال الثلاث:

وحين عرض علي عليه السلام الخصال الثلاث على عمرو، نجد أن هذه الخصال قد جاءت من خلال الوعي والاحساس بالمسؤولية، وفي أعلى درجات السداد، وفي منتهى الموضوعية والنصفة. وتركت عمروا يبوء بعار البغي، والعدوان، والتجني بلا

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٦ و ٢٠٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣.

مبرر، ولا سبب على الاطلاق.
فلم يفرض عليه أن يسلم فقط، بل هو كما عرض عليه أن يسلم من منطلق الانصاف في الدعوة، ولا عطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار، فإنه أيضا يقدم له خيارا آخر لا يتعارض مع رغائبه وطموحاته، ولا مع آرائه ومعتقداته. وهو أن يرجع عن حرب محمد والمسلمين، ثم قدم له ما يثير اهتمامه، ويقربه إلى اختيار هذه الخصلة مثيرا أمامه ما يوجب إعادة النظر في صوابية القرار الذي اتخذه في خصومته لمحمد، مستثيرا في نفسه نوازع الطموح ومستحثا في داخله المشاعر القبلية التي ينزع إليها، ويعتمد عليها. حين ذكر له: أنه إن يكن محمد صادقا كان أسعد الناس به. وإن يك كاذبا كفتهم ذؤبان العرب أمره. وفي كلمته الأخيرة تلويح يقرب من التصريح بما يراود النفوس عادة من حب السلامة والراحة والابتعاد عن المشاكل والمخاطر.
ولكن ما احتج به عمرو لاتخاذه قراره برفض هذ الخصلة الثانية ما كان غير سراب خادع ينطلق من غرور وعنجهية لا مبرر لهما، إلا روح الاستكبار والبغي والتجني والظلم الذي جره بالتالي إلى الخزي والخسران في الدنيا وفي الآخرة، وساء للظالمين بدلا.
ولم يبق أمام أمير المؤمنين إلا أن يبادر إلى دفع غائلة هذا الظالم المتجبر فكان النصر على يديه، وكانت ضربته له التي تعدل عبادة الثقلين.
قطع رجل عمرو:
ويقول ابن شهرآشوب: " وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب عليا عليه السلام، ورمى رجله نحو

علي. فخاف من هيبتها رجلان، ووقعا في الخندق " (١).
وهذا النص غير معقول، وذلك لأنه إذا كان على فرسه برجل واحدة، فإنه لا يستطيع أن يأخذ رجله عن الأرض يرمي بها عليا أو غيره، لأنها حين تقطع لا بد أن يقع القسم المقطوع منها على الأرض إلا أين يكون قد فعل ذلك بعد وقوعه على الأرض.

علي ودرع عمرو:

لما قتل علي عمرا، وأقبل نحو رسول الله (ص)، ووجهه يتهلل قال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

فقال علي عليه السلام: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي. أو قال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه.

وعند الحسكاني: أن النبي (ص) سأل عليا عن سبب عدم سلبه له (٢).

---

(١) مناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) راجع: الارشاد للمفيد ص ٦١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه. ق ج ٢ ص ١٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٧ و ٢٠٤ و ج ٤١ ص ٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والروض الانف ج ٣ ص ٢٨٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤.

ويقال: إنه حين جلس على صدر عمرو، يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله ويمجده طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلته، فقال له علي: هي علي أهون من ذلك ثم ذبحه (١).

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من الرواة، وأن ذلك كان في حرب أحد مع طلحة بن أبي طلحة (٢).

ويرد قوله: أنه قضية أحد كان السؤال من سعد لعلي. وفي الخندق كان السؤال من عمر لعلي، فهما قضيتان.

ونعود فنذكر كلام المعتزلي، وهو يقارن بين علي وسعد بن أبي وقاص في ذلك:

" قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته (كما في قصة أحد) وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها، ومبارزه فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفس سلب؟!.

فيقول: كرهت أن أبز السبي ثيابه.

فكأن حبيبا (أي أن أبا تمام) عناه بقوله:

إن الأسود اسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب (٣)

ونقول:

إننا لا نريد أن نضيف إلى ذلك شيئا، غير أن ما يستوقفنا هنا

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

هو ما نجده من حرص واهتمام ظاهر لعمر بن الخطاب بأمر الدرع كي لا تفوت عليا، وكأنه يظن أنه عليه السلام إنما يحارب ليحصل على الغنائم والأسلاب.

ولم يلتفت إلى أن ما يهم عليا هو الدفاع عن أساس الدين، وفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المسلمين المهزومين نفسيا، كما أخبر الله عنهم:

(إذ جاؤكم من فوقكم، ومن أسفل منكم. وإذ زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنون. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا.. إلى أن قال: وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا).

أما جواب أمير المؤمنين عليه السلام لعمر، ففيه تأكيد منه على أنه عليه السلام: لم يزل ولا يزال يتصرف وفق قواعد النبل والرجولة والقيم، حتى في مثل هذا الموقف الذي هو أكثر المواقف صعوبة وخطرا، حيث تزل فيه الاقدام، وتضيع فيه المعايير والضوابط في زحمة الأهوال والمخاطر، وفي خضم ثورات النفوس والمشاعر.

فسلام الله عليك يا أبا الحسن، يوم ولدت في الكعبة، ويوم اغتالتك يد الإفك والحقد في مسجد الكوفة، ويوم تبعث حيا، حيث تقف لتسقي المؤمنين والمجاهدين من يدك على حوض الكوثر.

قتله في الله:

ولما أدرك علي عليه السلام عمرو بن عبد ود لم يضربه، فوقعوا في علي عليه السلام، فرد عنه حذيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة، فإن عليا سيذكر سبب وقفته.

ثم إنه ضربه.
فلما جاء سأله النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله (١).
نعم، هذا هو الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل الأمور من موقع المعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، ويصل كل أعماله، ما دق منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه.
إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تزله الرياح العواصف، وهو الانسان القوي والرصين، الذي لا يثور ولا نغضب إلا لله، ولله فقط، وحده لا شريك له.
فبإرادة الله ورضاه يسل سيفه، ويقاتل الابطال، ويسحق كل جبروتهم وكبريائهم، وهو يغمد سيفه ويستسلم لإرادة الله سبحانه وامتثالا لامره، حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون. وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير أحد غير علي يستطيع أن يفعل ذلك.
الوسام الإلهي:
عن ابن مسعود، وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ص) لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمرو بن عبد ود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ والبحار ج ٤١ ص ٥١.

أمتي إلى يوم القيامة (١).
وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم (٢)، زاد المجلسي، والطبرسي قوله:
" وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو. ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز

---

(١) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه والمناقب للخوارزمي ص ٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ وشرح المواقف ج ٨ ص ٣٧١ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٦ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤ ط سنة ١٤١١ ه. و الغدير عن بعض من تقدم، وعن هداية المرتاب ص ١٤٨ والتفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ٣١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٢٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ وينابيع المودة ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد السعود ص ١٣٩ والطرائف ص ٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٩٨ وفردوس الاخبار ج ٣ ص ٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٤١ ص ٩١ و ٩٦ و ج ٢٠ ص ٢٠٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ و ج ٦ ص ٥ و ج ١٦ ص ٤٠٣ عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان ط القاهرة ص ٢٧٤ وعن المصادر التالية: نهاية العقول ص ١١٤ (مخلوط) وروضة الأحباب للدشتكي (مخلوط) ص ٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخلوط) ص ٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجا ص ٢٦ وتاريخ آل محمد لبهجت أفتدي ص ٥٧ ومناقب علي ص ٢٦ ووسيلة النجا ص ٨٤.
(٢) ينابيع المودة ص ٩٤ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه ص ١٢.

بقتل عمرو (١).
تمحلات وتعصبات ابن تيمية:
وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شئ من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يعرف له اسناد صحيح ولا ضعيف. وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي (ص)، فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.
وقد قتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل وعقبة بن أبي معيط، وشيبة.
وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح (٢).
أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين إلخ: " قبح الله رافضيا افتراه " (٣).
ونقول:
قد رد الحلبي استبعاده أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة

---

(١) راجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ وشواهد التنزيل ط سنة ١٤١١ ه ج ٢ ص ١٢ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.
(٢) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ باختصار. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ وسيرة الرسول ص ٢٢٠ ط سنة ١٩٦٨ دار الفكر للجميع.
(٣) تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك نفسه) ج ٣ ص ٣٢ والسيرة الحبية ج ٢ ص ٣٢٠.

الثقلين بقوله: " فيه نظر، لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان للكافرين " (١).

فإنه إذا كانت قد زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد أحجموا عن مبارزة عمرو، خوفا ورعبا، وكانوا كأن على رؤوسهم الطير.

وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة، وقد جاؤوا لاستئصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من جانب، وقريش من جانب، وغطفان من جانب. وكانوا في أشد الخوف على نسائهم وذراريهم.

وإذا كان المنافقون لا يألون جهدا في تخذيل الناس وصرفهم عن الحرب، حتى أصبح الرسول (ص) في قلة قليلة، لا تزيد على ثلاث مئة رجل. بل قيل لم يبق معه سوى اثني عشر رجلا كما سنرى.

وإذا كان الجوع والبرد يفتكان فيهم، ويضعفان من عزائمهم..

نعم، إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه حياة الاسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم، وسيأتي بعض الكلام حول: أن النصر كان بسبب قتل عمرو في الفصل التالي إن شاء الله.

وأما بالنسبة لضعف سنده، وعدم ذكره في الصحاح، فلا يقلل ذلك من قيمته واعتباره إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

التي لم تذكر في كتب الصحاح.
وقد عرفنا تحصب أصحاب الصحاح علي عليه السلام
وأهل بيته، وقول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح يكذبه
رواية المستدرك لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة
عن أبيه، عن جده وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه
صحاح (١).
شهادة حذيفة:
قال المفيد:
" روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة
السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا
لنتحدث عن علي عليه السلام ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم
تفرطون في علي عليه السلام. هل أنت محدثي بحديث فيه؟.
فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي عليه السلام!
فوالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد (ص) في
كفة الميزان، منذ بعث الله محمدا إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل
علي عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح عمل علي (ع) على جميع
أعمالهم.
فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.
فقال حذيفة: يا لكع: وكيف لا تحمل؟ وأين كان أبو بكر،

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٣٨١. وراجع سائر كتب الرجال والتراجم مثل تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، وغير ذلك.

وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ود، دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا عليا (ع)، فإنه برز إليه وقتله الله على يده. والذي نفس حذيفة بيده - لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من عمل أصحاب محمد (ص) إلى يوم القيامة (١).

شهادات، ومواقف أخرى:

شهادة أبي الهذيل والمعتزلي.

قال المعتزلي:

١ - " فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجل من أن يقال: جليلة، وأعظم من أن يقال: عظيمة.

٢ - وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله، علي، أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمروا يوم الخندق. تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، تربي عليها، فضلا عن أبي بكر وحده.

٣ - وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو

---

(١) الارشاد ص ٥٥ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ وسيرة المصطفى ص ٥٠٤ شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٠ و ٦١ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٩٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونهج الحق ص ٢٤٩ / ٢٥٠ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٢٩ / ٣٠٠.

أبلغ منه (١) إلخ... ".
وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لو سعتهم (٢).
٤ - وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي ضربة ما كان في الاسلام أعز منها - يعني ضربة عمرو بن عبد ود - ولقد ضرب علي ضربة ما ضرب الاسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله (٣).
٥ - وقال الحافظ يحيى بن آدم - جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمروا إلا بقوله تعالى: (فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت) (٤).

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٩ وص ٦٠. وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٨ وسيرة المصطفى ص ٥٠٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٣.
(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤.
(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ والنص للمفيد في الارشاد ص ٦١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ و ج ٤١ ص ٩١ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨
(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والارشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٩٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٦ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

٦ - وروي أن عمروا قال لعلي: ما أكرمك قرنا (١).
لا نأكل ثمن الموتى: قال ابن إسحاق - كما رواه البيهقي عنه - وبعث المشركون إلى رسول الله (ص) يشترون جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف.
فقال رسول الله (ص): هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى (٢).
وقال أبو زهرة: " ويظهر: أنه كان عظيما بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه (٣).
وقد ذكرت نفس هذه الحادثة بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك. ولعل الزبيريين قد حرفوا ما جرى لجيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل وذلك بهدف تضخيم شأن نوفل، ليصبح أهم من عمرو بن عبد ود، زعما منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلا قد راجت على الناس. وسيأتي أن عليا أيضا هو الذي قتل نوفلا وغيره.
وإن كنا نحتمل أيضا: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل من عمرو.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ والبحار ج ٤١ ص ٩٠.
(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.
(٣) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

فرح الملائكة بقتل عمرو:
عن الصادق (ع): لما قتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن (ع) وقال: قل لامك تغسل هذا الصيقل، فرده وعلي عند النبي (ص) وفي وسطه نقطه لم تنق. قال: أليس قد غسلته الزهراء.
قال: نعم.
قال: فما هذه النقطة؟.
قال النبي: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.
فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس؟!.
قال: نعم.
قال: فما هذه النقطة؟.
قال النبي: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.
فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس؟!.
فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود، فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه. وهو حظي منه، فلا تنتضيني يوما إلا ورأته الملائكة وصلت عليك (١).
وليس لدينا ما يثبت أو ينفي صحة هذه الرواية. وحين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، ما دام أن ذلك لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

---

(١) البحار ج ٢٠ ص ٢٤٩ / ١٥٠ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢١٥ / ٢١٦.

قتل عمرو هزم بني قريظة والأحزاب

وحين أرسل النبي (ص) عليا إلى بني قريظة قال له: " إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود، لا يخذلك " (١).

قال علي عليه السلام: " فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا علي، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو. وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك. وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزا يرتجز:

قتل علي عمروا * صاد علي صقرا

قصم علي ظهرا * أبرم علي أمر

هتك علي سترا

فقلت:

الحمد الله الذي أظهر الاسلام وقمع الشرك (٢).

وكما كان قتل سببا لهزيمة بني قريظة فإنه كان أيضا سببا لهزيمة الأحزاب كما سيأتي. وقد أقنع قتله ابنه ونوفل بن عبد الله أقنع قريشا ومن معها: أن أية مغامرة من هذا القبيل سيكون مصيرها الفشل الذريع، والخيبة القاتلة. وسيأتي في أواخر الفصل التالي نصوص تدل على أن قتل عمرو ومن معه كان سبب هزيمة الأحزاب فانتظر.

---

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦١ و ج ٤١ من ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٥.

(٢) الارشاد للمفيد ص ٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦١ / ٢٦٢ و ج ٤١ ص ٩٥ و ٩٦ ومناقب آل طالب ج ٣ ص ١٤٥.

الخوارج وحديث قتل عمرو:
كنا نتوقع كل شئ من أعداء علي عليه الصلاة والسلام. إلا أننا لم نتوقع أبدا أن يشككوا في قتل علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود. وقد ألفت نظري الحاكم النيسابوري، وهو يورد في مستدركه. أحاديث صحيحة تثبت قتل علي (ع) لعمرو، فتساءلت في نفسي عن الداعي لا يراد أحاديث في أمر هو من أوضح الواضحات وأجلاها. وإذا به هو نفسه يصرح بسبب ذلك. ويبين لنا: أن أعداء علي قد حاولوا التشكيك حتى بهذا الامر. فهو يقول:
" قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليتقرر عند المصنف من أهل العلم: أن عمرو بن عبد ود لم يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: أن محمد بن مسلمة أيضا ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.
ووالله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.
وكيف يجوز هذا وعلي رضي الله عنه يقول ما بلغنا: إني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم " (١) انتهى.

متى قتل عمرو؟:

أما متى قتل عمرو، فإن اليعقوبي يقول: قتله كان بعد مضي خمسة أيام من الحصار (٢).

لكن آخرين يقولون: إن ذلك كان بعد مضي بضع وعشرين ليلة منه (٣).

وفريق ثالث يقول: بعد مضي شهر من الحصار (٤).

ونحن نستقرب هذا الأخير، وذلك لما تقدم من أن الحصار قد دام شهرا، وقد علمنا أن قتل عمرو، كما سيأتي في أواخر الفصل التالي كان سبب هزيمة الأحزاب بالإضافة إلى الريح العاتية التي أرسلها الله تعالى عليهم.

قتل حسل بن عمرو بن عبد ود:

قال ابن هشام: حدثني الثقة، أنه حدث عن ابن شهاب الزهري، أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود،

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٣) الارشاد للمفيد ص ٥٧ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ وإعلام الورى ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥١ و ٢٥٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥.

وابنه حسل بن عمرو. قال ابن هشام: عمرو بن عبد ود. يقال: عمرو بن عبد (١).

قتل نوفل بن عبد الله:

قد ادعت بعض المرويات: أن الزبير بن العوام هو الذي قتل نوفل بن عبد الله فهي تقول: " رجع المشركون هاربين، وخرج في آثارهم الزبير وعمر بن الخطاب، فناوشوهم ساعة. وحمل الزبير من العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف، حتى شقه باثنين. وقطع ابدوج (أو اندوج) سرجه. حتى خلص إلى كاهل الفرس.

فقيل: يا أبا عبد الله، ما رأينا سيفك!!.

فقال: والله، ما هو السيف، ولكنها الساعد " (٢).

وذكر البعض: أن نوفلا سأل المبارزة، فبارزه الزبير، فشقه باثنتين، حتى فل في سيفه فلا، وانصرف، وهو يقول:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ وراجع: سيرة المصطفى ص ٥٠٢ / ٥٠٣ عنه والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ لكنه ذكره بلفظ يقال، وراجع المصادر التالية، السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٨ وفيه: عثمان بن عبد الله.

إني امرؤ أحتمي * عن النبي المصطفى الأمي (١)
لكن نصا آخر يقول: إنه لما وقع نوفل في الخندق، وجعل المسلمون يرمونه، وطلب أن ينزل بعضهم إليه ليقاتله، فقتله الزبير بن العوام (٢).
وفي الوفاء: بارزه الزبير، فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة (٣) قال دحلان: " ويمكن أن عليا والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله " (٤).
ونقول:
إننا نشك في ذلك كثيرا، وذلك للأمور التالية:
١ - إن البعض ينسب قتل نوفل إلى المسلمين، فهو يقول عن عمرو:
" ودنا علي، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي، فولى أصحابه الادبار. وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٩ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.
(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥.
(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.
(٤) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

حتى قتل " (١).
٢ - وقال البلاذري وغيره: " ونجا أصحاب عمرو إلا رجلا سقط في الخندق، فتكسر، ورماه المسلمون حتى مات " (٢).
٣ - أما ابن الأثير فقد حاول أن يبهم الامر، حيث قال: " وقتل مع عمرو رجلان، قتل علي أحدهما، وأصاب الاخر سهم مآب منه بمكة " (٣).
فإذا عرفنا: أنه مقصوده بالرجل الاخر الذي قتله علي ليس هو حسل بن عمرو، لان كثيرا من المؤرخين سكتوا عن ذكره، وهم مجمعون على قتل نوفل بن عبد الله.
وعرفنا أيضا: أن الذي أصابه سهم فمات منه بمكة هو - كما سيأتي - منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه (٤).
فإننا نعرف أنه يقصد بالذي قتله علي هو نوفل بن عبد الله بالذات.

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.
(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ عن معالم التنزيل، وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ عن ابن عائذ. وراجع أيضا: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣٢٠. وراجع كذلك: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥. وراجع كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي شيبة.
(٣) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢.
(٣) ستأتي مصادر ذلك حين الكلام عن عدد الشهداء من المسلمين، والقتلى من المشركين، أواخر الفصل التالي إن شاء تعالى.

وثمة فريق آخر يقول: بصراحة إن عليا عليه السلام هو الذي قتل نوفلا فقد.

٤ - قال اليعقوبي: " وكبا بنوفل بن المغيرة فرسه، فلحقه علي فقتله " (١).

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتل، وطلب المشركون رمته، فمكنهم من أخذه (٢) وذكرت بعض المصادر: أنه عليه السلام ضربه بالسيف فقطعه نصفين (٣).

وذكر ابن إسحاق: أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فمات في الخندق (٤).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ط الاستقامة ج ٢ ص ٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ / ٤٨٨ وراجع، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ والبحار ج ٤١ ص ٩٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع ص ٣٢٠ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ ومحمد رسول الله، لمحمد رضا ص ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ والارشاد للمفيد ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ وإعلام الورى ص ١٩٥.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.

(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ ودلائل النبوة ج ٣ ص ٤٣٨ عن ابن إسحاق والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩٠ والارشاد للمفيد ص ٥٩ / ٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩

٥ - هذا كله، عدا عن أن الشعر المنسوب إلى الزبير أنه قاله في هذه المناسبة غير مستقيم الوزن، فليلاحظ ذلك.

وأخير..

فإننا نذكر القارئ الكريم بأن هؤلاء الناس قد عودونا أن يغيروا على فضائل علي وعلى موافقه عليه السلام، وينسبوها لغيره، ممن لهم فيه هوى. ولو لم يستطع أن يسجل حتى موقفا رساليا وجهاديا واحدا طيلة حياته.

إنما هي جيفة حمار:

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله، يشترونها، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم. فقال (ص): إنما هي جيفة حمار، وكره ثمنه، فخلى بينهم وبينه (١).

وقال البعض: إنهم عرضوا الدية، فقال (ص): إنه خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، فلا إرب لنا في ديته، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه (٢).

ص ٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ وحديث العشرة آلاف موجود في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

وفي رواية أخرى: أنهم عرضوا اثني عشر ألفا ثمنا لجسد رجل من المشركين يوم الأحزاب (١).
ونص آخر يقول: إن أبا سفيان هو الذي بعث بديته مئة من الإبل (٢).
ولهذا الحديث نصوص مختلفة، فلتراجع في مصادرها (٣).
وبعد هذا فلا يمكن الاعتماد على رواية الحاكم عن ابن عباس قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوه أن يواروه فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أعطوه الدية (٤).
فإنها رواية لا تصح بأي وجه.
الزبير وهبيرة بن وهب:
يقول القمي: إنه بعد أن قتل علي عليه السلام عمروا " (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب، فضربه على

دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠ وتاريخ الاسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٧ و ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٦.
(٢) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي شيبة.
(٣) راجع بالإضافة إلى جميع المصادر المتقدمة ما يلي:
تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ و ٤٩٢ وتهذيب
سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧
وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وقالا: إنه حديث صحيح.

رأسه ضربة ففلق هامته " (١).
وتقول رواية أخرى، أدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب، فضربه، فقطع ثفر (٢) فرسه، وسقطت درع كانت عليه، فأخدها الزبير (٣).
ونص ثالث يقول: ومر عمر بن الخطاب في أثر القوم، فناوشهم ساعة وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب، فأخذها الزبير (٤).
وهبيرة هو زوج أم هاني أخت علي وأبو أولادها وكان فارس قريش كما يقولون (٥).
نحن نشك في صحة ذلك، وذلك استنادا إلى ما يلي:
١ - لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق هامته، فاللازم أن يكون قد قتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم يقتل آنئذ.
٢ - قد ذكرت بعض النصوص: أن عليا لحق هبيرة فأعجزه، وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه وفر عكرمة، وهرب ضرار (٦).

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨.
(٢) الثفر: سير في مؤخر السرج.
(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ من ٥٣٥ والرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.
(٤) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢.
(٥) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١.
(٦) راجع: الارشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤

٣ - ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولا، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قريش وشاعرها (١) وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته (٢).

٤ - قد اعتذر هبيرة بن أبي وهب عن فراره من وجه علي عليه السلام، فقال.

لعمرك ما وليت ظهرا محمدا * وأصحابه جنبا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء إن رقفت ولا نبلي
إلخ.

ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا عليا بعد قتله عمروا قوله عليه السلام.

أعلي تقتحم الفوارس هكذا * عني وعنهم أخروا أصحابي

ولعل مواجهته لعلي عليه السلام ولو للحظات جعلته يستحق وسام فارس قريش وشاعرها.

٥ - ثم إننا لم نفهم السبب في أن الذين خرجوا في أثر الهاربين هما الزبير وعمر فقط؟! وأين كان عنهم سائر فرسان المسلمين؟ ولماذا لم

والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ وراجع: إعلام الوري ص ١٩٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧.

يتبعهم علي نفسه.
واحدي يا رسول الله:
وروى ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة: أن رجلا من المشركين قال يوم الخندق: من يبارز.
فقال النبي (ص): قم يا زبير.
فقالت صفية بنت عبد المطلب: واحدي يا رسول الله.
فقال: قم يا زبير.
فقام الزبير فقتله. ثم جاء بسلبه إلى النبي (ص) فنفله إياه (١).
ونقول:
إننا نشك في صحة هذه الرواية.
أولا: لان صفية كانت مع النساء في حصن حسان حسبما تقدم، فما الذي جاء بها إلى ساحة القتال، في هذه الساعة الحساسة والحاسمة بالذات. وهل كان (ص) يسمح للنساء بالتردد ساحة الحرب؟!.
وثانيا: إن هذا الحديث مرسل، وهو ينتهي أيضا إلى عكرمة المعروف بالكذب والوضع، وقد تحدثنا عن بعض حاله في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير فليراجع.

---

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩.

وثالثا: إننا نستبعد أن يكون (ص) قد خص الزبير بالطلب إليه أن يبارز ذلك الرجل، وهو قبل قليل قد طلب التطوع من المسلمين بمبارزة عمرو. فما هذه السياسة، وما هي مبرراتها يا ترى؟!

عمر وضرار بن الخطاب:

قال المعتزلي: " وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد مس الرمح رفعه عنه. وقال: إنها لنعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إني كنت آليت أن لا تمكنني يداي من قتل قرشي، فأقتله.

وانصراف ضرار راجعا إلى أصحابه " (١) وهم عند جبل أبي عبيد.

وفي نص آخر ذكر حملة الزبير وعمر بقية أصحاب عمرو، وقد كان ضرار يفر، وعمر يشتد في أثره. فكر ضرار راجعا، وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال:

" يا عمر، هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك، ويد لي عندك غير مجزي بها فاحفظها " (٢).

لكن القمي ذكر للرواية نصا آخر، فقال: " أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهما. فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك،

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

أترميني في مبارزة؟ والله، لئن رميتني لا تركت عدويا بمكة إلا قتلته.
فانهزم عنه عمر، ومر نحوه ضرار. وضربه على رأسه بالقناة،
ثم قال: احفظها يا عمر، فإنني آليت أن لا أقتل قرشيا ما قدرت عليه.
فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فولاه (١).
ونشير نحن هنا إلى ما يلي.
ألف - إن من الممكن أن يكون (ص) قد أمر عمر بمبارزة ضرار، أثناء مبارزة علي عليه السلام لعمرو، فحمل عليه ضرار، حتى إذا وجد مس الرمح رفعه وقال له مقالته تلك. ثم لما قتل عمرو وحسل وهجم علي على ضرار وهبيرة ونوفل فهربوا، عاد وقتل نوفلا.
ب - إننا لا نصدق أن يكون ضرار قد فر من عمر، لان ضرارا يعرف عمر ومدى شجاعته، إلا أن يكون فر من السهم الذي حاول عمر أن يرميه به، ثم عاد فهاجم عمر، وجرى بينهما ما جرى.
ج - إن هذه القضية قد حدثت أيضا بين ضرار وبين عمر في غزوة أحد، وقال له نفس هذه المقالة المذكورة عنه آنفا، وقد ذكرهما الواقدي في كتاب المغازي. وحسب نص الحلبي: إنه ضرب عمر بالقناة ثم رفعها وقال: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب (٢).
د: إننا نجد عمر يهتم بأمر ضرار بصورة ملفتة للنظر، فقد ذكر

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه.
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٨.

القمي: أنه ولاه - وقد تقدم - كما أنه حين قال عبد الرحمان بن عوف لرباح وهم في طريق مكة: غننا.
قال له عمر: إن كنت آخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب (١). وهذا التعظيم لضرار قد سرى إلى الآخرين حتى قالوا عنه: إنه فارس قريش وشاعرهم (٢) ولعلهم أعطوه هذا الوسام لأنه أراد أن يقدم عمر ليس أخا ضرار:
وقد قال البعض: إن ضرار بن الخطاب كان أخا لعمر بن الخطاب (٣).
وهذا غير صحيح، فإن عمر بن الخطاب كان من بني عدي، أما ضرار فكان من بني فهر، وشتان ما بينهما.
والذي أوجب الغلط لدى هؤلاء هو أن أبويهما كان اسمهما الخطاب، فتخيلوا أن الخطاب رجل واحد.
الان نغزوهم ولا يغزوننا:
قال المفيد رحمه الله: " فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع والخطاب، ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير أمير المؤمنين عليه

---

(١) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩.
(٢) الاستيعاب مطبوع بهامش الإصابة ج ٢ ص ٢١٠.
(٣) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

السلام، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمروا ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين.
وقال رسول الله (ص) بعد قتله هؤلاء النفر: الان نغزوهم ولا يغزونا " (١).
الاشعار في غزوة الخندق
هناك أشعار كثيرة في مناسبة غزوة الخندق نختار باقة منها وهي التالية:
عن علي عليه السلام أنه قال:
وكانوا على الاسلام إلبا ثلاثة * فقد خر من تلك الثلاثة واحد
وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد * ولكن أخو الحرب المجرب عائد
نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا * غداة التقينا والرماح مصائد
وعنه عليه السلام:
الحمد لله الجميل المفضل * المسبغ المولى العطاء الجزل
شكرا على تمكينه لرسوله * بالنصر منه على الغواة الجهل
كم نعمة لا أستطيع بلوغها * جهدا ولو أعملت طاقة مقول
لله أصبح فضله متظاهرا * منه علي سألت أم لم أسأل

---

(١) الارشاد للمفيد ص ٦٢. وستأتي فقرة: الان نغزوهم ولا يغزوننا، مع مالها من مصادر في أواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

قد عاين الأحزاب من تأييده * جنده النبي وذي البيان المرسل
ما فيه موعظة لكل مفكر * إن كان ذا عقل وإن لم يعقل
وعنه عليه السلام مخاطبا لعمرو بن عبد ود:
يا عمرو قد لا قيت فارس بهمة * عند اللقاء معاود الاقدام
من آل هاشم من سناء باهر * ومهذبين متوجين كرام
يدعو إلى دين الاله ونصره * وإلى الهدى وشرائع الاسلام
بمهند عضب رقيق حده * ذي رونق يقري الفقار حسام
ومحمد فينا كأن جبينه * شمس تجلت من خلال غمام
والله ناصر دينه ونبيه * ومعين كل موحد مقدام
شهدت قريش والقبائل كلها * أن ليس فيها من يقوم مقامي (١)
وروي أنه لما قتل عمروا أنشد:
ضربته بالسيف فوق الهامة * بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة * وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة * قد قال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة (٢)

المقطوعات الثلاثة المتقدمة في البحار ج ٢٠ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و ج ٤١ ص ٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٦ و ١٠٩ / ١١٠ و ١٢٦ / ١٢٧ والمناقب لابن شهرآشوب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

(٢) البحار ج ٤١ ص ٨٨.

وقال حسان بن ثابت:
أمسى (الفتى) عمر بن عبد يبغي * بجنوب يثرب عادة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة * ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة * ضربوك ضربا غير ضرب المحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة * يا عمرو أو لجسيم أمر منكر (١)
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر:
كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا * ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا * بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم * ولكنه الكفؤ الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه * ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم * شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة * وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم اكفاء صدق فاقبلوا * إليهم سراعا إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية * فدمرهم لما عتوا وتكبروا

---

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٩ و ج ٤١ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٠ والبيت الأول فيه وفي البحار عن الارشاد هكذا.
أمسى الفتى عمر بن عبد ناظرا * كيف العبور وليته لم ينظر

فليس لكم فخر علينا بغيرنا * وليس لكم فخر نعد ونذكر (١)
وروي أن عليا لما قتل عمروا لم يسلبه، وجاءت أخت
عمرو حتى قامت عليه فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: ما
قتله إلا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب،
فأنشأت هذين البيتين (٢): ولكن نصا آخر يقول:
لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟!
فقالوا: ابن أبي طالب.
فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لأرقأت دمعتي إن
هرقتها عليه. قتل الابطال، وبارز الاقران، وكانت منيته على يد كفؤ
كريم من قومه. (وفي لفظ آخر: على يد كريم قومه) ما سمعت بأفخر
من هذا يا بني عامر. ثم أنشأت تقول:
لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به * من كان يدعى قديما بيضة البلد (٣)
وقال المعتزلي: " فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام
قتلهم أظهر وأكثر، أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

---

(١) الارشاد للمفيد ص ٥٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٩ و ج ٤١ ص ٩٩.
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ وحبيب السر ج ١ ص ٣٦٢.
(٣) الارشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ و ج ٤١ ص ٧٣ و ٩٧.

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * بكيته أبدا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له * وكان يدعى أبوه بيضة البلد (١)
وقالت أيضا في ذلك:
أسدان في ضيق المكر تصاولا * وكلاهما كفؤ كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما * وسط المدار مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة * لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله * قول سديد ليس فيه تحامل
والثار عندي يا علي فليتني * أدركه والعقل مني كامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس * فالذل مهلكها وخزي وشامل
ثم قالت: والله، لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب (٢).
وقال مسافع بن عبد مناف يبكي عمرو بن ود. لما جزع المذاد، أي قطع الخندق:
عمرو بن عبد كان أول فارس * جزع المذاد وكان فارس مليل (٣)

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضا ج ٨ ص
١٩٥ وفيه: بكيته ما أقام الروح في جسدي.
وراجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣ وتلخيصه للذهبي مطبوع بهامشه.
(٢) الارشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ و ج ٤١ ص ٩٨.
(٣) الصحيح: يليل، وهو واد ببدر.

إلى أن قال:
سأل النزال هناك فارس غالب * بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب علي ما ظفرت بمثلها * فخرا ولولا قيت مثل المعضل
نفسي الفداء لفارس من غالب * لاقي حمام الموت الخ (١)
وعند ابن هشام: تسل النزال علي فارس غالب.
وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب وتركه عمروا يوم الخندق. ويبكيه:
لعمرك ما وليت ظهرا محمدا * وأصحابه جنبا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء إن وقفت ولا نبلي
إلى أن يقول:
كفتك علي لن ترى مثل موقف * وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوما بمثلها * أمنت بها ما عشت من زلة النعل (٢)
وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمروا ويبكيه:
لقد عليا لؤي بن غالب * لفارسها عمرو إذ ناب نائب

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٨ وذكرها في آخر العثمانية ص ٣٣٦ عنه.
وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٧٨ / ٢٧٩.
(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٢٨٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٦.

وفارسها عمرو إذا ما يسوقه (يسومه) * علي، وإن الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وإنه * لفارسها إذ خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي إن عمروا لكائن * بيثرب لا زالت هناك المصائب
لقد أحرز العليا علي بقتله * وللخير يوما لا محالة جالب (١)
وقال حسان:
لقد شقيت بنو جمح ابن عمرو * ومخزوم وتيم ما نقيل
وعمرو كالحسام فتى قريش * كأن جبينه سيف صقيل
فتى من نسل عامر أريحي * تطاوله الأسنة والنصول
دعاه الفارس المقدام لما * تكشفت المقانب والخيول
أبو حسن فقنعه حساما * جرازا لا أفل ولا نكول
فغادره مكبا مسلحبا * على عفراء لا بعد القتيل (٢)
وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه وتركوه:
عمرو بن عبد والجياد يقودها * خيل تقاد له وخيل تنعل
أجلت فوارسه وغادر رهطه * ركنا عظيما كان فيها أول
عجبا وإن أعجب فقد أبصرته * مهما تسوم علي عمروا ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله * ولقيت قبل الموت أمرا يثقل

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨١ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.
(٢) مسلحب: منبطح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٣ ص ٢٩٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

وهبيرة المسلوب ولى مدبرا * عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كان الباس منه محضرا * ولى كما ولى اللئيم الأعزل (١)
قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.
وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:
بقيتكم عمرو أبحناه بالقنا * بيثرب نحمي والحماة قليل
ونحن قتلنا كم بكل مهندا إلخ...
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان (٢).
وروى المعتزلي عن بعض شعراء الامامية قوله:
إذ كنتم ممن يروم لحاقه * فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب (٣)
ولا ننسى هنا قول الآزري رحمه الله:
فانتضى مشر فيه فتلقى * ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه * يملا الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات * لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي * وعلى هذه فقس ما سواها
المكر المفضوح:
إن من يلاحظ سيرة ابن هشام التي ادعى أنها تلخيص لسيرة ابن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١.
(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ٧.

إسحاق، ويقارن بينها وبين ما وصل إلينا من سيرة ابن إسحاق، من طرق الآخرين يجد: أن ابن هشام لم يكن يريد مجرد تلخيص سيرة ذلك الرجل العلامة الخبير والمعتمد في شأن السيرة النبوية الشريفة. بل أراد أيضا: أن يستبعد نصوصا ذات طابع معين رأى أن الاحتفاظ بها يضر ببعض الاتجاهات أو يضع علامة استفهام كبيرة عليها. وهذا الامر يضع عمل ابن هشام في السيرة في عداد الأعمال الخيانية بالنسبة للحق وللحقيقة. من منطلق تعصب مذهبي بغيض ومقيت.

والذي يلاحظ تعليقات ابن هشام على الاشعار المتقدمة يجد: أنه يحاول التشكيك في خصوص ذلك النوع من الشعر الذي يمقته ويبغضه، ولا يطيقه، فيدعي أن أكثر أهل العلم ينكره لحسان، أو لعلي، أو لمسافع. إلخ.. رغم أننا لم نعثر ولو على رجل واحد قد أنكر أيا من تلك المقطوعات، أو شكك في نسبتها لأصحابها. ما عدا أولئك الذين لا جود لهم إلا في مخيلة ابن هشام.

ولا نريد بعد هذا أن نسأل ابن هشام ولا غيره عن سبب تشكيكهم ذاك فإننا لن نسمع منه جوابا مقنعا ولا مقبولا، مهما طال بنا الانتظار.

تعصب يثير الغثيان:

كنا نتوقع كل شئ من التجني، والافتراء، والتحريف للحقائق الثابتة، بدافع من الحقد والتعصب ضد علي وأهل بيته عليهم السلام، إلا أننا لم نتوقع أن يتجاهل هؤلاء الحاقدون الأغبياء مواقف وبطولات، وأثر علي في حرب الخندق، خصوصا قتله كبش كتيبة

جيش الشريك وعمرو بن عبد ود العامري، لان تجاهل مثل هذا الحدث المصيري، الذي شاع وذاع، يحتاج إلى درجة كبيرة من الشجاعة النادرة، أو فقل إلى درجة عالية من الوقاحة الفاجرة.
وهذا ما حصل بالفعل، حيث نجد بعضهم ليس فقط لا يذكر لعلي عليه السلام خبرا، ولا يورد في مواقفه أثرا. بل هو يكاد يجهر بانكار تلك المواقف الرسالية الرائدة، حيث يقول أحدهم.
" ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا، فأوقع الله بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلتهم. حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة فارتحلوا خائبين " (١) ثم إرسال الزبير بن لكشف خبر القوم.
بينما نجد رجلا مسيحيا، لا يرغب بالاعتراف للمسلمين بشئ ذي بال، يعتبر قتل علي لعمرو ولصاحبه " سبب هزيمة الأحزاب على كثرة عددهم، ووفرة عددهم (٢) ".
فشتان ما بين هذا الرجل، وبين أولئك ولا حول ولا قوة بالله.
من تشكيلات الجاحظ وتعصباته:
قد ادعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا

---

(١) حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ وراجع أيضا الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥٢٦ وقد تعجب منه في سعد السعود ص ١٣٨ / ١٣٩.
(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

في هذه الغزوة (١) وقد حاول الجاحظ أن يدعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة، من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: إن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعر الاخر في رثائه له. وليس أحد يذكر عمروا إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها. وقد شهد بدرا، وجرح فيها، وقتل قوما من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعوه أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها.

وآثاره في أيام الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعهم، وملكهم الرعب والوهل، فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وإنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لانهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا

---

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ وسيرة الرسول ص ٢٢٠.

يرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم، فلم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء (١).
هذا كله، بالإضافة إلى أنه كن قد نذر في بدر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا. وكان أيضا معروفا بفارس يليل، وقد ذكر ذلك مسافع بن عمرو في شعره الذي يرثيه فيه.
وقد وصفه النبي (ص) لعلي بأنه فارس يليل أيضا.
هذا وقد قتل عمرو في بدر عمير بن أبي وقاص، وسعد بن خيثمة (٢) وكان على ميسرة قريش في بدر (٣).
المعركة، التي لا حقيقة لها:
قالوا: ولما قتل عمرو، ورجع المنهزمون إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شئ. ارجعوا.
فنفرت قريش إلى العقيق، ورجعت غطفان إلى منازلها، واتعدوا يغدون جمعيا، ولا يتخلف منهم أحد، فباتت قريش يعبئون أصحابهم، وكذلك غطفان. ووافوا رسول الله (ص) بالخندق، قبل طلوع الشمس، ولم يتخلف منهم أحد. وعبأ (ص) أصحابه، وحضهم على القتال، ووعدهم النصر إن صبروا. والمشركون قد جعلوا

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية ص ٣٣٥ - ٣٣٩.
(٢) قد تقدمت مصادر كثير مما ذكرناه. وراجع أيضا: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٧ وراجع أيضا السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.
(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٠.

المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم. فأحدقوا بكل وجه من الخندق، ووجهوا نحو خيمة رسول الله (ص) كتيبة غليظة، فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم إلى الليل. وكان القتال من وراء الخندق.

فلما حان وقت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا.

فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أنه (ص) قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم (أو قبورهم) نارا.

وفي نص آخر: أنه (ص) ما قدر على صلاة ظهر، ولا عصر، ولا مغرب، ولا عشاء. فجعل أصحابه يقولون: ما صلينا.

فيقول: ولا أنا - والله - ما صليت.

حتى كشف الله المشركين، فرجعوا متفرقين، ورجع كل من الفريقين إلى منزله.

وقال أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق، فكرت خيل المشركين يطلبون غرة، وعليها خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة، فرزق وحشي الطفيل بن النعمان (وقيل: الطفيل بن مالك بن النعمان) بن خنساء الأنصاري السلمي بمزراقه، فقتله، كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد

فلما صار رسول الله (ص) إلى موضع قبته أمر بلالا، فأذن وأقام للظهر، وأقام بعد لكل صلاة إقامة، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها. وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

(أضاف البعض هنا قوله (ص): ما على وجه الأرض قوم

يذكرون الله تعالى في هذه الساعة غيركم).
وقال يومئذ رسول الله (ص): شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى، صلاة العصر، ملا الله أجوافهم وقبورهم نارا.
" ولم يكن لديهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعا بالغرة " (١).
ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي:.
أولا: صرح بعض المؤرخين بأنه بعد قتل عمرو ورفاقه لم يحصل أي قتال، فقال: " ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا، حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل، يطمعون بالغارة " (٢).
وثانيا: إنه إذا كان القتال بهذا العنف، فأين القتلى والجرحى، لا سيما مع اجتماع ألوف من الناس؟ أم يعقل أن تكون جميع تلك السهام والحجارة، والحصى، كانت تذهب سدى ولا تصيب أحدا؟!.

---

(١) راجع هذه النصوص باختيار تازة، وبتطويل أخرى في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ - ٥٣٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ و ٤٧٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٤ و ١٧٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والوفا ص ٦٩٤ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١ و ٤٠٢ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ و ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ - ٢١٢ وراجع: المواهب الدنية ج ١ ص ١١٤ وراجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ عن ابن سعد ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨.

وثالثا: إن القتال لا يمنع من الصلاة بصورة نهاية، فقد كان من الممكن أن يصلوا منفردين، أو أفواجا. وقد ذكر الفقهاء: أن الصلاة لا تسقط حتى عن الغريق. فكيف بالمقاتلين، وصلاة المطاردة حال القتال مذكورة في الكتب الفقهية، وإذا كان المسلمون لا يعرفونها، فالنبي (ص) كان يعرفها، فلماذا لم يصلها؟!.

ورابعا: إن تناقص الروايات في كثير من خصوصياتها يفقدنا الثقة بها، وبالمراجعة والمقارنة يتضح ذلك بجلاء.

ويكفي أن ننبه إلى اختلاف الروايات في الصلاة أو الصلوات التي فاتت النبي والمسلمين.

فهل فاتتهم صلاة فقط كما في حديث جابر (١) وعلي (٢)

---

(١) راجع المصاد المتقدمة، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ وتاريخ الاسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الشيخين، والترمذي والنسائي وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وراجع: بهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وراجع مسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٨٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الخمسة إلا ابن ماجة والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وعن فتح الباري ج ٦ ص ١٠٥ و ج ٧ ص ٤٠٥ والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٣ عن الستة وعن عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي وابن أبي حاتم وراجع: مسند الطيالسي ص ١٦ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٠ عن البخاري والبيهقي، وعبد الرزاق، وأحمد، أبي

وابن عباس (١) وحذيفة وأمن حبيبة (٢).
أم أنهم شغلوا عن الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، كما عن جابر أيضا، وأبي سعيد وابن مسعود (٣).
أو عن الظهر والعصر، كما عن سعيد بن المسيب وابن عباس وعمر وعلي عليه السلام (٤).
أو الظهر والعصر والمغرب كما في رواية أبي هريرة، وأبي سعيد (٥).

عبيد في فضائله والعدني، ومسلم والنسائي وابن جرير، وابن خزيمة، وأبي عوانة وابن زنجويه، وعبد بن حميد وغير ذلك.
(١) كنز العمال ج ١ ص ٢٤٠ عن الطبراني وص ٢٨٦ عن البيهقي.
(٢) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٣ و ٢٨٨.
(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ عن أحمد، والنسائي وأحمد عن ابن مسعود، وعن البزار عن جابر وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ و ١١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ و ٢١٣ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن مصادر عديدة وص ٢٨٨ عن ابن أبي شيبة.
(٤) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ عن الموطأ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٠ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ عن الطبراني والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٣ عن الطبراني، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، ومسلم والنسائي والبيهقي وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٠.
(٥) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢.

وفي الموطأ: أن الفائتة هي الظهر (١). وكذا عن جابر وأم سلمة وعلي وابن مسعود (٢).
وبعض الروايات عن ابن عباس وحذيفة، لم تعين الصلاة أو لم تعين العدو.
قال المقريزي: " فاحتمل أن يكون كله صحيحا، لانهم حوصروا في الخندق، وشغلوا بالأحزاب أياما " (٣).
وقد جمع النووي بين هذه الروايات بأن فوات الصلاة قد حصل مرتين لان الحرب استمرت في الخندق عدة أيام (٤).
استفادات غير موفقة:
وقد حاول البعض أن يستفيد من هذا الحديث المشكوك أحكاما شرعية وغيرها، بعضهم:
" إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير لعذر الحرب، واجازه أحمد وغيره " وقال: " وتكون الصلاة

---

(١) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨.
(٢) راجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ و ٣١٠ والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن البزار وص ٣٠٣ عن مصادر أخرى.
وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٣٩ عن مصادر كثيرة وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧.
(٣) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣.
(٤) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ ومحمد رسول الله (ص) لمحمد رضا ص ٢٣.

المؤخرة أداء لا قضاء " (١).
واستدلوا على ذلك أيضا أي على جواز التأخير لعذر القتال بقوله (ص): لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فمنهم من صلاها في الطريق، ومنهم صلاها بعد الغروب في بني قريظة، ولم يعنف واحدا من الفريقين.
وقالوا: إن هذا قد نسخ بتشريع صلاة الخوف، ولو كانت مشرعة لم يؤخروها (٢).
لكن هذا الكلام لا يصح إذا كان (ص) والمسلمين قد أجبروا على تأخير الصلاة بحيث لم يكن لديهم أي خيار في ذلك، ولا يصح بناء على قول من قال: إن تأخير الصلاة يوم الخندق كان نسيانا (٣) وقد صرحت بذلك رواية عن ابن عباس، قال: إن رسول الله (ص) نسي الظهر والعصر يوم الأحزاب فذكر بعد المغرب، فقال: الهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأ بيوتهم نارا (٤).
وعن أبي جمعة: إن النبي (ص) صلى المغرب، فلما فرغ قال: هل أحد منكم علم أني صليت العصر؟! فقالوا: يا رسول الله ما صليت، فأمر المؤذن فأقام الصلاة، فصلى العصر، ثم أعاد

---

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٠ وراجع ص ٩٥١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وفقه السيرة ص ٣٠٣.
(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤.
(٣) راجع المصادر المتقدمة.
(٤) الدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن الطبراني.

المغرب (١).
أضاف الحلبي: " أقول: يحتاج إلى الجواب عن إعادة المغرب.
وقد يقال: أعادها مع الجماعة " (٢).
الصحيح في القضية:
وأخير، فنحن لا نمانع من أن يكون قد حصل تأخير في أداء الصلاة إلى حد يصدق معه الاضطرار ليمكن للمكلف أن يصلي صلاة المضطر، أو صلاة المطاردة. فإن قوله تعال: (وإن خفتم فرجالا أو ركبانا) (٣) قد ورد في سورة البقرة، النازلة في أوائل الهجرة. وقد روي أن النبي (ص) صلى يوم الأحزاب ايماء (٤) ومعنى ذلك: هو أن الآية المذكورة قد نزلت غزوة الخندق.
وهذه الآية هي غير الآية التي تحدثت عن صلاة الخوف جماعة فراجع.
السر والسبب:
١ - إننا بعد أن استظهرنا عدم صحة ما ذكروه نرى: أن السبب الذي يدعو البعض لإشاعة أمور كهذه هو الرغبة في تبريز تهاون الحكام بصلاتهم، وتأخيرهم، وتأخيرهم لما عن أوقاتها - كما ذكرناه في الجزء

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢.
(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.
(٣) البقرة / ٢٣٩.
(٤) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٩٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٣٤٤.

الأول من هذا الكتاب، ولا يهمهم أن يكون ذلك على حساب كرامة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والنيل من عصمته، وعقله وحكمته.

٢ - قد يكون السبب هو ما جرى لعمر بن الخطاب حيث فاتته الصلاة في غزوة الخندق، حيث قال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. قال النبي (ص): والله ما صليتها، فنزلنا مع رسول الله (ص) إلى بطحان. فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها. فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب (١).

٣ - إن دعوى وجود قتال ضار استمر ثلاثة أيام، أو أكثر أو أقل قد يكون الهدف منها هو التضخيم والتهويل في قوة المشركين، والتأكيد على شوكتهم وعلى ارتفاع معنوياتهم بعد قتل عمرو بن عبد ود ورفاقه، الامر الذي ينتج عنه أن لا يكون علي عليه السلام قد حقق إنجازا ذا بال، فضلا عن أن يكون ما جرى قد أسهم في هزيمة المشركين بطريقة أو بأخرى.

٤ - إن ذلك أيضا سوف يحدث ترديدا وتشكيكا في قيمة الأوسمة التي حباه بها رسول الله، وفي استحقاقه عليه السلام لها، وفي جدارته لحملها.

---

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢ وتاريخ الاسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٤، والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ عن الشيخين، والترمذي والنسائي.

الفصل العاشر:
كيف انتهت حرب الخندق

ما فعله نعيم بن مسعود:
لقد حاول المؤرخين، والمحدثون الذين توجههم التيارات والقوى والتعصبات السياسية، والمذهبية، والاحقاد - حاولوا - التعتيم على النصر المؤزر الذي سجله علي أمير المؤمنين في حرب الأحزاب بطريقة أخرى غير طريقة تضخيم الأمور، وادعاء حصول قتال شغلهم عن صلاة العصر، وغيرها.
فادعوا: أن نعيم بن مسعود قد قام بدور فاعل وأساس في تخذيل القوم، والقاء الريب والشك ببعضهم البعض فيما بينهم.
فيدعي المؤرخون: أن نعيم بن مسعود الغطفاني جاء إلى رسول الله (ص) مسلما - وكان من دواهي العرب - فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت أنته إليه (١).
فقال له صلى الله عليه وآله: إنما أنت رجل واحد فينا، وإنما غناؤك أن تخذل عنا ما استطعت. وعليك بالخداع، فإن الحرب

---

(١) يقول القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٨١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه: إن قريظة قد نقضوا العهد نهارا، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود إلى النبي، وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام.
ونقول: لماذا أخر نعيم مجيئه إلى النبي (ص) ليعلن إسلامه هذه المدة الطويلة؟! وآثر البقاء في صفوف أهل الشرك.

خدعة. وحسب نص المقدسي أنه (ص) قال له: إن الحرب خدعة، فاحتل لنا.
فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديما لهم، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.
قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.
فقال لهم: إن قريشا وغطفان ومن التف معهم جاؤوا لحرب محمد، فإن ظاهرتموهم عليه، فليسوا كهيئتكم. وذاك أن البلد بلدكم، به أموالكم، وأولادكم، ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا إلى غيره. فأما قريش وغطفان، فإن أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم ببلاد غير بلادكم، فإن رأوا نهبة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل. والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به، وإن خلا لكم. (زاد الواقدي.. وقد كبر عليهم جانب محمد، أجلبوا عليه بالأمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن ود وهربوا منه مجرحين). فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه.
قالوا: لقد أشرت علينا برأي ونصح.
ثم خرج أتى قريشا. فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: يا معشر قريش: قد عرفتم ودي إياكم، وفراقي محمدا، وقد بلغني أمر رأيت حقا علي أن أبلغكم، نصحا لكم، فاكتموا علي.
قالوا: نفعل.

قال: اعلموا: أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا - وأنا عندهم - أن قد ندمنا على ما صنعنا، فهل يرضيك عنا: أن نأخذ من القبيلتين (مئة رجل، كما عند المقدسي) من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم، وكبرائهم، ونعطيكهم، فتضرب أعناقهم. ثم نكون معك علي بن بقي منهم (أضافت بعض المصادر: وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعنون بني النضير)، فإن بعثت إليك يهود، يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا.

فوقع ذلك من القوم

وخرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني.

قالوا: صدقت.

قال: فاكتموا علي.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم.

فأرسل أبو سفيان (١)، ورؤس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن

---

(١) وذكرت بعض المصادر: أن اليهود هم الذين أرسلوا عزال بن سموأل يطلبون التواعد على الزحف بشرط اعطائهم رهائن من أشرافهم سبعين رجلا، فلم يرجعوا إليهم بجواب.

أضافت بعض المصادر: أن نعيما عاد إلى بني قريظة وأخبرهم: أن أبا سفيان قال بعد أن عزال: لو طلبوا مني عناقا ما رهنتها.

راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ وإمتاع الأسماع ج ١

أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه.
فأرسلوا إليه: أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا (وكان قد أحدث فيه بعض الناس شيئا فأصابه ما لم يخف عليكم) ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم (سبعين رجلا)، يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمدا، فإننا نخشى - إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال - أن تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد.
وأرسلت غطفان مسعود بن رخيلة في رجال بمثل ما راسلهم به أبو سفيان..
فلما رجعت الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله، إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق.
فارسلوا إلى بني قريظة: إنا والله ما ندفع إليكم رجلا واحدا، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا (١).

ص ٢٣٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٢ و ٤٨٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦.
(١) ويذكر الواقدي: أن الزبير بن باطا قد نصحهم بعدم طلب الرهن من قريش، لأنها لا تعطيهم إياه، وهم أكثر عددا ومعهم كراع ولا كراع مع بني قريظة
" وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه. وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة، فأبى أن يعطيهم إلا السيف " فلم يوافق الزبير أحد من قومه، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان إلخ

فقالت بنو قريظة حين أدت إليهم الرسل: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فان وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل.

فأرسلوا إلى القوم: إنا - والله - لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا.

قالوا: وتكررت رسل قريش وغطفان إلى بني قريظة، وهم يردون عليهم بما تقدم، فيئس هؤلاء من نصر هؤلاء.

وتخاذل القوم، واتهم بعضهم بعضا.

وذلك في زمن شات، وليال باردة، كثيرة الرياح، تطرح أبنيتهم، وتكفأ قدورهم إلخ..

ولما طالب أبو سفيان حيي بن أخطب بالأمر، حاول حيي أن يقنع بني قريظة بالعدول عن ذلك، فلم يفلح (١) ورواية القمي تختلف

راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ و ٥٤٤. (١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ - ٥٤٥. وتجد هذه القضية بتخليص أو بدونه في المصادر التالية:
الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٦ ٢٣ - ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٢ ص ١١١ و ١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٥ - ١٧٧ وتاريخ

عن هذه الرواية فلتراجع (١).
ونقول
كان ما تقدم هو النص الذي يذكره أكثر المؤرخين مطولا أو ملخصا، لهذه القضية. وتساورنا شكوك حول صحة ذلك. نرى أن ما جرى لم يكن بهذا الشكل، وذلك بالنظر إلى الأمور التالية:
أولا: يقول البعض عن دور نعيم: " يمكن أن يكون في ذلك مبالغة، لان القصة تروى عن نعيم نفسه، بواسطة رواة أشجع " (٢).
ثانيا: بالنسبة لطلب الرهائن تقول رواية نعيم بن مسعود: ان ذلك قد كان بعد نقض بني قريظة للعهد مع النبي. وبعد أن طال الحصار على قريش. وبإيحاء من نعيم بن مسعود بالذات.
لكن هناك نص يقول: إنهم قد طلبوا الرهائن حين كلمهم حيي

الخميس ج ١ ص ٤٩٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢ ص ٣٠ و ٣١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٤ و ٦٥ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ و ١٥٢ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٤ وشرح الاخبار ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٦ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤١ و ٢٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ - ١٩٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٦ - ٢١٩ و ٢٢٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٧١.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٤ وفيه أن نعيم بن مسعود حرض أبا سفيان على طلب الرهن من بني قريظة، عشرة رجال من أشرافهم.

(٢) محمد في المدينة ص ١٣٩.

بن أخطب في نقض العهد. فإنهم طلبوا منه: أن يأخذ لهم رهائن من قريش وغطفان تكون عندهم. تسعين رجلا من أشرافهم (١) وذلك قبل إسلام نعيم.

وقد حاول البعض أن يحل هذا الاشكال، فقال: " قد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله (ص) يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة " (٢).

وهو حل غير مقبول لانهم بعد أن يئسوا من انتظام أمرهم مع المشركين، وصيرورتهم في الموقف الأضعف، وأصبحوا يخشون على أنفسهم من مغبة غدرهم، وعواقب خيانتهم وما جنته أيديهم، لم يكونوا ليجرأوا على اشتراط إرجاع بني النضير إلى أراضيهم.

أضف إلى ذلك: أن هذا الاحتمال الذي ذكره ابن كثير لا يحل اشكال أن يكون طلب الرهائن قبل إسلام نعيم. حسبما أوضحناه.

وثالثا: إننا لا نكاد نصدق دعوى نعيم: أن قريظة قد أرسلت بحضوره إلى النبي (ص) تعده بأخذ سبعين، أو تسعين رهينة من أشراف قريش وغطفان ليقتلهم. إذا أن نعيم بن مسعود نفسه كان من غطفان، فهل يجهر بنو قريظة أمام غطفاني - مهما كانت درجة إخلاصه لهم - بأنهم يريدون أخذ أشراف قومه ليسلوهم إلى القتل؟!.

وهل يمكن أن يصدقه المشركون: أنه قد سمع ذلك حقا من بني

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ و ١٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣.

قريظة؟!.
ورابعا: لو صحت قصة نعيم النحو المذكور آنفا، لكان يجب أن نتوقع من حيي بن أخطب موقفا آخر من بني قريظة. فيتملص من تعهداته لهم، ولا يسلم نفسه إلى القتل بدخوله معهم في حصنهم بعد رحيل قريش، لان لديه حجة واضحة، وهي أن الاخلال وإفشال ما جمعه من كيد إنما من قبل بني قريظة أنفسهم، فإنهم هم الذين أخلوا بتعهداتهم تجاه قريش، وليس العكس.
وخامسا: هناك العديد من الروايات التي تؤكد على أن النبي الأعظم صلى الله وآله وسلم نفسه هو الذي أفسد العلاقة بين قريش والمشركين من جهة، وبين بني قريظة من جهة أخرى. وليس نعيم بن مسعود بل كان هو الاخر غافلا عن حقيقة التدبير النبوي في هذا المجال. والنصوص المشار إليها هي التالية:
١ - قال ابن عقبة: إن نعيم مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث. فاتفق أنه مر بالقرب من رسول الله (ص) ذات يوم عشاء، فأشار إليه (ص) أن فجاء فقال: ما وراءك؟!.
فقال: إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك. فقالت قريظة: نعم، فأرسلوا إلينا بالرهن.
قال: فقال له رسول الله (ص): إني مسر إليك شيئا فلا تذكره.
قال: " إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح، وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم "
فخرج نعيم بن مسعود عامدا إلى غطفان.

وقال رسول الله (ص): الحرب خدعة. وعسى أن يصنع لنا.
فأتى نعيم غطفان وقريشا فأعلمهم. فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه. فاتفق ذلك ليلة السبت، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم، فاعتلت اليهود بالسبت. ثم أيضا طلبوا الرهن توثقة، فأوقع الله بينهم واختلفوا. (١)
ونعتقد أن هذه الرواية هي الأقرب إلى الصواب. ويشهد لذلك ما يلي.
٢ - قال القمي: إنه لما بلغ النبي (ص) نقض بني قريظة للعهد، قال " لعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان على عهد رسول الله (ص) عيون لقريش، يتجسسون خبره " (٢).
٣ - عن علي عليه السلام قال: الحرب خدعة. إذ حدثتكم عن رسول الله (ص) حديثا، فوالله، لان أخر من السماء أو تخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب على رسول الله (ص). وإذ حدثتكم عني، فإن الحرب خدعة.
فإن رسول الله (ص) بلغه: أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: إنكم إذا التقيتم أنتم ومحمد (ص) أمددناكم وأعناكم.

---

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٦ و ٢١٧ وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.
(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

فقام النبي (ص)، التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا.
فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم (١).
٤ - عن عائشة: كان نعيم رجلا نموما، فدعاه (ص)، فقال: إن يهود قد بعث إلي: إن كان يرضيك عنا: أن نأخذ رجالا رهنا من قريش وغطفان، من أشرافهم، فندفعهم إليك فتقتلهم. فخرج من عند رسول الله (ص)، فأتاهم، فأخبرهم بذلك.
فلما ولى نعيم، قال رسول الله (ص): إنما الحرب خدعة (٢).
٥ - ويروي الواقدي عن أبي كعب القرظي: أنه لما جاء حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد يريده على نقض العهد قال له: لا تقاتل حتى تأخذ سبعين رجلا من قريش وعطفان رهانا عندكم.
وذلك من حيي خديعة لكعب حتى ينقض العهد. وعرف أنه إذا نقض العهد لحم الامر. ولم يخبر حيي قريشا بالذي قال لبني قريظة، فلما جاءهم عكرمة يطلب منهم أن يخرجوا معه البست قالوا: لا نكسر البست، ولكن يوم الأحد. ولا نخرج حتى تعطونا الرهان.
فقال عكرمة: أي رهان؟!
قال كعب: الذي شرطتم لنا.
قال: ومن شرطها لكم؟.

---

(١) راجع: قرب الإسناد ص ٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٦ عنه و ج ١٠٠ ص ٣١ والوسائل ج ١١ ص ١٠٢ و ١٠٣.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩.

قالوا: حيي بن أخطب. فأخبر أبا سفيان ذلك، فقال: يا يهودي، نحن قلنا لك كذا وكذا.
قال: لا، والتوراة ما قلت ذلك.
قال أبو سفيان: بل هو الغدر من حيي.
فجعل حيي يحلف بالتوراة ما قال ذلك (١).
وفي نص آخر: قال كعب: يا حيي، لا نخرج حتى نأخذ من كل أصحابك من كل بطن سبعين رجلا رهنا في أيدينا.
فذكر ذلك حيي لقريش ولغطفان، وقيس. ففعلوا، وعقدوا بينهم عقدا بذلك حتى شق كعب الكتاب.
فلما أرسلت إليه قريش تستنصره قال: الرهن. فأنكروا ذلك واختلفوا (٢).
٦ - قال نص آخر ما ملخصه:.
حدثني معمر، عن الزهري: أرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيان: أن ائتوا فإنا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم، فسمع ذلك نعيم بن مسعود، وكان موادعا للنبي (ص) فأقبل إلى النبي (ص) فأخبره.
فقال (ص): فلعلنا أمرناهم بذلك.
فقام نعيم بكلمة رسول الله (ص)، وكان نعيم رجلا لا يكتم

---

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٨٥ / ٤٨٦ وذكر ابن عقبة أيضا ما فعله عكرمة راجع السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩.
(٢) المغازي ج ٢ ص ٦ ٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٠١

الحديث فلما ولى من عند رسول الله (ص) ذاهبا إلى غطفان قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما هذا الذي قلت؟ إن كان أمر من الله تعالى فأمضه، وإن كان هذا رأيا من قبل نفسك، فإن شأن بني قريظة هو أهون من أن تقول شيئا يؤثر عنك.

فقال (ص): بل هو رأي رأيته، الحرب خدعة. ثم أرسل (ص) في أثر نعيم فدعاه، فقال (ص) له: أرأيت الذي سمعتني قلت آنفا؟

اسكت عنه، فلا تذكره فإنما أغراه. فانصرف من عند رسول الله (ص) إلى عيينة ومن معه من غطفان، فقال لهم: هل علمتم محمدا قال شيئا قط إلا كان حقا؟! قالوا: لا. فإنه لي فيما أرسلت به إليكم بنو قريظة: " فلعلنا نحن أمرناهم بذلك " ثم نهاني أذكره لكم.

فأخبر عيينة بن حصن أبا سفيان بذلك، فقال: إنما في مكر بني قريظة.

فقال أبو سفيان: نرسل إليهم الان فنسألهم الرهن، فإن دفعوا الرهن إلينا، فقد صدقونا، وإن أبو ذلك فنحن منهم في مكر.

فأرسلوا إليهم يطلبون الرهن ليلة السبت، فامتنعوا من اعطائه لأجل السبت. فقال أبو سفيان ورؤس الأحزاب: هذا مكر بني فريظة، فارتحلوا فقد طالت اقامتكم، فاذنوا بالرحيل، وبعث الله تعالى عليهم الريح، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله.

فارتحلوا، فولوا منهزمين.

ويقال: إن حيي بن أخطب قال لأبي سفيان: أنا آخذ لك من بني قريظة سبعين رجلا رهنا عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا، فهم أعرف بقتال محمد وأصحابه. فكان هذا الذي قال: إن أبا سفيان طلب الرهن.

قال ابن واقد: وأثبت الأشياء عندنا قول نعيم الأول (١).
ونقول:
إننا نلاحظ: أن هذه الرواية، وكذلك رواية جعل ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن تظهر: أن سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، يعتقدون أن النبي (ص) يتصرف أحيانا انطلاقا من هدى الوحي، ووفق التدبير والتسديد الإلهي. ويتصرف أحيانا أخرى، انطلاقا من رأيه الشخصي، ووفقا لهواه الذي قد يصيب وقد يخطئ. وهذا بالذات هو ما عبر عنه عمر بن الخطاب هنا.
ثم أظهرت هذه الرواية وتلك: أنه (ص) قد اعترف هو نفسه بهذا الامر وقرره بصراحة ووضوح.
مع أن نبينا الأكرم أجل من أن يتصرف أو يتكلم بوحي من الهوى وبغير إذن من الله سبحانه. ولا يخرج من بين شفتيه إلا الحق والصدق، والهدى، ولا شئ غير ذلك. وملاحظة أخرى نسجلها على هذه الرواية وهي: أن نعيم بن مسعود قد أخبر عيينة بن حصن ومن معه من غطفان بمقالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالطريقة التي لا بد أن يعرفوا منها: أن نعيما هو الذي أخبر النبي (ص) بما أرسلت به قريظة إليهم. وهو ينطوي على مخاطرة واضحة حين يكتشف عيينة وغطفان أن نعيما قد انهم $ وأفش سرهم، ولن يسكتوا عن هذا الامر أبدا.

---

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ والمصنف ج ٥ ص ٣٦٨ و ٣٦٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ عن ابن جرير.

إلا أن يكون الرواي قد نقل أصل الحدث ذاهلا عن الصياغة الحقيقية التي أظهرها نعيم لقومه.

اللمحات الأخيرة:

١ - قد يظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن نعيم بن مسعود كان يتجسس للمشركين. وأن رسول الله (ص) كان عارفا بأمره، فاختاره (ص) ليلقي إليه قوله ذاك الذي انتهي بتخذيل الأحزاب، وشكهم ببعضهم البعض.

٢ - ثم إن لنا تحفظا آخر هنا، وهو أن تسليم سبعين رهينة من أشراف قريش وغطفان إلى النبي (ص) ليقتلهم، إنما يعني أن يستقل اليهود من بني قريظة بعداوة الأحزاب وكل من له بهم صلة أو هوى في المنطقة بأسرها، ولا طاقة لليهود أبيهم. يمكن أن يصدق المشركون أن يقدم اليهود على أمر كهذا؟!.

وهذا يعني أن ما ذكرته النصوص الأخرى المتقدمة أقرب إلى الصواب. وأولى بالاعتبار.

٣ - وقد تقدم في بالجزء الثامن: أن نعيم بن مسعود وحسان بن ثابت قد أظهرا تعاطفا واضحا مع بني النضير حينما أجلاهم رسول الله (ص) فتصدى لهما أبو عبس ورد عليهم بقوة (١)، فراجع.

وقد يستفيد البعض من ذلك: أن نعيم بن مسعود كان حينئذ مسلما. فما معنى قولهم هنا: إنه قد أسلم في غزوة الخندق؟!.

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

التبرير بلا مبرر:

ويقول البعض: " كان لوحدة الصف الاسلامي، وانضباط المسلمين ووقوفهم صفا واحدا خلف قائدهم أثر كبير في تطور الموقف ونتائجه، سيما وأن خصومهم كانوا على نقيض ذلك. وهذا ما سهل كثيرا مهمة الدبلوماسية الاسلامية، التي اعتمدت اعتمادا رئيسيا على هذه الناحية، فنجحت في تفريق صفوف الأحزاب، وتشتيت شملهم " (١).

ونقول:

أن هذا الكاتب قد نسي المتخاذلين والمنافقين، الذين كانوا يتسللون لواذا، ويتركون النبي صلى الله وسلم، ويحتجون لانسحابهم من المعركة بحجج واهية. وكان لهم دور رئيس في تخذيل الناس، وبث الرعب والخوف في نفوس الكثيرين منهم. ونسي أيضا تخاذلهم عن عمرو بن عبد ود ورفاقه، وهم أقل عددا من أصابع اليد الواحدة. نعم لقد نسي ذلك، وجاء ليدعي أن الصف الاسلامي كان على غاية من القوة والتماسك خلف قائده. مع أنهم يذكرون - كما تقدم وسيأتي إن شاء الله - أنه صلى الله عليه وآله قد بقي في ثلاث مئة من أصحابه، بل ذكرت بعض النصوص: أنه لم يبق معه سوى اثني عشر رجلا فقط.

كما أن هذا الكاتب لم يعرف: أن نعيم بن مسعود لم يكن هو بطل القصة. بل كان المحرك والمحور الأساس فيها هو

---

(١) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٦.

رسول الله (ص) نفسه حسبما أوضحناه آنفا.
الشائعات والحرب النفسية:
قد روي عن علي عليه السلام، أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم الخندق: الحرب خدعة ويقول: تكلموا بما أردتم (١).
وقد اتضح مما تقدم أيضا: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمل على ايقاع الشك والريب فيما بين الأحزاب بالطريقة الاعلامية الذكية والواعية، حتى تحقق له صلى الله عليه وآله ما أراد، واستطاع من خلال ذلك أن يفشل كل مخططاتهم، ويبطل كل ما بذلوه من جهد وكيد.
وقد تجلت لنا من خلال ذلك أهمية الاعلام الحربي الموجه، وأنه قد يهزم الجيوش، ويثل العروش. إذا كان هادفا وواعيا وذكيا.
الدعاء والابتهال:
لقد دعا النبي صلى الله عليه وآله على الأحزاب، فاستجاب الله تعالى له. يقول المؤرخون والمحدثون: إنه (ص) أتى مسجد الأحزاب يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء. فدعا عليهم يوم الأربعاء بين الصلاتين، قال جابر: فعرفنا البشر في وجهه (٢).

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٢ وفي هامشه عن التهذيب ج ٢ ص ٥٣.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠.
و ٤٩١ وإعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠٠ والكافي ط دار الأضواء ج ٨

وفي نص آخر: انتظر (ص) حتى زالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو، فاصبروا، واعلموا: أن الجنة تحت ظلال السيوف (١).

ثم قال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وانصرنا عليهم وزلزلهم (٢).

وعن ابن المسيب أنه (ص): لما اشتد عليهم الحصار قال: " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد " (٣).

ص ٢٣٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وفيه: " الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر ".

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن الصحيحين، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٠٩ و ١١٠ ط مؤسسة آل البيت، والجعفريات ص ٢١٨ وتيسير المطالب ص ٢٤٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣

وعند الراوندي: أنه (ص) صعد مسجد الفتح، فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعدها، فبعث الله ريحا قلعت خيم المشركين إلخ.. إلى أن قال: ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره، فصاح بحذيفة بن اليمان، وكان قد ناداه قريبا ثلاثا إلخ... ثم ذكر إرساله لكشف خبرهم (١).

وقد ذكرت أدعية أخرى عديدة له (ص) في يوم الأحزاب فلتراجع في مصادرها (٢).

ولعله صلى الله عليه وآله قد دعا بذلك كله في مواقف مختلفة.

وآخر ما نذكره نحن هنا:

ما عن الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل من شئ نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر.

قال: نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.

قال: فصرف الله تعالى ذلك (٣).

ص ٤٠٣ و ٤٠٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ١٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي، ح ٢ ص ١٨٦ وغير ذلك.

(٢) راجع بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢١٢ و ٢١٣ ومهج الدعوات ص ٧٠ و ٧١ والوسائل ج ١٠ ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن أحمد، وابن أبي حاتم وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ وفتح الباري ج ٧

ونقول:
إن لنا هنا وقفات:
إحداها: إن رواية عبد الله بن أبي أوفى المتقدمة موضع ريب وشك، لان المسلمين لم يتمنوا لقاء العدو آنئذ، بل كان الحال يزداد شدة وصعوبة عليهم يوما بعد يوم، وكان الخوف مسيطرا على الكثيرين، فإن كان النبي (ص) قد قال كلاما من هذا النوع، فلا بد أن يكون قد قاله في مناسبة أخرى، غير مناسبة الخندق.
أضف إلى ذلك: أننا نستبعد كثيرا: أن يقول النبي (ص) كلاما من هذا النوع، وذلك لما يحمل في طياته من تضعيف وتخذيل لم يكن النبي (ص) ليقدم عليه في حالات الحرب.
الثانية: إننا نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يلتجئ للصلاة وللدعاء، ويوجه الناس إلى الله سبحانه في هذه الظروف الحرجة، التي يكون فيها الانسان أكثر من أي وقت مضى مؤهلا للتفاعل مع الحالات الروحية.
يساعد على ذلك أنه في هذه الظروف بالذات تكون نظرته إلى الأمور واقعية وسليمة، لا تشوبها نوازع نفسية، ولا أهواء ولا غيرها مما من شأنه أن يضخم الأمور له، أو يمنعه من رؤيتها على حقيقتها.
وذلك لأنه حين تصبح القضية لها مساس بمصيره وبحياته، فإنه لا بد له من أن يحدق بها، ويكشف كل خباياها وخفاياها، وتتبلور فيه حساسية خاصة تجاه أية بادرة يلاحظها، إذا كانت تصب في نفس

ص ٣٠٩.

الاتجاه الذي يسير فيه، أو تؤثر على الواقع الذي يتعامل معه، سلبا كان ذلك التأخير أو ايجابا.

وإذا كان ثمة ارتباط في هذه الناحية بالذات بالغيب، وبالله سبحانه على الخصوص، فإن التأثير يصبح أكثر عمقا وأصالة وشمولية، لأنه يرتكز على الناحية العقيدية والايمانية والشعورية، ومداها، قبل أن يدخل في الحسابات المادية وفي نطاقها.

فإذا كانت الناحية الايمانية تقوم على أساس فكري راسخ وتستند إلى القناعة من خلال الدليل الصحيح والقاطع، فإنها تستمد حينئذ من اللامحدود، وتستند إلى المطلق، الذي الذي يملك القدرة على استيعاب المحدود، مهما كانت قوته، ومهما اشتد وتعاظم خطره.

الثالثة: من الواضح: أن التربية الروحية بحاجة إلى القول وإلى المعل، فإن ذلك يفيد في نيل درجات القرب، ويؤثر أيضا في التصفية والتزكية، بما توحي به الكلمة عن معان، وتنشره من ظلال روحية، وتثيره من نسمات ايمانية أنيسة ودافئة.

كما أن العمل العبادي بما يمثله من تجسيد للحالة الروحية والنفسية يستطيع أن يرسخ الوعي في المشاعر وفي الخواطر، فتثير لديه وعيا جديدا، وأملا وليدا.

الريح والملائكة:

قد عرفنا فيما تقدم: أن رسول الله (ص) قد دعا على الأحزاب، في مسجد الأحزاب، يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، فاستجب له يوم الأربعاء.

١ - قالوا: فلما كان ليلة السبت بعث الله الريح على الأحزاب، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله، ولا يقر لهم قدر ولا بناء. وقام رسول الله (ص) يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل. وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف، وكان إذا حزبه أمر أكثر من الصلاة (١). وكان ذلك في أيام شاتية (٢) وبرد شديد (٣).

وقال البعض: أرسل الله تعالى الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرجل، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، وأنزل الله إلخ " (٤).

وكانت الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم هي ريح الصبا، فأكفأت قدورهم، وطرحت آنيتهم، نزعت فساطيطهم (٥).

وفي نص آخر، بعث الله عليهم ريحا وظلمة، فانصرفوا هاربين لا يلوون علي شئ، حتى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقولة. فلما

---

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥.

(٣) الجامع للقيرواني ص ٢٨١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ٤ ص ٥٤٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١٢.

(٥) راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٩٢ عن مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

بلغ رسول الله (ص) ذلك قال: عوجل الشيخ (١).
ويقول نص آخر: " كان الله عز وجل قبل رحيلهم قد بعث عليهم بالريح بضع عشرة ليلة، حتى ما خلق الله لهم بيتا يقوم، ولا رمحا، حتى ما كان في الأرض منزل أشد عليهم ولا أكره إليهم من منزلهم ذلك، فأقشعوا والريح أشد ما كانت، معها جنود الله لا ترى. كما قال الله عز وجل إلخ. (٢).
ولكن هذا النص الأخير لا ينسجم ما تقدم، وما سيأتي في حديث حذيفة أيضا: من أن إرسال الريح عليهم إنما كان بعد دعاء النبي (ص) عليهم، وذلك بعد قتل عمرو بن عبد ود. وأن ذلك لم يدم إلا مدة يسيرة انتهت بفرارهم. بل لقد أخبرهم النبي (ص) ليلة الأحزاب بالريح، كما صرحت به النصوص.
كما أننا لا نرى مبررا لان يصمدوا أمام هذه الريح العاتية هذه المدة الطويلة.
والنصوص التاريخية حول ما صنعته الريح بهم كثيرة، وسيأتي في حديث حذيفة المزيد.
أما بالنسبة لارسال الملائكة، فإن النصوص فيه أيضا كثيرة.
ويذكر المفسرون أن آية قرآنية قد ذكرت إرسال الريح والملائكة على الأحزاب، وهي قوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع الخرائج والجرائح منشورات مصطفوي ص ١٥٢ والبحار. ج ٢٠ ص ٢٤٩.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦.

فأرسلنا عليهم ريحا، وجنودا لم تروها. وكان الله بما تعملون بصيرا) (١).

ويظهر من بعض النصوص: أن ما فعلته الريح هو نفس ما فعلته الملائكة، وأن حركة الريح هي حركة الملائكة بالذات، فهو يقول: وكثير يومئذ، تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، وكانوا ألفا. ولم تقاتل يومئذ، وسمعوا قعقع \ ة السلاح، ولكن قلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فارتحلوا، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم (٢).

١ - وقيل: إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذ، بل كانوا يشجعون المؤمنين، ويجبنون الكافرين (٣).

٢ - في رواية: أن الملائكة قطعت أوتاد الخيام، وأطفأت نيرانهم، ورأى الجيش أنه لا خلاص لهم إلا بالفرا (٤).

٣ - قال البعض: وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم، حتى إذا اجتمعوا عنده

---

(١) سورة الأحزاب / ٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ عن ابن ظفر في الينبوع، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وراجع، سعد السعود ص ١٣٨.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٢ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١.

(٤) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٤.

قال: النجاة النجاة، أتيتم (١)، لما بعث الله عليهم من الرعب.
٤ - قال البلاذري: " وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم " (٢).
٥ - قيل إنما بعث الله الملائكة تزجر خيل العدو وابلهم، فقطعوا مدة ثلاثة أيام في يوم واحد فارين منهزمين (٣).
٦ - جاءت الملائكة، فقالت: يا رسول الله، إن الله قد أمرنا بإطاعة لك، فمرنا بما شئت.
فقال: زعزعي المشركين وأرعبيهم، وكونوا من ورائهم.. أي فهي قد نفثت الرعب في قلوبهم (٤).
٧ - وقالوا إن الملائكة لم تقاتل يومئذ (٥).
مهمة حذيفة بن اليمان:
وبعد أن بقي النبي (ص) في اثني عشر رجلا (٦)، أو في ثلاث

---

(١) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٩٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦ ولم يذكر الملائكة. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وسعد السعود ص ١٣٨.
(٢) أنساب الأشراف ص ٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.
(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.
(٤) راجع الخرائج والجرائج ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ وراجع ص ٢٣٠ وراجع تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦.
(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٥ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.
(٦) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه.

مئة رجل - كما في روايات أخرى عن حذيفة -، يحدثنا حذيفة عن تلك الليلة قام الرسول فيها على التل، الذي عليه مسجد الفتح في ليلة ظلماء ذات قرة (١).

وكان المسلمون صافين قعود، والأحزاب فوقهم، وقريظة أسفل منهم، يخافونهم على ذراريهم، ونحن نلخص كلامه هنا، فقد قال: ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحا منها، في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه.

فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله، ويقولون: " إن بيوتنا عورة، وما هي بعورة " فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاث مئة، أو نحو ذلك.

فطلب النبي أن يأتيه أحد من شدة الجوع والقر والخوف، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ابعث حذيفة

فلما كلم النبي حذيفة تقاصر إلى الأرض، كراهية أن يقوم فأمره (ص) بالقيام، فقال له (ص): إنه كائن في القوم خبر، فأتني بخبر القوم. وفي نص آخر: إن الله قد أخبرني: أنه قد أرسل الرياح على قريش فهزمهم.

فشكى إليه البرد، فقال له (ص): لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي. فذكر له أنه يخاف الأسر والتمثيل به فقال: إنك لن تؤسر، فخرج حذيفة، فدعا له النبي (ص)، فذهب الفزع، والبرد عنه.

---

(١) إعلام الورى ط دار المعرفة ص ١٠١ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦.

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حمام (١). فلما وليت دعاني، فقال: يا حذيفة، لا تحدثن في شيئا حتى تأتيني.
وفي رواية: أنه (ص) قال له: إئت قريشا، فقل: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إذا كان غدا، أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس، فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم.
ثم ائت بني كناية، فقل: (وعلمه ما يشبه الكلام السابق لقريش، وكذا الحال بالنسبة لقيس).
فذهب حذيفة فلما دنا منهم رأى أدهم ضخما عند نار توقد، وحوله عصبة، وقد تفرق الأحزاب عنه، و هو يقول: الرحيل الرحيل.
ولم يكن حذيفة يعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزع سهما ليرميه. فذكر وصية النبي (ص) له، فأمسك.
قال: فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم غيرهم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه.
فضربت بيدي على يد الذي عن يمني، فأخذت بيده، فقلت: من أنت؟! قال: معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص. وفي نص آخر: سهيل بن عمرو وفي آخر: سبحان الله أما تعرفني؟! أنا فلان بن

---

(١) في تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١: أنه بعد أن اجتاز الخندق شعر كأنه يمشي في حمام وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧.

فلان، فإذا رجل من هوازن. وعند الراوندي: خالد بن الوليد. فعلت ذلك خشية أن يفطن بي، فبدرتهم بالمسألة.
ثم تلبثت فيهم هنيهة، وأتيت بني كناية وقيسا، وقلت ما أمرني به رسول الله (ص).
ثم دخلت في العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر. ونادى عامر بن علقمة: يا بني عامر، إن الريح قاتلي وأنا على ظهر، وأخذتهم ريح شديدة. وصاح بأصحابه. فلما رأى ذلك أصحابه جعلوا يقولون: يا بني عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم.
وإذا الريح في عسكر المشركين ما تجاوز عسكرهم شبرا، فوالله إني لاسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، والريح تضربها، فلما دنا الصبح نادوا أين قريش؟ أين رؤس الناس؟.
فقالوا: أيهات، هذا الذي أتينا به البارحة.
فقالوا: أين كنانة؟.
فقالوا: أيهات هذا الذي أتينا به البارحة.
أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟.
فقالوا: أيهات، هذا الذي أتينا به البارحة.
فلما رأى ذلك أبو سفيان، أمرهم بأن تحملوا.
فتحملوا، وإن
الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم. حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم حتى حل بعد.
فعاد إلى النبي، فلما انتصف به الطريق التقى بعشرين فارسا، أو بفارسين فقط، فقالا: أخبر صاحبك: أن الله تعالى كفاه القوم بالجنود

والريح. فرجع إلى النبي (ص) فوجده يصلي، وعاد إليه البرد والقر، فسدل عليه فضل شملته فنام، ثم أخبره: ثم أخبره: أنه تركهم يرحلون.
وذكر ابن سعد: أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في مائتي فارس ساقة للعسكر، وردءا لهم، مخافة الطلب (١).
نص آخر لقضية حذيقة:
إننا نذكر نصا مختصرا آخر لقضية حذيفة، ثم نحيل القارئ إلى المصادر التي ذكرت هذه القضية بتفصيل أو بإجمال ليراجعها من أراد الاستقصاء والمقارنة.
فنقول:
بعد أن ذكر المؤرخون ما قام به نعيم بن مسعود من كيد بين قريظة، وقريش وغطفان - وإن كنا نحن قد سجلنا فيما سبق تحفظات قوية عليه - قالوا:
" وتخاذل القوام، واتهم بعضهم بعضا، وذلك في زمن شات، وليال باردة كثيرة الرياح، تطرح أبينهم، وتكفأ قدورهم. وضاق ذرع القوم، وبلغ رسول الله (ص) اختلاف القوم، وما هم فيه من الجهد، فدعا حذيقة بن اليمان فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلا.
قال حذيقة: فذهبت فرأيت من الرياح أمرا هائلا، لا يقر لهم

---

(١) راجع هذا النص الذي حاولنا تلخيصه في سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٧ - ٥٤٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم في دلائلهما، ومسلم، وابن عساكر، وابن إسحاق، وستأتي بقية المصادر في الهامش الذي بعد التالي وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٢ و ٢٨٣.

نارا ولابناء.
فقام أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ جليسه.
قال: فبادرت وأخذت بيد الرجل الذي إلى جانبي، فقلت: من أنت؟!.
قال: أنا فلان بن فلان.
ثم قال أبو سفيان: إنكم يا قوم ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من الجهد والشدة، وهذه الريح ما ترون، فارتحلوا، فإني مرتحل (١).
ثم قال إلى جمله، وقام الناس معه. (في نص آخر: قام إلى جملهم وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم).
وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانصروا إلى بلادهم.
وتفرق ذلك الجمع من غير قتال، إلا ما كان من عدة يسيرة، اتفقوا على الهجوم إلخ. ثم ذكر قتل علي عليه السلام لعمرو.. ثم قال: وانتقض ذلك ذلك الجمع والتدبير كله (٢).

---

(١) وفي نص آخر أنه قال: " إن كنا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء إلخ " الخرائج والجرائح ص ١٥٧ والبحار ج ٢ ص ٢٤٨ عنه.
(٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣.
وحديث حذيفة هذا موجود بإيجاز أو بتفصيل في المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ - ١٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢١ وإعلام الورى ط دار المعرفة

وذكرت المصادر: أنه (ص) نادى حذيفة مرتين، فلم يجبه، وأجابه في الثالثة. فقال له: تسمع صوتي ولا تجيبني؟! فاعتذر عن عدم اجابته بالخوف والبرد والجوع (١).

ص ١٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٧ و ١٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ و ٤٩٢ والوفا ج ٢ ص ٦٩٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٣ - ٤٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٥ - ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٦٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٩ - ٤٥٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٢ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وتفسير وصححاه، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٣ و ٢٤٩ / ٢٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ - ١٢ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ و ٢٧١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ / ١٤٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ والخرايج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١١ ولم تصرح المصادر الثلاثة الأخيرة بأنه (ص) ناداه باسمه ثلاث مرات وكذا في المصادر التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ / ١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٣ و ١٤٤ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وتاريخ الخميس ١ ص ٤٩١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ والاكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢١٩.

وثمة نص آخر يقول: إنه (ص) أراد أن يبعث رجلا من أصحابه يعبر الخندق فيعلم ما خبر القوم، فأتى رجلا فطلب منه ذلك فاعتل، فتركه. وأتى آخر، فاعتل أيضا فتركه، وحذيفة، يسمع، ولكنه صامت لا يتكلم، فأتاه (ص) وهو لا يدري من هو، فسأله إن كان قد سمع ما جرى، فأجاب بالايجاب، ثم اعتذر عن عدم مبادرته لإجابة طلبه (ص) بالجوع والضر. ثم أمره (ص) بالذهاب إلخ (١).

ونقول: إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة قضية حذيفة بمالها من خصوصيات وتفاصيل مذكورة آنفا، وإن كنا لا نمنع من أن يكون النبي (ص) قد أرسله لكشف خبر الأحزاب، فعاد إليه فأخبره بأنهم بدأوا بالرحيل..

وشكنا فيما عدا ذلك من تفاصيل وأحداث مزعومة، يستند إلى عدة أمور، نذكر منها.

أولا: إننا نجد حذيفة يذكر أنه رأى أبا سفيان في ضوء النار الموقدة، وهو يستدفئ بها مع أصحابه، وأراد أن يرميه بسهم، لولا أنه ذكر وصية النبي (ص) له. وقد رآه رجلا ضخما أدهما.. فكان من الوضوح له أنه استطاع أن يميز لونه، ويعرف أنه أدهم.

ولكنه يأتي ويجلس بين نفس تلك العصبة التي حول أبي سفيان. ولا يستطيع أن يراه أحد من تلك العصبة، ولا أحس به. رغم وجود النار والنور. ورغم احساس أبي سفيان بأن رجلا غريبا دخل بينهم. وإذا كانت الظلمة شديدة إلى هذا الحد، فكيف استطاع حذيفة

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦ و ٤٠٧.

أن يجد مكانه بينهم دون أن يصطدم ولو جزئيا بواحد منهم؟!.
وكيف استطاع حذيفة أن يرى العصبة وأبا سفيان، ويرى تفرق الأحزاب عنه. ثم لا يراه أحد، ولا يحس به أي منهم على الاطلاق؟.
وثانيا: إذا كان أبو سفيان حين ورود حذيفة ينادي: الرحيل الرحيل، وكذلك كان عامر بن علقمة بن علاثة ينادي الرحيل الرحيل، لا مقام لكم، فما معنى أن يقوم حذيفة بدوره في تخذيلهم، وقف ما علمه الرسول إياه.
وثالثا: هناك اختلاف في نصوص الرواية. ونذكر تناقضا صريحا واحدا هنا وهو واقع في الرواية التي ذكرناها أولا نفسها، فهي تقول: إن الريح كانت في عسكر المشركين، ما تجاوز عسكرهم شبرا. مع أنه قد جاء في بداية الرواية نفسها قوله: " ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحا منها، في أصوات ريحها مثل الصواعق، فجعل المنافقون يستأذنون إلخ.. ".
ورابعا: تقول الرواية التي ذكرناها أولا: إن النبي (ص) قد أمر حذيفة بأن يأتي قريشا فيقول: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إلخ... ثم يأتي كناية فيقول كذا وكذا، ثم يأتي قيسا فيقول كذا وكذا..
وهذا لا ينسجم مع عنصر السرية الذي الذي كان مطلوبا لحذيفة في ظروف كهذه. كما لا ينسجم مع ما جرى بينه وبين جليسيه حين طلب أبو سفيان أن يعرف كل منهم جليسه.
وخامسا: ألف: إن بعض المصادر ذكرت: أنه لما سأل حذيفة

جليسه عن اسمه. قال: سبحان الله، أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا رجل من هوازن.
فما معنى تعجب هذا الرجل؟ فهل رأى حذيفة وجهه في ذلك الظلام الدامس ولم يعرفه، فأثار ذلك تعجبه؟!
ب: كما أننا نعرف أن حذيفة قد حضر حرب أحد، وكان أبو سفيان قائد جيش المشركين في أحد، فهل لم يكن قد رآه آنئذ، ليقول هنا: إنه لم يكن يعرف أبا سفيان حتى ذلك الوقت؟!.
وحين رآه واقفا يوقد النار ويستدفئ بها كيف عرف أنه أبو سفيان، فلعله رجل آخر من هذا الجيش الكثيف.
ج - تذكر رواية الراوندي: أن حذيفة قال: " فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك إلا خيمة أبي سفيان، وعنده جماعة من وجوه قريش، وبين أيديهم نار تشتعل مرة، وتخبو أخرى، فانسللت فجلست بينهم ". (١)
والسؤال هو: لماذا لم يجد إلا خيمة أبي سفيان، فهل استعصت هذه الخيمة فقط على الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم؟!.
ودمرت خيام جيش يعد بالألوف؟!
وسادسا: إن البعض قد أورد ما يشبه هذه الرواية، لكنه يجعل بطلها الزبير من العوام، فهو يقول:
قال رسول الله (ص) يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟!.
فقال الزبير: أنا.

---

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟!
فقال الزبير: أنا.
ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟
فقال الزبير: أنا.
ثم قال: إن لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير (١).
ونقول: إذا كان هذا صحيحا فلماذا ترك الزبير، ولم يرسله.
وأرسل حذيفة؟!.
فأجاب البعض: بأن حذيفة إنما ليأتيه بخبر المشركين. أما الزبير فقد كشف خبر بني قريظة (٢).
ولكنه كلام يصح. لان ابن الديبع قد صرح بأن الزبير هو الذي سمع أبا سفيان ينادي، ويأمرهم بسؤال جلسائهم عن أنفسهم.
قال الزبير: فبدأت بجليسي وقلت: من أنت؟ (٣).
وقد حاول دحلان أن يجيب ذلك التساؤل بطريقة أخرى، فقال:.

---

(١) حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣١ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ عن البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، وابن ماجة، وفي الأخير عن علي.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ و ٥٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢.
(٣) حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١.

" فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما سيأتي، ولم يرسل الزبير (رض) مع سؤاله ذلك ثلاثا، لان له حدة وشدة، لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئا مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي، فاختار ارسال حذيفة ذلك. هذا هو التحقيق عند أئمة السير. وهو أن المرسل إنما هو حذيفة (رص). ونسب الارسال إلى الزبير، وهو اشتباه. وإنما إرسال الزبير (رض) في كشف خبر بني قريظة لما نقصوا العهد " (١) انتهى.

ونقول: قد تقدم: أن ارسال الزبير إلى بني قريظة لا يصح أيضا، فراجع.

وأما أنه (ص) عدل عن الزبير إلى حذيفة لأجل حدة كانت في الزبير، فإنما هو على فرض تسليم أصل القصة. وهي مردودة جملة وتفصيلا، لان حذيفة يصرح بأنه (ص) ناداهم ثلاثا فلم يجب منهم أحد، وهذا يكذب أن يكون الزبير قد أجاب ثلاث مرات.

حقيقة القضية:

ونعتقد: أن ما يذكر للزبير هنا إنما هو من مجعولات محبيه، لينال وساما عن غير جدارة ولا استحقاق.

أما حذيفة، فقد يكون النبي صلى الله عليه وآله أرسله لكشف خبر المشركين. فراقبهم عن بعد، أو عن قرب، وسمع بعض

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨.

أقوالهم. ثم الرواة على ذلك ما شاؤوا حتى أخرجوا القضية عن حدود المعقول والمقبول.

رسالة أبي سفيان للنبي (ص) قبل الرحيل:

وكتب أبو سفيان إلى النبي (ص) رسالة النبي (ص) رسالة يقول فيها: لقد سرت إليك في جمعنا. وإنا نريد ألا نعود إليك أبدا حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟.

فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد، تبقر فيه النساء.

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي. فقرأه له أبي بن كعب.

فكتب إليه (ص):

أما بعد، فقديما غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى.

وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق، فإن الله تعالى ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك. وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح. وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى، واساف، ونائلة، وهبل حتى أذكرك ذلك (١).

---

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٢ والامتاع ج ١ ص ٢٤٠ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٢ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وراجع أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٤ وراجع النزاع والتخاصم ص ١٧ و ١٨ والغدير ج ٣ ص ٢٥٢ عنه.

ثمة نص آخر لكتاب كتبه أبو سفيان فليراجع (١).
الرحيل الذليل:
وذكر الواقدي: أن أبا سفيان جلس على بعيره وهو معقول، ثم ضربه، فوثب على ثلاث قوائم، فما أطلق عقاله إلا بعد ما قام. فناداه عكرمة: إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع؟ وتترك الناس؟.
فاستحيا، فأناخ جمله نزل عنه، وأخذ بزمامه وهو يقوده.
وقالوا: ارحلوا قال، فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خف العسكر.
ثم قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة من خيل بإزاء محمد وأصحابه، فإنا لا نأمن أن نطلب حتى ينفذ العسكر.
فقال عمرو: أنا أقيم.
وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سليمان؟.
فقال: أنا أيضا أقيم.
فأقام عمر وخالد في مائتي فارس وسار العسكر إلا هذه الجريدة على متون الخيل.
وأقامت الخيل حتى السحر، ثم مضوا فلحقوا الأثقال والعسكر مع ارتفاع النهار بملل.
ولما ارتحلت غطفان وقف مسعود بن رخيلة في خيل من

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١.

أصحابه، ووقف الحارث بن عوف في خيل من أصحابه، وقف فرسان من بني سليم في أصحابهم، ثم تحملوا في طريق واحدة، وكرهوا أن يتفرقوا حتى أتوا على المراض (موضع على ستة وثلاثين ميلا من المدينة) ثم تفرقوا إلى محالهم (١).

لكن الراوندي يقول: إن أبا سفيان قال لخالد:

إما أن تتقدم أنت إلي الناس، ليلحق بعضهم ببعض، فأكون على الساقة، وإما أن أتقدم أنا وتكون على الساقة.

قال بل أتقدم أنا وتتأخر أنت.

فقاموا جمعيا، فتقدموا، وتأخر أبو سفيان فخرج من الخيمة، وأنا اختفيت في ظلها، فركب راحلته وهي معقولة من الدهش الذي كان به، فنزل يحل العقال، فأمكنني قتله، فلما هممت بذلك تذكرت إلخ (٢).

فالرواية المتقدمة تقول: إن خالدا قد بقي هو وعمرو بن العاص في جريدة من مائتي فارس، وهذه تقول: إن خالدا تقدم على أبي سفيان، وابن العاص حيث بقي أبو سفيان على ساقة العسكر، وابن العاص في الجريدة، التي تأخرت.

ومهما يكن من أمر، فقد روي عن قتادة: أن سيد كل حي كان يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النحاة،

---

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٠ وأشار إلى في عيون الأثر ج ٢ ص ٦٦، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١١ و ١٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٧ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

النجاة أتيتم. لما بعث الله عليهم من الرعب، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم (١).

ويقول البلاذري: بعد أن ذكر: أن الله سبحانه قد أرسل عليهم ريحا صفراء، فملأت عيونهم فداخلهم الفشل والوهن، وانهزم المشركون وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح..

" وقالت غطفان وسليم: والله، لمحمد أحب إلينا، وأولى بنا من يهود، فما بالنا نؤذيه وأنفسنا، وكانت تلك السنة مجدبة، فجهدوا، وأضر مقامهم بكراعهم، فانصرفوا، وانصرف الناس " (٢).

وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) (ع):

إن ملاحظة معظم المؤخرين تعطينا:

١ - إن ما فعله نعيم بن مسعود - حسب زعمهم - من الفتنة بين بني قريظة والمشركين، ثم إرسال الريح عليهم. كان هو السبب في هزيمة الأحزاب (٣).

٢ - وبعضهم يرى: أن السبب هو الريح فقط، أو الريح والجنود (٤).

---

(١) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢.

(٤) راجع سيرة مغلطاي ص ٥٦ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم وابن جرير عن السدي وقتادة.

٣ - والبعض يرى: أن ما فعله نعيم هو السبب (١).
بل يقول البعض:
إن دور الريح والملائكة كان صوريا. والسبب الحقيقي هو الفرقة التي بثها رسول الله (ص) بين صفوف المهاجمين، فأصبح بعضهم لا يأمن بعضا قبل المعركة قبل المعركة، فكيف يأمنه إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق؟!.
ولذلك ما إن هبت عليهم الرياح التي أرسلها الله حتى اتخذوها ذريعة للانسحاب من ميدان القتال يحملون في قلوبهم الضغائن على بعضهم (٢).
وهو كلام عجيب لما فيه من الجرأة والوقاحة على نفي كلام القرآن، الذي يصرح بالدور القوي للملائكة وللريح في حسم الموقف، كما تقدم في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها).
فهل يرى هذا الكاتب أن ما أرسله الله سبحانه لم يكن له أي أثر أو دور إلا أنه اتخذ ذريعة للفرار من قبل المشركين؟!.
وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله كان يقول: " لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب (أو وهزم) الأحزاب وحده، فلا شئ بعده " (٣).

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٥ عن ابن سعد بن المسيب.
(٢) التفسير السياسي السيرة ص ٢٦٢ / ٢٦٣.
(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن البخاري والبداية والنهاية ج ٤ ص ١ ١١ و ١١٥ عن الصحيحين ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٥ وتاريخ

ونقول:
إن النصوص المختلفة تلمح وتصرح: بأن هزيمة الأحزاب كانت لأسباب ثلاثة:
الأول: وهن أمر المشركين بسبب تضعضع ثقتهم ببعضهم البعض، مع طول الحصار، ثم مع ما واجهوه من مصاعب فيما يرتبط بالناحية المعيشية لهم ولكراعهم.
وذلك لان خروجهم إلى حرب النبي بعد انقضاء زمن الحصاد، وفي سنة مجدبة، قد تسبب بنكسة قوية. وهو يدل على أنهم لم يدرسوا الموقف من جميع جوانبه، ولعل ذلك لأجل أنهم كانوا مطمئنين إلى أنهم سيحسمون الموقف لصالحهم في فترة وجيزة ففاجأهم الرسول بخطته الحربية التي التي كانت الظهر بالنسبة إليهم.
الثاني: ما أرسله الله سبحانه عليهم من الريح والجنود التي لا ترى، فإن الآية وإن لم تصرح بأن هزيمتهم كانت بسبب ذلك إلا أن عدم التصريح هذا لان ذلك لم يكن هو تمام السبب في الهزيمة، بل كان من المؤثرات فيها.
الثالث: ما قذفه في قلوبهم من الرعب، بسبب قتل فرسانهم وكبش كتيبتهم، حتى يئسوا من أن يلجوا الخندق مرة أخرى قال ابن

الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٠ وعن مسلم كتاب الذكر ج ٨ ص ٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و ٢٢١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٠٦.

العبري: " وبقوا بضعة وعشرين يوما لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله وقتل بعده صاحبا له، وكان قتلهما سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عددهم، ووفرة عددهم " (١).

ب: وقال المعتزلي: " الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمروا لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم " (٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: " فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان الفتح له، وعلي يديه. وكان قتله عمروا ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين " (٣).

د: ويقولون أيضا: " وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم قتل عمرو نوفل، فتوهن من ذلك قريش، خاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان " (٤).

ه: تقدم عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن قتله لعمرو بن عبد ود يوم الأحزاب.

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.
(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ٥ ص ٧.
(٣) الارشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.
(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ / ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

" فهزم الله قريشا والعرب بذلك، وبما كان في مني فيهم من النكاية " (١).

و: ثم هناك ما روي عن ابن مسعود من أنه كان يقرأ - على سبيل التفسير والبيان طبعا - وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (٢).

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام.

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه. فراجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن الكريم.

ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر وينابيع المودة ص ٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ عن المناقب وأبي نعيم وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٨٠ ومناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٤ والارشاد للمفيد ص ٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٢٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥ وكفاية الطالب ص ٢٣٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٠ و ٣ ٣٤ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ و ج ٤١ ص ٨٨ وشواهد التنزيل ط وزارة الثقافة والارشاد الإيرانية ص ٧ و ٨ و ٩ ج ٢ ونهج الحق ص ١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٢٠.
وملحقات إحقاق الحق للمرعشي النجفي ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٨٠ و ج ١٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٩ و ج ٢٠ عن مصادر تقدمت وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج ١ ص ١٦٣ ومناقب مرتضوي ص ٥٥ ومفتاح النجا للبدخشي ص ٤١ مخلوط وتجهيز الجيش ص ٨١ مخلوط ودر بحر المناقب ص ٨٥ مخلوط. وأرجح المطالب ص ٧٥ و ١٨٦.

طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود (١).
وذكر القمي أيضا نزول الآية في علي فراجع (٢) وكذا روي عن الإمام الصادق (٣).
ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمروا إلا بقوله تعالى: فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت.
ط: قال الشيخ المفيد: " وقال الله بعد قتله هؤلاء النفر (يعني: عمروا وأصحابه): " الان نغزوهم ولا يغزوننا " (٤).
وعند المعتزلي الشافعي: أنه صلى الله عليه وآله قال عند قتل عمرو: " ذهبت ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله " (٥).
أشجع الأمة:
قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود: " على كون أشجع من كل الأمة. وأنه تعالى به عليه السلام كفى

---

(١) شواهد التنزيل ط وزارة الثقافة والارشاد الإيرانية ج ٢ ص ١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤ عن الإسكافي.
(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٣.
(٣) ينابيع المودة ص ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١ ص ٨٨.
(٤) الارشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.
(٥) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٣ عنه.

شر العدو عنهم يوم الأحزاب، فيكون أفضل منهم، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما " (١).

وقال المظفر: "... فمنه حياة الاسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندرست معالم الاسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم إلخ... " (٢).

مفارقة في الموقف:

وقد ذكرت إحدى الروايات: أن هند بنت عمرو بن حزام، حين قتل زوجها عمرو بن الجموح وأخوها عبد الله، وابنها في حرب أحد.

قالت لعائشة:

أما رسول الله (ص) فصالح، وكل مصيبة بعدة جلل. واتخذ الله من المؤمنين شهداء. " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيرا. وكفى الله المؤمنين القتال. وكان الله قويا عزيزا ".

قال المعتزلي: قلت: هكذا وردت الرواية. وعندي أنها لم تقل كل ذلك. ولعلها قالت: " ورد الله الذين كفروا بغيظهم " لا غير، وإلا فكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى، أنزلت بعد الخندق. والخندق بعد أحد. هذا من البعيد جدا (٣).

ونقول:

إننا نوافق المعتزلي على ما قاله. ولكننا نقول له: كيف صار

---

(١) إحقاق الحق ج ٣ ص ٣٨١. والآية في سورة النساء ٩٥.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ١٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٤ ص ٢٦٢.

هذا من البعيد جدا، ولم تكن موافقات عمر للقرآن (١) على اختلافها وتنوعها، من البعيد جدا أيضا؟!.
أم أن عبقرية عمر ليست لغيره من البشر، حتى الأنبياء وأوصيائهم، فضلا عن النساء؟ أم أن حق التأليف القرآني محفوظ لعمر بن الخطاب بالاشتراك مع العزة الإلهية؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون والوضاعون لفضائل عمر علوا كبيرا.

الان نغزوهم، ولا يغزوننا:

وذكروا: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال يوم الأحزاب، حين أجلاهم الله سبحانه: الان نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.
أو قال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم (أو عامكم) هذا.
أو نحن ذلك (٢) فلم كفار قريش المسلمين بعد

---

(١) راجع: على سبيل المثال تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٢ - ٣٤ وراجع: الغدير للعلامة الأميني ج ٥ ص ٤٣ - ٦٥.
(٢) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبزار، والبيهقي، وأبي نعيم. وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤، و ٤٥٧ و ٤٥٨ والسيرة النبوية لابن لدحلان ج ٢ ص ١٢ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والارشاد للمفيد ص ٦٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع ص ٧٦

الخندق (١).
متى قال النبي كلمة:
وقد صرح المفيد والمعتزلي بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال ذلك حين قتل عمرو وأصحابه. لكن المؤرخين الآخرين. يذكرون ذلك بعد جلاء الأحزاب والظاهر هو أنه لا فرق بين القولين، لان جلاء الأحزاب. كان في اليوم الثاني، أو الثالث، من قتل الفرسان. فلم يكن هناك فاصل زماني يعتد به. ولا حدثت بعد قتلهم أحداث متميزة ومهمة سوى ما أرسله الله سبحانه على الأحزاب من الريح.
ولعل البعض قد حاول تعمية الامر هنا، لأجل أن يقلل من أهمية الانجاز الكبير الذي حققه علي عليه السلام، الذي ابتلي بأناس لا يزالون يحاولن انكار فضائله، واطفاء نور جهاده الرسالي الرائد.

وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ عن ابن إسحاق ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢.
(١) امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٧ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.

لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم:
لقد المشركون بعد حرب أحد: أن المسلمين قد هزموا، وتكبدوا خسائر فادحة، رغم أن نهايات حرب كانت كبداياتها قد أرعبت جيش الشرك، وهزمته روحيا وعسكريا. وإن كانت قد حصلت نكسة في أواسط المعركة، تكبد المسلمون بسببها خسارة كبيرة ولكنهم بفضل جهاد علي عليه السلام، ثم عودة الخلص من المسلمين للقتال قد استعادوا زمام المبادرة، وانتهت الحرب بهزيمة المشركين وكسر عنفوانهم، وتكبدوا هم أيضا خسائر كبيرة على مستوى القيادات وغيرها.
ولكن الخسارة التي مني بها المسلمون كانت أكبر - كما قلنا - فكان أن أشاع المشركون أنهم قد انتصروا في حرب أحد، كمحاولة دعائية فارغة لرد الاعتبار.
ثم حزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود بني قريظة، فانتعشت آمالهم من جديد. بدا واضحا لهم: أن أمر المسلمين قد انتهى. وأصبحت المسألة مسألة وقت لا أكثر ولا أقل. وقد كانت المشاركة الشاملة للقبائل الفاعلة في المنطقة تطمئن زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية لحسم هذا الامر، والتخلص من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.
ولكن وجود الخندق، حسن إدارة الرسول لأمر الحرب معهم، قد هيأ للمسلمين فرصة للمطاولة في أمر الحرب، حتى مل الأحزاب طول الحصار، وأصبحوا يواجهون مشكلات على مستوى التموين وغيره. ثم ظهرت خلافات زعزعت الثقة فيما بين الفرقاء المؤتلفين،

حيث فسد الامر بينهم وبين بني قريظة وكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السبب في ظهورها، حسبما أوضحناه.
ثم كان قتل علي عليه السلام لعمرو، فارس الأحزاب وكبش كتيبتهم، ولمن معه، وفرار الباقين، هو الضرة القاصمة لهم، والمرعبة لقلوبهم.
وجاءت الريح لتثير في نفوسهم المزيد من الخوف والرهبة، والاحساس بالوحشة والوحدة. حيث يجد كل منهم نفسه مسؤولا عن حفظ نفسه في مواجهة طغيان هذه الريح. ولا أحد يستطيع مساعدته والدفع عنه.
فآثروا الفرار على القرار، خوفا من أن يبطش بهم سيف الاسلام من جديد، دون أن يتمكنوا من لم شعثهم، وتسوية صفوفهم. بل وحتى دون أن يتمكنوا من رؤية ما حولهم، لانهم أصبحوا في ظلمة شديدة، وحالة مزرية إلى أبعد الحدود.
فكانت الهزيمة، وكان الخزي والعار لهم، دون أن يتمكنوا من تحقيق أي شئ سوى أنهم قتلوا أفرادا قليلين، قد لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة وقد خسروا في المقابل ما يعادل نفس هذا العدد، إلا أن من بينهم فارس قريش والعرب عمرو بن عبد ود العامري لعنه الله.
فإذا كان هذا أكبر حشد يمكن لقوى الشرك والكفر في المنطقة كلها أن تقوم به، وقد طار صيت هذا الحشد في مختلف البلاد، وشدت إليه الانظار، وانتظر الناس أخباره في الليل والنهار، وتوقعت القبائل نتائجه في مختلف أرجاء الجزيرة العربية بفارغ الصبر لا سيما وأن الهدف الذي أعلنوه لهذه الحرب، هو استئصال محمد ومن معه،

حسبما تقدم (١).
فإن النتائج التي قدمها هذا الحشد كله، قد جاءت بمثابة زلزال هز المنطقة من الأعماق. وبث روح الفشل والوهن في كل قلب، وزرع الخوف والرعب في كل بيت.
وحدثت الهزيمة الساحقة والماحقة لكل عنفوان الشرك، وجبروت الكفر حيث فهم الجميع أن أقصى ما يمكن لهم أن يفعلوه ضد الاسلام ونبي الاسلام قد فعلته قريش والأحزاب ولم ينته إلى نتيجة.
وكانت النتيجة كذلك هي أن قريشا قد فقدت الكثير من نفوذها ومكانتها، ولم تعد الكثير من القبائل تجد نفسها ملزمة بالخط أو الموقف الذي تريد قريش الزامها به.
ولم يعد بالامكان اقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها، والدخول في حرب جديدة مع الاسلام ومع المسلمين.
أضف إلى ذلك: أنه لم يعد بالامكان تحصيل درجة كافية من الوثوق بالآخرين، الذين لا بد من ضمان مشاركتهم الفاعلة حتى النهاية. بعدما أثبتت التجربة مع بني قريظة، بل وفيما بن فئات المشركين أنفسهم أن الرهان على ذلك رهان فاشل، بل هو رهان على يباب وسراب.
وهكذا فإن القبائل التي باتت على يقين من عجزها عن مواجهة

---

(١) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٢ والمغازي للواقدي ج ٢ وبقية المصادر، وهي كثيرة جدا - تجدها في فصل: الأحزاب إلى المدينة: وفي فصل: غدر بني قريظة.

الاسلام تسير باتجاه ترميم علاقاتها، وتحسينها مع التيار الاسلامي الجديد، الذي لا يزال يتنامى ويتعاظم في المنطقة بصورة مطردة.
وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: نغزوهم ولا يغزوننا أما هو قريب من هذا.
وأصبح زمام المبادأة العسكرية على الخصوص بيد المسلمين. منذ هزيمة الأحزاب واليهود في حرب الخندق.
وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا.
غلط حسابات المعتزلي:
وقد ادعى المعتزلي: أن النبي " انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أحد وكان يوم الخندق كفافا، خرج هو وهم سواء لا عليه ولا له، لانهم قتلوا رئيس الأوس، وهو سعد بن معاذ. وقتل منهم فارس قريش، وهو عمرو بن ود. وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك التي كانت " (١).
وقد اشتبه الامر المعتزلي في موضعين.
أحدهما: قول: إن المشركين انتصروا على النبي (ص) يوم أحد. وقد بينا في غزوة أحد: أن النصر فيها كان المسلمين، وأن المشركين قد فروا من ساحة الحرب، خوفا من أن يدال المسلمون منهم بصورة أشد وأعنف. نعم قد حصلت نكسة للمسلمين في وسط المعركة، ثم تجاوزوها بفضل جهاد علي. وقتله العديد من قادة

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٢٠.

كتائب المشركين، فراجع.
الثاني: دعواه: أنه يوم الأحزاب لم يكن النصر لاحد، مع أن النصر فيها كان للمسلمين، وذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان. وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم من نصوص وبحوث.
إلا أن يكون محط نظر المعتزلي هو عدد القتلى الذين سقطوا من الفريقين في هذه المعارك. ولكن من الواضح: أن تعبيره بالنصر والهزيمة - والحالة هذه - يصبح بلا مبرر.
الشهداء والقتلى:
١ - الشهداء من المسلمين:
قال مالك: لم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة، أو خمسة (١).
وقال أبو زهرة: خمسة (٢).
وقيل: كان الشهداء ستة، منهم سعد بن معاذ. وزاد الكازروني: أنهم من الأنصار (٣).

---

(١) وفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ عن الوفاء والجامع للقيرواني ص ٢٨١.
(٢) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.
(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٣ وراجع: البداء والتاريخ ج ٤ ص ٢٢٠ ومختصر التاريخ ص ٤٣ والوفاء ص ٦٩٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ ووفاء ج ١ ص ٣٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧

وقال البعض: استشهد سعد في سبعة من الأنصار (١).
وقال البعض: قتل من المسلمين ثمانية، مضيقا الرجلين اللذين قيل: إنهما كانا طليعة للمسلمين فقتلا (٢) وقد تقدم عدم صحة ذلك.

٢ - القتلى من المشركين:

وقتل من المشركين ثمانية (٣) وقيل ثلاثة (٤). وقيل: أربعة جميعهم من قريش (٥).

وقد سمت بعض المصادر الشهداء والقتلى.

أما الشهداء، فهم: ثلاثة من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ. رمي بسهم وأنس بن أوس، قتله خالد بن الوليد. وعبد الله بن سعد. رماه رجل من بني عويف فقتله. واثنان من بني جشم، هم: الطفيل بن النعمان. قتله وحشي. بن عمة. قتله هبيرة بن أبي وهب.

والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢.

(٢) الرسول العربي، وفن الحرب.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٤) راجع المصادر التي تقدمت للقول بأن شهداء المسلمين ستة.

(٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ والرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.

وواحد من بني النجار (أو دينار) هو كعب بن زيد. أصابه سهم غرب فقتله. وقيل: قتله ضرار بن الخطاب.
والثلاثة الذين من المشركين هم: منبه بن عثمان (أو عثمان بن أمية بن منبه) أصابه سهم فمات بمكة. ونوفل بن عبد الله. وعمرو بن عبد ود (١). وعبيد بن السباق (٢) فليتأمل في هذا الأخير وليراجع كلام ابن إسحاق.
وتقدم أن حسل بن عمرو بن عبد ود قد قتل هو الاخر مع أبيه. فراجع الفصل السابق.
وقال ابن شهرآشوب: أن عليا عليه السلام قتل يوم الأحزاب: عمرو بن عبد ود وولده، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، ومنبه بن عثمان العبدري، وهبيرة بن أبي هبيرة المخزومي (٣).
وزاد الدمياطي في الشهداء من المسلمين: قيس بن زيد بن عامر، وعبد الله بن أبي خالد، وأبا سنان بن صيفي بن صخر. ذكر

---

(١) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الاسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.
(٢) البحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.
(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٣.

الحافظ في الكنى: أنه شهد بدرا، واستشهد في الخندق (١).

العودة إلى المدينة:

قالوا: " وأصبح رسول الله (ص) بالخندق، وليس بحضرته أحد من عساكر المشركين. قد هربوا وانقشعوا إلى بلادهم. فأذن للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم. فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك. فكره رسول الله (ص) أن تعلم بنو قريظة حب رجعتهم إلى منازلهم. فأمر بردهم، فبعث من ينادي في أثرهم، فما رجع منهم رجل واحد " (٢).

زاد في نص آخر قوله: " من القر والجوع. قالا: وكره رسول الله (ص) سرعتهم، وكره أن يكون لقريش عيون.

قال جابر: فرجعت إلى رسول الله (ص) فلقيته في بني حرام منصرفا، فأخبرته، فضحك (ص) " (٣).

ويقول القمي عن الأحزاب: " ففروا منهزمين. فلما أصبح رسول الله (ص) قال لأصحابه: لا تبرحوا. فلما طلعت الشمس دخلوا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ والمغازي ج ٢ ض ٤٩١. وفي إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ اكتفى بالقول: " وأصبح (ص)، فأذن للمسلمين بالانصراف، فلحقوا بمنازلهم ".

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن الطبراني، والواقدي. والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٢.

المدينة، وبقي رسول الله (ص) في نفر يسير (١) ".
ويقول الراوندي: " إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " صلى بالناس الفجر، ونادى مناديه: لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس.
فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة إلا نفرا يسيرا.
فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله (ص)، ومن كان معه، فلما دخل منزلة إلخ " (٢).
وكان انصرافه (ص) من غزوة الخندق لسبع ليال بقين من ذي القعدة (٣).
وكان المنافقون بناحية المدينة يتحدثون بنبي الله (ص) وأصحابه، ويقولون: ما هلكوا بعد؟!.
ولم يعلموا بذهاب الأحزاب. وسرهم أن جاءهم الأحزاب، وهم بأدون في الاعراب (٤).

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١.
(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.
(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع: نهاية الإرب ج ١٧ ص ١٧٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١١.
(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠.

عثمان وبنت النبي في الخندق:
وقد روى قطب الدين الراوندي قصة المغيرة بن أبي العاص في غزوة الخندق وملخص ما هو محط نظرنا منها:
أن المغيرة بن أبي العاص ادعى: أنه رمى رسول الله (ص) فكسر رباعيته، وشق شقتيه وكذب، وادعى أنه قتل حمزة وكذب.
فلما كان يوم الخندق ضرب الله على أذنيه، فنام ولم يستيقظ حتى أصبح، فخشي أن يجئ الطلب فيأخذوه، وجاء إلى منزل عثمان، وتسمى باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلى عثمان الخيل والغنم والسمن.
فأدخله عثمان منزله، فلما علمت امرأة عثمان ما صنع بأبيها وعمها صاحت، فأسكتها عثمان. ثم خرج إلى رسول الله، فطلب منه الأمان للمغيرة ثلاث مرات، والنبي يحول وجهه عنه حتى آمنه في الثالثة. وأجله ثلاثا، ولعن من أعطاه راحلة، أو رحلا، أو قتبا، أو سقاء، أو قربة، أو إداوة، أو خفاء، أو نعلا، أو زادا أو ماء. فأعطاه عثمان هذه الأشياء. ولم يوفق للخروج من محيط المدينة فأعلم جبرائيل النبي بمكانه، فأرسل زيد بن حارثة والزبير، فقتله زيد لان النبي كان قد آخى بين زيد وحمزة.
فرجع عثمان إلى امرأته، واتهمها بأنها كانت قد أخبرت أباها بمكان عمه، فحلفت له بالله ما فعلت، فضربها بخشبة القتب ضربا مبرحا - كان سبب وفاتها في اليوم الثاني، وقد منع النبي (ص) عثمان

– الذي كان قد ألم بجاريته ليلة وفاتها – من حضور جنازتها (١).
ولكن قد تقدم بعد غزوة حمراء الأسد: أن هذه القضية قد حصلت بعد واقعة أحد. وربما تكون رواية الراوندي أقرب والله هو العالم.

---

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٩٤ – ٩٦ والبحار ج ٢٢ ص ١٥٨. وقال في هامش الخرائج: ورواه: بنحو آخر في الكافي ج ٣ ص ٢٥١ والتهذيب ج ٣ ص ٣٣٣ وأخرجه في الوسائل ج ٢ ص ٨١٨.